

الإعجاز
شرح
صحيح مسلم بن الحجاج

للشيخ الفاضل
أبي محمد عبد الحميد بن محمد الجوزي (الغوري)

المجلد الثاني عشر
من كتاب صفات المنافقين لإبي أسحق كتاب التفسير

الإفصاح
شرح
صحيح مسلم في الحج



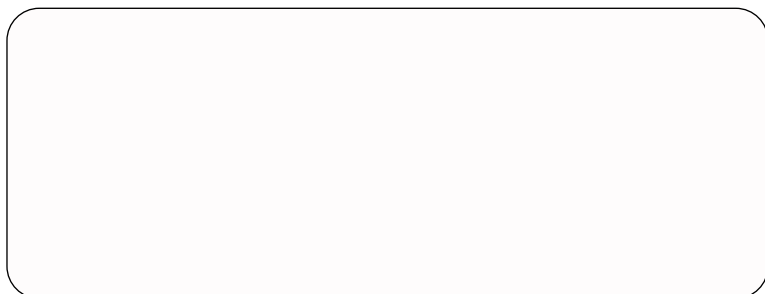
الإِتِّهَانَاتُ
شَرْحُ
تَرْجِيحِ مُسْئَلَاتِ الْجَمَاعَةِ

المجلد الثاني عشر

من كتاب صفات المنافقين وأحكامهم في آخر كتاب التفسير

للشيخ الفاضل

أبي محمد عبد الحميد بن محمد الجوري (رحمته)



من كتاب صفات المنافقين إلى آخر كتاب التفسير

للسَّيِّحِ الْفَاضِلِ
أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَمَّادِيِّ الرَّسْمِيِّ

الطبعة الأولى مزودة ومصححة

١٤٤٧ھ - ٢٠٢٦م

روابط قنوات فضيلة الشيخ على منصات التواصل:

الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ حفظه الله تعالى:

<https://alzokory.com>

 **A_Alzoukorys**

 [https://www.youtube.com/channel](https://www.youtube.com/channel/UC8X0nT81YkF8T3D43G13Q3Q)

 <https://chat.watsapp.com/FglUKZ0nwzr5EYaguQttsz>

https://t.me/A_lzokory

 <https://www.facebook.com/649918028352367>

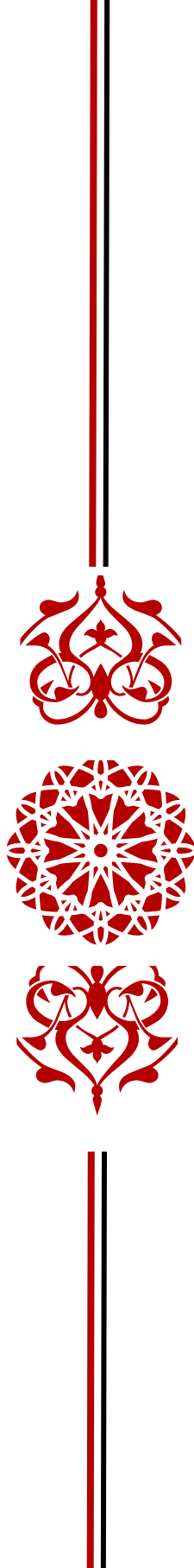
كِتَابُ

صِفَاتُ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامُهُمْ

الْإِعْتِجَاجُ

شَرْحُ

صَحِيحِ مُسْلِمَ بْنِ الْحَجَّاجِ



قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ

وصفات المنافقين قد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ شيئاً منها في أول سورة البقرة، وفي أواخر سورة آل عمران، وفي وسط سورة النساء، وأواخرها، وفضحهم في سورة التوبة، وذكر شيئاً من أوصافهم في سورة النور، وسورة الأحزاب، وسمى سورة في القرآن باسمهم. وسموا بالمنافقين من بيت النفياء، وهو بيت ملتوي في مدخله ومخرجه لما كان شأنهم مستتراً، فهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر. وكان مبدأ ظهورهم بعد غزوة بدر، إذ قبل غزوة بدر كانوا كفاراً خلص ومسلمين خلص، فلما وقعت غزوة بدر وانتصر الإسلام أظهر كثير من أهل المدينة الإسلام بألسنتهم وأبطنوا الكفر بقلوبهم. ورأسهم هو عبد الله بن أبي بن سلول، وما زالوا يتوافرون في الأمة، قال بعض السلف: لو كان للمنافقين ذبول ما استطعنا أن نمشي في الطرقات.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١ - (٢٧٧٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ: أَنَّهُ سَمِعَ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمٍ يَقُولُ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، أَصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي لَاصِحَابِهِ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، قَالَ زُهَيْرٌ: وَهِيَ قِرَاءَةٌ مِنْ خَفَضَ حَوْلَهُ، وَقَالَ: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [سورة المنافقون: ٨] قَالَ: فَاتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَسَأَلَهُ، فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ مَا فَعَلَ، فَقَالَ: كَذَبَ زَيْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوهُ شِدَّةٌ

حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقِي: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [سورة المنافقون: ١] قَالَ: ثُمَّ دَعَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَسْتَعْفِرَ لَهُمْ، قَالَ: فَلَوْوَا رُؤُوسَهُمْ. وَقَوْلُهُ: ﴿كَانَ لَهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ [سورة المنافقون: ٤] وَقَالَ: كَانُوا رِجَالًا أَجْمَلَ شَيْءٍ^(١).

(خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ) غزوة من الغزوات.
(أَصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ) ولأواء، يسافرون ربما بغير نعال، وبغير أبعرة، والشأن شديد.

(فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي) أي بن سلول، رأس النفاق.
(لِأَصْحَابِهِ) من المنافقين ومن يظهر الود إليهم.
(لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ) حتى ينفضوا: ينصرفوا، ويبقى وحده، وهذه صفة ما زالت فيهم إلى الآن، يحاربون النفقة على أهل الاستقامة.
(لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) [سورة المنافقون: ٨] يريد (الأعز): نفسه، والواقع أنه الذليل، ويريد (الأذل): الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين، والواقع أنه العزيز.
(فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ) جواز نقل الخبر إن كان لبيان حال باطل، أو لدفعه ورفع، وليس من الغيبة.

(فَأَرْسَلَ إِلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي) للتثبت، وللنصح.
(فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ مَا فَعَلَ) والحال كما قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المجادلة: ١٤].

(فَقَالَ: كَذَبَ زَيْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أي: قلب التهمة، وهذا هو واقع كثير من الناس، لا سيما في هذا الزمن المتأخر، كما قال النبي ﷺ في آخر الزمان: «يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٩٠٠).

وَيُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوِّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْصَةُ»^(١).

(فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوهُ شِدَّةٌ)؛ لأن تكذيب الإنسان شديد عليه.

(حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقِي)؛ ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ﴾ وهذا من الفرج بعد الشدة.

(ثُمَّ دَعَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ)؛ لرحمته وشفقته.

(فَلَوْوَا رُؤُوسَهُمْ) يعني ولو وهم مستكبرون.

(كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُسَدَّةٌ)؛ كأنهم خشب: أجذعة نخل مسندة على الحيطان، مع

جمال في وجوههم، وسوء في قلوبهم، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُسَدَّةٌ﴾ [سورة المنافقون: ٤].

(كَانُوا رِجَالًا أَجْمَلُ شَيْءٍ) ظاهرا، وأسوأ شيء باطنا.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢ - (٢٧٧٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّيْبِيِّ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو: أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا يَقُولُ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَبْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، فَأَخْرَجَهُ مِنْ قَبْرِهِ، فَوَضَعَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَنَفَثَ عَلَيْهِ مِنْ رِيقِهِ، وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٢).

٢ - (٢٧٧٣) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرٍو بْنُ دِينَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَعْدَ مَا أُدْخِلَ حُفْرَتَهُ، فَذَكَرَ بِمَثَلِ حَدِيثِ سُفْيَانَ.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٨٤٥٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٢٧٠).

(أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَبْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي) بشفاعة من ولده عبد الله بن عبد الله، وكان رجلاً صالحاً.

(وَنَفَثَ عَلَيْهِ مِنْ رِيقِهِ) يبركه بذلك.

(فَاللَّهُ أَعْلَمُ) كأنه يقول: الله أعلم شأنه بعد ذلك، والصحيح أنه رأس النفاق، ليس من الإسلام في سرد ولا ورد، وإنما صلى عليه النبي ﷺ قبل أن يُنهي عن ذلك في قوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا﴾ [سورة التوبة: ٨٤]. قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣ - (٢٧٧٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَمَّا تُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَلُولَ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكْفَنُ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّيُ عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّمَا خَيْرِنِي اللَّهُ فَقَالَ: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [سورة التوبة: ٨٠] وَسَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ، قَالَ: إِنَّهُ مُتَنَفِّقٌ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [سورة التوبة: ٨٤] (١).

٤ - (٢٧٧٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى، وَهُوَ الْقَطَّانُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ، وَزَادَ قَالَ: فَتَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ.

(أَتُصَلِّيُ عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟) هذا على فهم عمر في ذلك الحين أما النبي ﷺ فهم التخيير.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٢٦٩).

﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾ الشَّانُ سَوَاءٌ.

﴿إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ وهذا على كثرة الاستغفار لهم، فلن ينتفعوا.

﴿إِنَّهُ مُنَافِقٌ﴾ النبي ﷺ يعلم أنه منافق، لكن ما كان ليترك شيئاً إلا بأمر الله.

فكان بعد ذلك منه ترك الصلاة على المنافقين.

وهذا يستدل على أن المنافق كافر كفراً أكبر مخرج من الملة.

ومعنى ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ للصلاة والدعاء، أما العبرة قد قال النبي ﷺ: «زوروا

القبور؛ فإنها تذكركم الآخرة».

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٥ - (٢٧٧٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ، أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ، قَلِيلٌ فَقَهُ قُلُوبِهِمْ، كَثِيرٌ شَحْمٌ بَطُونِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرُونَ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ وَقَالَ الْآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا، وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا، وَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا، فَهُوَ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [سورة فصلت: ٢٢] «الآية» (١).

٥ - (٢٧٧٥) وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ الْبَاهِلِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عَمِيرٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ رِبِيعَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ (ح) وَقَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنِي مَنْصُورٌ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوْهٍ.

﴿قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ، أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ﴾ الشك من الراوي.

(قَلِيلٌ فَقَهُ قُلُوبِهِمْ) كأن فيهم من صفات النفاق، لا يفقهون كلام الله، ولا أوامر رسول الله ﷺ.

(كَثِيرٌ شَحْمٌ بَطُونِهِمْ)؛ لكثرة أكلهم، وعدم قيامهم بالمأمور.
(فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَوْنَ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟) انظروا وصل بهم الشأن إلى الشك في صفات الله.

(وَقَالَ الْآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا، وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا) وهذا جاء بتفصيل؛ لفساد في قلبه، فالله عز وجل سميع عليم.

(﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾) وهذه الشهادة تكون يوم القيامة، فإن الشهود على الإنسان: الأرض التي أفسد عليها والملائكة الذين يرقبونه، والكتاب الذي سطر عليه، والنبى الذي أرسل إليه، وهكذا ﴿وَكُنَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء: ٧٩]، والجوارح.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٦ - (٢٧٧٦) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَدِيِّ، وَهُوَ ابْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدٍ يُحَدِّثُ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: خَرَجَ إِلَى أَحَدٍ، فَرَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ، فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمْ فِرْقَتَيْنِ: قَالَ بَعْضُهُمْ: نَقُتْلُهُمْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا، فَنَزَلَتْ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَنَفِقِينَ فِرْقَتَيْنِ﴾ [سورة النساء: ٨٨] (١).

٦ - (٢٧٧٦) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٥٨٩).

(فَرَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ) أي في غزوة أحد، رجع عبد الله بن أبي بن سلول في ثلث الجيش.

(فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمْ فِرَقَتَيْنِ) يعني اختلفوا بين ذام ومدافع.

فيه النهي عن تولي المنافقين، والدفاع عنهم، والركون إليهم، كما بالحديث السابق بيان المنافقين قليل فقههم، قليل فهمهم، كثير شؤمهم، ومع ذلك أُتيت الأمة من قبلهم، وما زالوا ينخرون فيها.

وربما في زمن من الأزمنة كانت كلمة المنافقين هي المقدمة، وكلمة المستقيمين هي الضعيفة، كما حصل في الدولة العبيدية في مصر، في زمن من الأزمنة كان وزراء الحاكم من اليهود والنصارى، فقربوا اليهود والنصارى، ونحووا المسلمين.

وفيه أن المنافقين يستغلون نقطة الضعف، فإذا حصل الضعف ظهر النفاق، وإذا حصلت القوة أظهر الجميع السلامة، ويظهر النفاق في الأقوال وفي الأفعال، في الأقوال مثل السخرية والاستهزاء، والسب، والشتم، والتهديد، والوعيد، ونحو ذلك وفي الأفعال مثل التميز عن المسلمين، وربما الأذى لهم إن استطاعوا.

وفيه أنه لا يجوز الخلاف في أهل الشر، فلا تختلف مع أخيك المستقيم من أجل أهل الشر.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٧ - (٢٧٧٧) حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ التَّمِيمِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانُوا إِذَا حَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرَحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَحَلَفُوا، وَأَحْبُوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا،

فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرُحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٨] ^(١).

(تَخَلَّفُوا عَنْهُ) تخلفوا بأعذار واهية، وإذا جاء النبي ﷺ بالفتح والغنائم يتطلعون إليها.

(وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) كما قال الله عز وجل: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ [سورة التوبة: ٨١]، يعني فرحوا بمقعدهم، واعتذروا المعاذير السيئة، وهذا الفرح ينقلب عليهم حزنا وهما وغما، لا سيما في القيامة.

(فَإِذَا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ) مع أيما كاذبة، فرما قالوا: بيوتنا عورة، وربما قالوا: يا رسول الله شغلنا بأبنائنا ونسائنا.

(وَحَلَفُوا) على الكذب.

(وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا) وقد قال الله عز وجل: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرُحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٨٨]، يعني يحبون الحمد والثناء مع أنهم ما فعلوا خيرا، بل ثبطوا.

(﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾): لا تظن أنهم في فوز وبعد عن العذاب، بل هم موعودون بأسوأ ما يكون من العذاب: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٤٥]، وهكذا تجد أهل النفاق في كل زمن وحين في تخلف عن الحق، عملا وعلمًا، ودعوة، ونصرة، وانقيادا، والله المستعان.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٥٦٧).

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٨ - (٢٧٧٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَاللَّفْظُ لِرُحَيْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَبَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَنَّ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ: اذْهَبْ يَا رَافِعُ لِبَوَابِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْ: لَيْتَنِي كَانَ كُلُّ امْرَأٍ مِنَّا فَرِحَ بِمَا أَتَى، وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مُعَذِّبًا لِنُعَذِّبَنَّ أَجْمَعُونَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ الْآيَةُ، إِنَّمَا أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ تَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُمُونَهُ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧] هَذِهِ الْآيَةُ، وَتَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٨٨] وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَأَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ، وَأَخْبَرُوهُ بَغَيْرِهِ، فَخَرَجُوا قَدْ أَرَوْهُ أَنْ قَدْ أَخْبَرُوهُ بِمَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ، وَاسْتَحْمَدُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ، وَفَرَحُوا بِمَا أَتَوْا مِنْ كِتْمَانِهِمْ إِيَّاهُ مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ ^(١).

(لِنُعَذِّبَنَّ أَجْمَعُونَ) يعني أخذوا بظاهر هذه الآية.

(إِنَّمَا أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ) وقيل: في المنافقين.

الآية فيها قولان لأهل العلم:

القول الأول: أنها في المنافقين كما في الحديث الذي سلف، وهو حديث أبي سعيد

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد أخرجه البخاري.

والقول الثاني: أنها في اليهود أهل الكتاب.

ولا مانع أن تكون خاصة السبب عامة اللفظ، كما هو في كثير من آيات القرآن.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٥٦٨).

فالمؤمن قد يعمل الصالحات ويتخوف عدم القبول فيها، والمنافق قد يعمل السيئات ويحب الحمد بما لم يعمل وبما لم يفعل.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٩ - (٢٧٧٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ قَيْسٍ قَالَ: قُلْتُ لِعِمَّارٍ: أَرَأَيْتُمْ صَنِيعَكُمْ هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمْ فِي أَمْرِ عَلِيٍّ، أَرَأَيَا رَأَيْتُمُوهُ، أَوْ شَيْئًا عَهْدَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا عَهْدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَلَكِنْ حُدِثَهُ أَخْبَرَنِي عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا، فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكُهُمُ الدُّبَيْلَةُ، وَأَرْبَعَةٌ لَمْ أَحْفَظْ مَا قَالَ شُعْبَةُ فِيهِمْ.

١٠ - (٢٧٧٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: قُلْنَا لِعِمَّارٍ: أَرَأَيْتَ قِتَالَكُمْ، أَرَأَيَا رَأَيْتُمُوهُ فَإِنَّ الرَّأْيَ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، أَوْ عَهْدًا عَهْدَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا عَهْدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً.

وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي أُمَّتِي»، قَالَ شُعْبَةُ: وَأَحْسَبُهُ قَالَ: حَدَّثَنِي حُدَيْفَةُ، وَقَالَ غُنْدَرٌ: أَرَاهُ قَالَ: «فِي أُمَّتِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا، لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدُونَ رِيحَهَا حَتَّى يَلْبِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ثَمَانِيَةٌ، مِنْهُمْ تَكْفِيكُهُمُ الدُّبَيْلَةُ: سِرَاجٌ مِنَ النَّارِ يَظْهَرُ فِي أَكْتَافِهِمْ حَتَّى يَنْجُمَ مِنْ صُدُورِهِمْ».

(أَرَأَيْتُمْ صَنِيعَكُمْ هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمْ فِي أَمْرِ عَلِيٍّ) من حيث نصرته والقيام معه.

(مَا عَهْدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً)؛ لأنه أُرسل مبلغاً، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سورة سبأ: ٢٨]، ﴿يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [سورة المائدة: ٦٧].

يعني يعذبون في نار جهنم، وحذيفة قد أطلععه محمد ﷺ على بعض من أطلععه الله عز وجل عليهم من المنافقين، ولذلك قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لحذيفة: أسألك بالله هل ذكرني رسول الله فيهم؟ قال: لا، ولا أزكي أحداً بعدك، فكان بعد ذلك عمر إذا أرى حذيفة لا يصلي على الرجل ترك الصلاة عليه.

(الدُّبَيْلَةُ، سِرَاجٌ مِنَ النَّارِ يَظْهَرُ فِي أَكْتَانِهِمْ حَتَّى يَنْجَمَ مِنْ صُدُورِهِمْ) عذاب شديد للمنافقين في نار جهنم، وهؤلاء الذين أطلع الله محمداً ﷺ على وصفهم من دلائل نبوة النبي ﷺ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١ - (٢٧٧٩) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْكُوفِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ جُمَيْعٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الطُّفَيْلِ قَالَ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعَقْبَةِ وَبَيْنَ حَذِيفَةَ بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ: أَتَشُدُّكَ بِاللَّهِ، كَمْ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقْبَةِ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: أَخْبِرْهُ إِذْ سَأَلَكَ، قَالَ: كُنَّا نَخْبِرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ خَمْسَةَ عَشَرَ، وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ حَرْبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ، وَعَذَرَ ثَلَاثَةً، قَالُوا: مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، وَقَدْ كَانَ فِي حَرَّةٍ فَمَشَى فَقَالَ: «إِنَّ الْمَاءَ قَلِيلٌ، فَلَا يَسْبِقُنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ»، فَوَجَدَ قَوْمًا قَدْ سَبَقُوهُ، فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ.

(العَقْبَةُ) ليست عقبة منى التي بايعوا فيها النبي ﷺ، ولكن العقبة التي أرادوا إسقاط النبي ﷺ من على البعير لقتله، وكان ذلك في رجوعه من غزوة تبوك في السنة العاشرة من الهجرة.

(وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ أُنْثَى عَشَرَ مِنْهُمْ حَرْبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ
الْأَشْهَادُ) يعني نفاقهم مستقر فيهم، لا يتحول ولا يتبدل.
(وَعَدَرُ ثَلَاثَةً) فيه العذر بالجهل والتجاوز عن الجاهل.
(فَلَا يَسْبِقُنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ)؛ لأنه أراد ﷺ أن يبدأ هو فيبرك عليه فيدعو الناس للاستفادة
منه، ولذلك حين وجد قد لعب جمع من عازله بعض شيء وتفل عليه، ثم سقوا
وشربوا.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢ - (٢٧٨٠) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ،
عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ ثَنِيَّةَ
الْمَرَارِ فَإِنَّهُ يُحِطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ»، قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَعَدَهَا خَيْلُنَا
خَيْلُ بَنِي الْخَزَرَجِ، ثُمَّ تَتَامَ النَّاسُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ إِلَّا
صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ»، فَاتَيْنَاهُ فَقُلْنَا لَهُ: تَعَالَ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ:
وَاللَّهِ لَأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ، قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ
ضَالَّةً لَهُ.

١٣ - (٢٧٨٠) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا
قُرَّةُ، حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَصْعَدُ ثَنِيَّةَ
الْمَرَارِ»، أَوْ: «الْمَرَارِ»، بِمِثْلِ حَدِيثِ مُعَاذٍ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: وَإِذَا هُوَ أَغْرَابِيٌّ جَاءَ يَنْشُدُ
ضَالَّةً لَهُ.

(ثَنِيَّةَ الْمَرَارِ) ثنية على طريق تبوك، عقبة.

(فَإِنَّهُ يُحِطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) أي من الذنوب والمعاصي.

(إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ)؛ لأنه من المنافقين.

(صَاحِبُكُمْ) ما قال: رسول الله، هذا دليل على أنه لم يكن مسلماً في الباطن.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٤ - (٢٧٨١) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، وَهُوَ ابْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ مِنَّا رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ قَدْ قَرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ هَارِبًا حَتَّى لَحِقَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ، قَالَ: فَرَفَعُوهُ قَالُوا: هَذَا قَدْ كَانَ يَكْتُبُ لِمُحَمَّدٍ، فَأُعْجِبُوا بِهِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ قَصَمَ اللَّهُ عُنُقَهُ فِيهِمْ، فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ، فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ، فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ، فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، فَتَرَكَوهُ مَنبُودًا^(١).

(كَانَ مِنَّا رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ قَدْ قَرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ) يعني أظهر الإسلام ودخل

فيه.

(وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ) إذا نزل الوحي، أو بعض كتابات.

(فَانْطَلَقَ هَارِبًا حَتَّى لَحِقَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ) بعد أن ارتد.

(فَرَفَعُوهُ) للطعن في الإسلام زعموا.

(فَأُعْجِبُوا بِهِ) أعجبوا به من أجل الطعن في الإسلام، وهكذا أهل الباطل يفرحون

بمن انحرف عن الاستقامة، فإذا مكث بينهم بعض يوم ازدروه واحتقروه، وربما عيروه.

(فَمَا لَبِثَ أَنْ قَصَمَ اللَّهُ عُنُقَهُ فِيهِمْ) أي مات.

(فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ): دفنوه.

(فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا) عقوبة وفضيحة.

(فَتَرَكَوهُ مَنبُودًا) يأكله الوحش، وهذا من آيات الله عَزَّجَلَّ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦١٧).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٥ - (٢٧٨٢) حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا حَفْصٌ، يَعْنِي ابْنَ غِيَاثٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَلَمَّا كَانَ قُرْبَ الْمَدِينَةِ هَاجَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ تَكَادُ أَنْ تَذْفِنَ الرَّائِبَ، فَرَعِمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ»، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا مُنَافِقٌ عَظِيمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَدْ مَاتَ.

الشمس والقمر والريح آيات من آيات الله، قد تكون كسوفها وخسوفها وانطلاقها لغير ما أمر، لكن سبحان الله إذا أراد الله عزَّجَلَّ شيئاً أمضاه.

وفيه الفرح بموت المنافقين والكافرين، فبقاؤهم شؤم على البلاد والعباد، وفي الحديث: «مستريح ومستراح منه»، فالمؤمن مستريح من نصب الدنيا، والمستراح منه هو المنافق والكافر.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٦ - (٢٧٨٣) حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَبْرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى الْيَمَامِيُّ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ، حَدَّثَنَا إِيَّاسٌ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: عُدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مَوْعُوًّا، قَالَ: فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رَجُلًا أَشَدَّ حَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَشَدَّ حَرًّا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَذَا مِنْكَ الرَّجُلَيْنِ الرَّائِبَيْنِ الْمُتَّقِيَيْنِ»، لِرَجُلَيْنِ حِينَئِذٍ مِنْ أَصْحَابِهِ.

(مَوْعُوًّا) أي مريضاً.

(وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رَجُلًا أَشَدَّ حَرًّا) يعني حمى.

(لِرَجُلَيْنِ حِينَئِذٍ مِنْ أَصْحَابِهِ) أي ظاهراً، وهما إلى النفاق باطناً.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧ - (٢٧٨٤) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَاللَّفْظُ لَهُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ يَعْنِي الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً».

١٧ - (٢٧٨٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «تَكْرِ فِي هَذِهِ مَرَّةً وَفِي هَذِهِ مَرَّةً».

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٩]، وهم من أصحاب الوجهين، يلقي المؤمنون بوجهه ويلقي الكافرون بوجهه.

فوصف بأنه كالشاة العائر بين الغنمين، المترددة الحائرة، لا تدري أيهما تتبع وهكذا المنافق في حيرته يعمه، تارة إلى الإسلام، وتارات إلى الشك والكفران، نسأل الله السلامة والعافية.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ [سورة آل عمران:

١٨٨] أي: من القبائح والباطل القول والفعلي.

﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٨٨] أي: بالخير الذي لم يفعلوه، والحق الذي لم يقولوه، فجمعوا بين فعل الشر وقوله، والفرح بذلك ومحبة أن يحمدوا على فعل الخير الذي ما فعلوه.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ يَمُوتُونَ قَرْنًا لِّلْعَذَابِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٨] أي: بمحل نجوة منه وسلامة، بل قد استحقوه، وسيصيرون إليه، ولهذا قال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٧٠].

ويدخل في هذه الآية الكريمة أهل الكتاب الذين فرحوا بما عندهم من العلم، ولم ينقادوا للرسول، وزعموا أنهم هم المحقون في حالهم ومقالهم، وكذلك كل من ابتدع بدعة قولية أو فعلية، وفرح بها، ودعا إليها، وزعم أنه محق وغيره مبطل، كما هو الواقع من أهل البدع.

ودلت الآية بمفهومها على أن من أحب أن يحمد ويشنى عليه بما فعله من الخير واتباع الحق إذا لم يكن قصده بذلك الرياء والسمعة أنه غير مذموم، بل هذا من الأمور المطلوبة، التي أخبر الله أنه يجزي بها المحسنين له الأعمال والأقوال، وأنه جازى بها خواص خلقه، وسألوها منه، كما قال إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٨٤] وقال: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ * إِنَّا كَذَلِكَ نُنْجِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾، وقد قال عباد الرحمن: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٧٤] وهي من نعم الباري على عبده، ومنه التي تحتاج إلى الشكر.

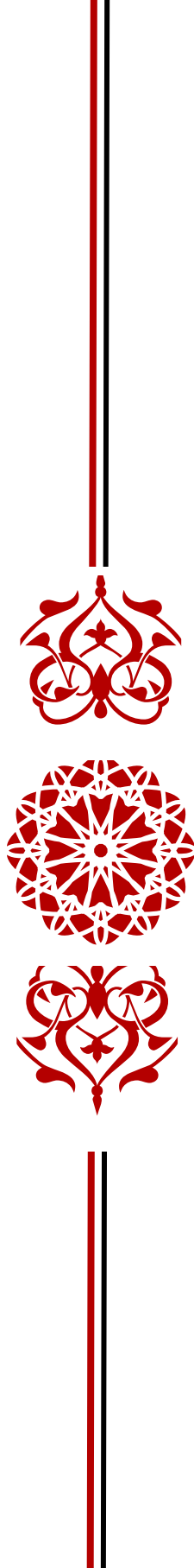


كُتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ
وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ

الْإِسْمَاعِيلِيُّ

شَرْحُ

صَحِيحِ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ



وهذا الباب من المهمات، إذ أنه يحوي الترغيب والترهيب، وقد ذكر الله الجنة كثيرا في كتابه، وهكذا ذكر النار كثيرا في كتابه، مرغبا للمؤمنين، ومحذرا عن طريق الكافرين. وإذا لم يُرغب الإنسان في الجنة فبماذا يُرغب؟ وإذا لم يُحذر من النار فبماذا يحذر. قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٨ - (٢٧٨٥) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنِي الْمُغِيرَةُ، (يَعْنِي الْحِزَامِيَّ)، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَؤُوا ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [سورة الكهف: ١٠٥]» (١).

استدل بهذا الحديث على عدم وزن الكافرين، والذي يظهر أن الحديث نص على وزنهم، إلا أنهم يوزنون ولا وزن لهم، والدليل على ذلك: (إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ) يعني بعد وزنه، لكن لا يزن جناح بعوضة؛ لخفته وخفة عمله، ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٣﴾ [سورة الأعراف: ٨-١٣].

(﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾) أي: معتبرا، لا شأن له.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٩ - (٢٧٨٦) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ، حَدَّثَنَا فَضِيلٌ، (يَعْنِي ابْنَ عِيَّاضٍ)، عَنْ مَنصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عُبَيْدَةَ السَّلْمَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: جَاءَ خَبَرٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَوْ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٧٢٩).

إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرِ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْزُهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الزمر: ٦٧] ^(١).

٢٠ - (٢٧٨٦) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرٍ، عَنْ مَنْصُورٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ. قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. بِمِثْلِ حَدِيثِ فُضَيْلٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ: ثُمَّ يَهْزُهُنَّ. وَقَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحَكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَعَجُّبًا لِمَا قَالَ تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [سورة الأنعام: ٩١]، وَتَلَا الْآيَةَ.

٢١ - (٢٧٨٦) حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَلْقَمَةَ يَقُولُ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ اللَّهَ يُمَسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ. قَالَ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ضَحَكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [سورة الأنعام: ٩١].

٢٢ - (٢٧٨٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، (ح) وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِهِمْ جَمِيعًا: وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ

جَرِيرٍ: وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَلَكِنْ فِي حَدِيثِهِ: وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: تَصْدِيقًا لَهُ، تَعَجُّبًا لِمَا قَالَ.

(جَاءَ حَبْرٌ) الحبر من علماء اليهود، والرهبان من عباد النصارى، والعلماء يوصف به علماء أهل الإسلام، وإن كان اللفظ قد يطلق على غيرهم.

(فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَوْ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ) لم يقل: يا رسول الله؛ لأنهم لا يؤمنون به رسولا ونبيا.

فيه إثبات صفة الأصابع لله عَزَّجَلَّ، وهي من الصفات الخبرية الثابتة بالسنة النبوية، وبالأثار المروية عن السلف الكرام، والأئمة الأعلام، أصابع تليق بجلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١]، ومثل ذلك: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ».

وفيه إثبات صفة الكلام لله عَزَّجَلَّ من قوله: (أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ). (فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصْدِيقًا لَهُ) وإقرارا له، لا كما يقول المبتدعة: إنما ضحك كالمنكر عليه، لو كان قد أنكر عليه لبين ذلك الراوي.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ أي ما عظموا الله حق تعظيمه، إذ أشركوا، ونددوا، وعطلوا، ومثلوا، والأرض الواسعة الكبيرة مع جبالها ووهادها قبضته يوم القيامة يقبضها بيده، ويطوي السماء بيمينه، وهذا لعظيم شأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذه الأرض الواسعة ما هي إلا في قبضته، والسموات العظيمة المترامية مطوية كطي السجل للكتب،

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧): ينددون.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٢٣ - (٢٧٨٧) حَدَّثَنِي حَزْمَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي ابْنُ الْمُسَيَّبِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقْبُضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيَنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ»^(١).

(يَقْبُضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ثابت بالقرآن والسنة.

(وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ) على ما تقدم.

(ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيَنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ) ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾

[سورة غافر: ١٦] مع أن الملك له في الدنيا والأخرى، لكن يتمحض الملك له في ذلك اليوم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٢٤ - (٢٧٨٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ حَمْزَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَطْوِي اللَّهُ عَزَّجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيَنْ الْجَبَّارُونَ، أَيَنْ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيَنْ الْجَبَّارُونَ، أَيَنْ الْمُتَكَبِّرُونَ»^(٢).

٢٥ - (٢٧٨٨) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِقْسَمٍ: أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ كَيْفَ يَحْكِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَأْخُذُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ فَيَقُولُ: أَنَا اللَّهُ، وَيَقْبُضُ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٨١٢).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٤١٢).

أَصَابِعُهُ وَيَسُطُّهَا، أَنَا الْمَلِكُ»، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمُنْبِرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَا أَقُولُ: أَسَاقِطُ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

٢٦ - (٢٧٨٨) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِقْسَمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمُنْبِرِ وَهُوَ يَقُولُ: «يَأْخُذُ الْجَبَّارُ عَرْجَلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ» ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثٍ يَعْقُوبُ.

(عمر بن حمزة) ضعيف.

لفظ الشمال شاذ، شذ به عمر بن حمزة، بل هو منكر، وقد جاء في حديث عبد الله بن عمرو: أن النبي ﷺ قال: «وكلنا يدي ربي يمين».

وفيه أيضا الإشارة عند التحديث بالصفة، لكن إذا كان لا يوهم التمثيل، ولا يؤدي إلى التكيف، وقد بسطت هذه المسألة في رسالتي (مسألة في تحديث العوام بأحاديث الأسماء والصفات).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيمَا وَرَدَ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مِنْ مُشْكِلٍ، وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، وَلَا نُشَبِّهُ شَيْئًا بِهِ، وَلَا نُشَبِّهُهُ بِشَيْءٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١] وَمَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَثَبَّتَ عَنْهُ، فَهُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ، فَمَا أَدْرَكْنَا عِلْمَهُ فَبِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا خَفِيَ عَلَيْنَا أَمَنَّا بِهِ وَوَكَّلْنَا عِلْمَهُ إِلَيْهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وَحَمَلْنَا لَفْظَهُ عَلَى مَا احْتُمِلَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الَّذِي خُوِطِبْنَا بِهِ، وَلَمْ نَقْطَعْ عَلَى أَحَدٍ مَعْنِيَهُ بَعْدَ تَنْزِيهِهِ سُبْحَانَهُ عَنْ ظَاهِرِهِ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

الصحيح أن الكلام معلوم المعنى، الطي معروف في كلام العرب، والأخذ معروف في كلام العرب، والهز معروف في كلام العرب، إلا أننا لا نمثل ولا نكيف، فالكيف مجهول، والمعنى معلوم، ولما سئل الإمام مالك **رَحِمَهُ اللَّهُ** عن قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه: ٥] كيف استوى؟ قال: الاستواء معلوم،

والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، أخرجه الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ وَخَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٢٧ - (٢٧٨٩) حَدَّثَنِي سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَا: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فِي آخِرِ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ».

٢٧ - (٢٧٨٩) قَالَ إِبْرَاهِيمُ: حَدَّثَنَا الْبُسْطَامِيُّ، وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ عِيسَى، وَسَهْلُ بْنُ عَمَّارٍ، وَإِبْرَاهِيمُ ابْنُ بِنْتِ حَفْصٍ، وَغَيْرُهُمْ عَنْ حَجَّاجٍ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

(سريج بن يونس) يصحف إلى شريح.

هذا الحديث مما انتقد على الإمام مسلم، والصحيح أنه موقوف على كعب الأخبار، ولا يثبت إلى النبي ﷺ، وهو مخالف لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

قال الحافظ ابن كثير: وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَرَائِبِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَقَدْ تَكَلَّمَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَالْبُخَارِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْحُفَظِ، وَجَعَلُوهُ مِنْ كَلَامِ كَعْبٍ، وَأَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ إِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ كَلَامِ كَعْبِ الْأَخْبَارِ، وَإِنَّمَا اشْتَبَهَ عَلَى بَعْضِ الرُّوَاةِ فَجَعَلُوهُ مَرْفُوعًا، وَقَدْ حَرَّرَ ذَلِكَ الْبَيْهَقِيُّ.

قال رحمه الله:

بَابُ فِي الْبَعْثِ وَالتَّنْشُورِ وَصِفَةِ الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٢٨ - (٢٧٩٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ»^(١).

(خالد بن مخلد) القطواني.

(أبو حازم بن دينار) سلمة، والذي يروي عن أبي هريرة: سليمان الأشجعي.
هذا بعد أن تسير الجبال، وتكون كالعهن المنفوش، وبعد ذلك السراب، وبعد ذلك لا يرى فيها عوجا ولا أمتى، ليس معنى ذلك أنها ابتداء تكون هكذا.
(يُحْشَرُ النَّاسُ) ومن شاء الله حشره من الدواب، والجن والإنس، والملائكة.
(عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ) لا جبال فيها، ولا أودية، ولا ماء.
(عَفْرَاءَ) يعني إلى الحمرة.
(كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ): الدقيق الحوري هو الدرمل.
(لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ) يعني ليس بها علامة، ولا سكنى، ولا بناء ولا شيء.
قال الإمام مسلم رحمه الله:

٢٩ - (٢٧٩١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ دَاوُدَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ:

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٢١).

﴿يَوْمَ نُبَدِّلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ [سورة إبراهيم: ٤٨] فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «عَلَى الصِّرَاطِ».

في حديث ثوبان وقد تقدم في الطهارة: «**في الظلمة دون الجسر**».

وفي الحديث إثبات الصراط، وأنه خلق عظيم، حيث يكون الناس جميعاً في الظلمة دون الجسر.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ نُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٣٠ - (٢٧٩٤) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هَلَالٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَكْفُوهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفُو أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نَزْلًا لِأَهْلِ الْحَنَّةِ».

قَالَ: فَأَتَى رَجُلٌ مِّنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ أَبَا الْقَاسِمِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِنَزْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَظَنَرِ الْإِنْسَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: إِدَامُهُمْ بِالْأَمِّ وَنُونٌ قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: نَوْرٌ، وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةٍ كَبِدَهُمَا سَبْعُونَ أَلْفًا^(١).

(تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْرَةً وَاحِدَةً) يعني بعد أن تذهب جبالها، وتسوى مهادها.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٢٠).

(يَكْفُوْهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ) يعني على الحديث الأول، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة الزمر: ٦٧].

(كَمَا يَكْفُو أَحَدُكُمْ خُبْرَتَهُ فِي السَّفَرِ) ليس فيه تمثيل المخلوق بالخالق أو الخالق بالمخلوق، وإنما فيه إثبات الصفة.

(أَلَا أُخْبِرُكَ بِنَزْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟) أي ضيافتهم حين يدخلون الجنة ابتداء؛ لأن القادم من السفر لا بد له من تحفة وضيافة، وهذا خلق ينبغي أن يتخلق به كل مضيف، فالقادم يحتاج إلى شرب، وربما احتاج إلى طعام، وربما احتاج إلى مكان لقضاء حاجته، إلى أمور يتفطن له فيها.

هذا النزول غير ما سيعد له من الضيافة، هذا ابتداء يكرم به.

(ثُمَّ صَحِّحَكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ)؛ لأن اليهودي وافقه فيما قال.

(ثَوْرٌ، وَنَوْنٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةٍ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا) ينحر لهم ثور الجنة الذي يرتعي في أطرافها، ثم يأخذون زيادة الكبد، أنت إذا نظرت إلى الكبد تجده على هيئة واحدة، وفيه زيادة كالإبهام لليد، هذه الزيادة هي تحفة أهل الجنة ابتداء، فكم حجم هذه الكبد؟ سبحانه الله، يكرمهم إكراما عظيما.

والنون: حوت.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣١ - (٢٧٩٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا قُرَّةٌ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ تَابَعَنِي عَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لَمْ يَبْقَ عَلَى ظَهْرِهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا أَسْلَمَ»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٩٤١).

يريد: لو تابعه عشرة من كبارهم من علمائهم المتبعون لأمن بقيتهم، لكن الواقع أن هؤلاء العشرة عارضوه، وحاربوه، وكذبوه، مع علمهم بصدقه، ومع دلائل نبوته حتى قال الله عز وجل: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٧٦].

وذكر في السيرة: أن صفية بنت حيي سمعت عمها أبا ياسر يسأل أباها حي بن أخطب: أهو هو؟ قال: والله إنه له، يعني مقرر، قال: وماذا سيكون شأنك معه؟ قال: لا أزال أحاربه، فالشاهد أنهم عرفوه.

فمثلا لو آمن مثل هذا حيي بن أخطب ومرحب ومن إليهم من كبارهم، مثل كعب بن الأشرف، الذين إليهم الفتوى والدلالة والمتابعة لاتبعه جميع اليهود، وسلم الناس من شرهم، لكن الله الحكمة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ سُؤَالِ الْيَهُودِ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الرُّوحِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الْآيَةُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٢ - (٢٧٩٤) حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ وَهُوَ مُتَكِيٌّ عَلَى عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ فَقَالُوا: مَا رَابِكُمْ إِلَيْهِ لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ. فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَسَأَلَهُ عَنِ الرُّوحِ، قَالَ: فَأُسْكِتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، قَالَ: فَقُمْتُ مَكَانِي فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالُ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٨٥] (١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٢٥).

٣٣ - (٢٧٩٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ، بَنَحُو حَدِيثَ حَفْصٍ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ وَكِيعٍ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٨٥] وَفِي حَدِيثِ عِيسَى بْنِ يُونُسَ: وَمَا أُوتُوا، مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ خَشْرَمٍ.

٣٤ - (٢٧٩٤) حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ إِدْرِيسَ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَرْوِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي نَخْلٍ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ عَنِ الْأَعْمَشِ. وَقَالَ فِي رِوَايَتِهِ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٨٥].

(عبد الله) بن مسعود.

(فِي حَرْثٍ) أي فِي زَرْعٍ.

(وَهُوَ مُتَّكِيٌّ عَلَى عَسِيبٍ): مَا يَكُونُ مِنْ سَعْفِ النَّخْلِ بَعْدَ أَنْ يَبْعَدَ مِنْهُ الْأَوْرَاقُ.

(إِذْ مَرَّ بِنَقَرٍ مِنَ الْيَهُودِ) مَجْمُوعَةٌ دُونَ الْعَشِيرَةِ.

(مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ) لَا تَسْأَلُوهُ، هَذَا سِيَائِكُمْ بِأَمْرٍ لَا يَعْجَبُكُمْ.

وقد اختلف العلماء في شأن الروح اختلافا كثيرا، أشار إليه. الشوكاني وغيره عند تفسير هذه الآية، والصحيح أن نبقى على ما قاله الله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٨٥]، ونؤمن بصفاتها، من أنها تدخل وتخرج، وأنها تتألم وتنعم، وتعذب، وأنها ترى، ففي الحديث: «أَلَمْ تَرَوْا الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ شَخَصَ بَصَرُهُ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ حِينَ يَنْبُعُ بَصَرُهُ نَفْسَهُ».

واختلفوا أيضا: هل الروح هي النفس أو بينهما خلاف؟ فذهب بعضهم إلى أن الروح هي النفس، إلا أن الروح تطلق إذا تجردت عن البدن، ويطلق عليها النفس إذا كانت متصلة بالبدن، في أمور يذكرها أهل العلم.

والروح خلقها الله للبقاء لا للفناء، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [سورة الحجر: ٢٩] أي: من الأرواح التي عند الله عزَّ وجلَّ، ليس معناه أن الله متصف بصفة الروح، وهي من أمر الله، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة يس: ٨٢].

وابن حزم جزم أن النفس هي الروح. والصحيح أن بينهما عموم وخصوص، في بعض المواطن قد يكون المراد بالنفس: الذات مع ما فيها من الروح والبدن، وقد يراد بالنفس: النفس الذي يدخل ويخرج، وقد يراد بالنفس الروح، كلام كثير لأهل العلم ملخصه هذا، والله أعلم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٣٥ - (٢٧٩٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ وَاللَّفْظُ لِعَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ خَبَّابٍ قَالَ: كَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ فَقَالَ لِي: لَنْ أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي لَنْ أَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ: وَإِنِّي لَمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ؟ فَسَوْفَ أَقْضِيكَ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى مَالٍ وَوَلَدٍ. قَالَ وَكِيعٌ: كَذَا قَالَ الْأَعْمَشُ. قَالَ: فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [سورة مريم: ٧٧] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [سورة مريم: ٨٠] ^(١).

٣٦ - (٢٧٩٥) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ،

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٠٩١).

حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَ حَدِيثٍ وَكَيْعٍ. وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: كُنْتُ قَيْنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَعَمِلْتُ لِلْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ عَمَلًا فَأَتَيْتُهُ أَتْقَاضَاهُ.

(العاص بن وائل) من طواغيت قريش، وعظمائهم وكبرائهم.

(فَأَتَيْتُهُ أَتْقَاضَاهُ) يعني: يطلب دينه منه.

(لَنْ أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ) شدة بغض الكفار للمسلمين، وحرصهم على

ارتداد المسلمين.

(وَإِنِّي لَمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ؟)؛ لأن الكفار يستبعدون ذلك.

(فَسَوْفَ أَقْضِيكَ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى مَالٍ وَوَلَدٍ) قال هذا على سبيل السخرية

والاستهزاء، أو على سبيل الفخر، يقول: إذا كان لي مال وولد في الدنيا لو قدر أن هناك حياة أخرى فسيكون لي نحو ذلك.

﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾ على أنه سيكون له مال وولد، ﴿أَوْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ على

أن يكون له المال والولد؟ كلا، نفى الله عز وجل ذلك، لا هو ممن اطلع على الغيب وليس له عند الله عهد.

آيات عظيمة جليات في سورة مريم.

قال رحمه الله:

بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٣٧ - (٢٧٩٦) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ الزِّيَادِيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأنفال: ٣٢]. فَتَرَلْتُ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٣-٣٤] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ^(١).

هذا مرسل صحابي.

﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوفيق عزيز، لو قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا لر بما هدي إلى الحق، لكن انظروا إلى عظيم المكابرة، لشدة بغضه للإسلام وأهل الإسلام يقول: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء تهلكنا، أو اثنتا بعذاب أليم، فاستجاب الله دعوته، وكان ما كان يوم بدر، حيث قُتل منهم سبعون وأسر سبعون، ولحقهم الذل والهوان.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾؛ لأن الله إذا أراد رحمة أمة مات نبيها قبلها.

وفيه أن الاستغفار سبب لرفع العذاب.

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٣] أي يتوبون من الشرك، لكن ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [سورة الأنفال: ٣٤]؟ عذبهم، وقتلهم، ودفنوا في قليب بدر.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ قَوْلِهِ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا﴾ أَنْ نَرَاهُ اسْتَغْفَرَ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٦٤٨).

٣٨ - (٢٧٩٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْقَيْسِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنِي نَعِيمُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَّانٌ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُغْفَرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَّأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجَّهْتُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ، وَهُوَ لَا وَاجِنَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا».

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَا نَذْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ شَيْءٍ بَلَغَهُ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ ١ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْفَى ٢ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ٣ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ٤ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ٥ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ٦ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ٧ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ٨ ﴿سورة العلق: ٦-١٣﴾ يَعْنِي أَبُو جَهْلٍ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ٩ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ١٠ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١١ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ١٢ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ١٣﴾ كَلَّا لَا نَطْعُهُ ١٤ وَأَسْجُدْ ١٥ وَاقْتَرِبْ ١٦ ﴿سورة العلق: ١٤-١٩﴾ زَادَ عَبْدُ اللَّهِ فِي حَدِيثِهِ قَالَ: وَأَمَرَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَزَادَ ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ﴿سورة العلق: ١٧﴾ يَعْنِي قَوْمَهُ.

(أبو حازم) سلمان الأشجعي.

(هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟) أَيِ يَسْجُدُ فِي الْأَرْضِ؟

(وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى) أَلِهَتُهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

(لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَّانٌ عَلَى رَقَبَتِهِ) كَالْإِهَانَةِ لَهُ، صَانَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ ذَلِكَ.

(أَوْ لَأُغْفَرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ) يَمْرُغُ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، زَعَمَ الْخَبِيثُ ذَلِكَ.

(فَمَا فَجَّهْتُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ): يَرْجِعُ الْقَهْقَرَى.

(وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ) كَأَنَّهُ يَرَى شَيْئًا.

(فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟) لأنهم لم يروا ما رأى.
 (إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخُنْدَقًا مِنْ نَارٍ، وَهُوَ لَا وَأَجْنِحَةٌ) أجنحة الملائكة، هل دعاه ذلك إلى
 الإيمان؟ أبدا، لم يدخل في الإيمان، ولم يكن سبيله الإحسان.
 (بِالنَّاصِيَةِ) مقدمة الرأس.

(نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) أي ناصية أبي جهل.
 (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) أي قومه الذين في ناديه مجلسه يضحكون معه، ويكثرون سواده.
 (سَنَدْعُ الزَّانِيَةَ) ملائكة الله عَزَّوَجَلَّ.
 (كَأَلَا لَا تَطْعُهُ) فيما يقول، وتترك الصلاة.
 وهذا من دفاع الله عَزَّوَجَلَّ عن نبيه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [سورة
 المائدة: ٦٧].

(وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) أي تقرب إلى الله بالصلاة ونحوها، وفي حديث أبي هريرة، قال
 رسول الله ﷺ: (أقرب ما يكون العبد من الرب وهو ساجد) أخرجه مسلم.
 قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ الدُّخَانِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٩ - (٢٧٩٨) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي
 الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ جُلُوسًا، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بَيْنَنَا فَأَتَاهُ رَجُلٌ
 فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّ قَاصًّا عِنْدَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ يَقْصُ، وَيَزْعُمُ أَنَّ آيَةَ الدُّخَانِ
 تَجِيءُ فَتَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ، وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ،
 وَجَلَسَ وَهُوَ غَضْبَانٌ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ، مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ،
 وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ،

فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص: ٨٦] «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِذْبَارًا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ سَبِّحْ كَسْبِيعِ يَوْسُفَ»، قَالَ: فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ مِنَ الْجُوعِ، وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ أَحَدُهُمْ فَيَرَى كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَاتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ جِئْتَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَبِصَلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ لَهُمْ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الدخان: ١٠-١١] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [سورة الدخان: ١٥] قَالَ: أَفَيُكْشَفُ عَذَابُ الْآخِرَةِ؟ ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [سورة الدخان: ١٦] فَالْبَطْشَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ، وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ وَآيَةُ الرُّومِ ^(١).

٤٠ - (٢٧٩٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكَيْعٌ، (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، أَخْبَرَنَا وَكَيْعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ، (ح) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صُبَيْحٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ فَقَالَ: تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلًا يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ، يُفَسِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [سورة الدخان: ١٠] قَالَ: يَأْتِي النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُخَانٌ، فَيَأْخُذُ بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَأْخُذَهُمْ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ، مِنْ فَهْمِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ: اللَّهُ أَعْلَمُ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا: أَنْ قُرِئَ لِمَا اسْتَعْصَمَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: دَعَا عَلَيْهِمْ بِسَنِينَ كَسَنِي يَوْسُفَ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ، وَحَتَّى أَكَلُوا

الْعِظَامَ، فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرِ اللَّهَ لِمُضَرٍّ، فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، فَقَالَ: «لِمُضَرٍّ؟ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ»، قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كَاشَفُوكَ الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [سورة الدخان: ١٥] قَالَ: فَمُطِرُوا، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَةُ قَالَ: عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الدخان: ١٠-١١] يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [سورة الدخان: ١٦] قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ ^(١).

٤١ - (٢٧٩٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ: الدُّخَانُ وَاللِّزَامُ وَالرُّوْمُ وَالْبَطْشَةُ وَالْقَمَرُ ^(٢).

٤١ - (٢٧٩٨) حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

(قَاصًّا) القصاص غالبا يقصون بدون أدلة.

(مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ) بمعنى: لا تحدث إلا بما علمت، لا تقل على الله ما لم يقل، ولا تتقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل.

(فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ) سواء في العلميات أو في العمليات.

(﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾) يعني لا يتكلف الإجابة بما لا علم له فيه، أو الكلام بما لا دليل معه إليه.

(اللَّهُمَّ سَبِّعْ كَسْبَ يُونُسَ) دعا على قريش، والمراد بها سبع محملات من المطر.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٨٢١).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٧٦٧).

(قَالَ: فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ) يعني ذهب معها الطعام والمدخر.
 (وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ أَحَدُهُمْ فَيَرَى كَهَيْئَةَ الدُّخَانِ) على مذهب عبد الله بن مسعود أن
 الدخان عبارة عن تخيل لا حقيقة له، بسبب القحط، لكن الصحيح أن الدخان لا مانع
 أن يكون قد كانوا يتخيلون ذلك، وهي آية من آيات الله في آخر الزمان.
 (إِنَّكَ جِئْتَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَبِصَلَةِ الرَّحِمِ) هذا إذا احتاجوا إليه.
 (وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا) أهلكهم الحر والجوع، وقلة الماء.
 (وَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ، وَالْبُطْشَةُ وَاللِّزَامُ وَآيَةُ الرُّومِ) هذا مذهب عبد الله بن مسعود
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الصحيح خلاف ما ذهب إليه، فالروم كونهم آية سيكون في آخر الزمان قتالهم
 للمسلمين، وغدرهم بالمسلمين، وهكذا الدخان سيكون غير هذا الدخان الذي هو
 عبارة عن تخيلات قد مضت.

واللازم هو الذي لا يتحول عنهم، عذاب الآخرة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٢ - (٢٧٩٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَزْرَةَ، عَنِ الْحَسَنِ الْعُرَيْنِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْجَزَّارِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [سورة السجدة: ٢١]، قَالَ: مَصَائِبُ الدُّنْيَا وَالرُّومُ وَالْبُطْشَةُ، أَوِ الدُّخَانُ، شُعْبَةُ الشَّاكُ فِي الْبُطْشَةِ أَوِ الدُّخَانِ.

هذه الآية قد استدل بها بعض أهل العلم على إثبات عذاب القمر.

(﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ﴾) عذاب القبر.

(﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾): عذاب القيامة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وبعضهم رد هذا الاستدلال قال: يرجعون إلى ماذا؟ هذا في الشأن الدنيوي، لكن لا مانع من الاستدلال بالآية على الوجهين، سواء ما يتعلق بعذاب القبر أو بالعذاب الدنيوي.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٤٣ - (٢٨٠٠) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشَقَّتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُوا»^(١).

٤٤ - (٢٨٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعًا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، كِلَاهُمَا عَنْ الْأَعْمَشِ، (ح) وَحَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَنَى، إِذَا انْفَلَقَ الْقَمَرُ فِلْقَتَيْنِ، فَكَانَتْ فِلْقَةٌ وَرَاءَ الْجَبَلِ، وَفِلْقَةٌ دُونَهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُوا».

وسبب هذه الآية أنهم طلبوها، كما سيأتي.

(بمنى) هو مشعر حرام.

(أشهدوا) بمعنى انظروا، ولا بأس أن يكون يطلب منهم الشهادة على المخالفين.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦٣٦).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥ - (٢٨٠١) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَقَتَيْنِ، فَسَرَّ الْجَبَلُ فَلَقَةً، وَكَانَتْ فَلَقَةٌ فَوْقَ الْجَبَلِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ».

٤٥ - (٢٨٠١) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، مِثْلَ ذَلِكَ.

٤٥ - (٢٨٠١) وَحَدَّثَنِيهِ بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ بِإِسْنَادِ ابْنِ مُعَاذٍ، عَنْ شُعْبَةَ نَحْوَ حَدِيثِهِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي عَدِيٍّ: فَقَالَ: «اشْهَدُوا اشْهَدُوا».

٤٦ - (٢٨٠٢) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ ^(١).

٤٦ - (٢٨٠٢) وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ بِمَعْنَى حَدِيثِ شَيْبَانَ.

٤٧ - (٢٨٠٢) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَأَبُو دَاوُدَ (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَأَبُو دَاوُدَ، كُلُّهُمْ عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ فِرْقَتَيْنِ وَفِي حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

هذا مرسل صحابي، ومراسيل الصحابة مقبولة.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦٣٧).

وقوله: (فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ) لعلمهم طلبوا الرؤية فأراهم، ثم ما زالوا يتشككون فأراهم مرة أخرى، ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَالنَّشَقُ الْقَمَرُ﴾ ❶ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعِجٌّ ﴿٢﴾ [سورة القمر: ١-٢]، يعني لم يؤمنوا بهذه الآية، بل قالوا: هذا سحر ثابت مستقر ما يتغير ولا يتبدل، مع أن المؤرخين في الهند وغيرها ذكروا هذه الحادثة، انشقاق القمر كما ذكر شراح الحديث.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٨ - (٢٨٠٣) حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ قُرَيْشٍ التَّمِيمِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ بَكْرِ بْنِ مُضَرَ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ رَبِيعَةَ، عَنْ عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ عَلَى زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ❶.

قَالَ الْقَاضِي: انْشِقَاقُ الْقَمَرِ مِنْ أَمَّهَاتِ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنا ﷺ، وَقَدْ رَوَاهَا عِدَّةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - مَعَ ظَاهِرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَسِيَاقِهَا.

قَالَ الرَّجَّاجُ: وَقَدْ أَنْكَرَهَا بَعْضُ الْمُتَبَدِّعَةِ الْمُضَاهِينَ الْمُخَالِفِي الْمِلَّةِ، وَذَلِكَ لَمَّا أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ، وَلَا إِنْكَارَ لِلْعَقْلِ فِيهَا؛ لِأَنَّ الْقَمَرَ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ تَعَالَى، يَفْعَلُ فِيهِ مَا يَشَاءُ، كَمَا يُفْنِيهِ وَيُكْرِرُهُ فِي آخِرِ أَمْرِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُ بَعْضِ الْمَلَاحِدَةِ: لَوْ وَقَعَ هَذَا لَنَقَلَ مُتَوَاتِرًا، وَاشْتَرَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ فِي مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَخْتَصَّ بِهَا أَهْلُ مَكَّةَ، فَأَجَابَ الْعُلَمَاءُ بِأَنَّ هَذَا الْإِنْشِقَاقَ حَصَلَ فِي اللَّيْلِ، وَمُعْظَمُ النَّاسِ نِيَامٌ غَافِلُونَ، وَالْأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ، وَهُمْ مُتَغَطُّونَ بِثِيَابِهِمْ، فَقَلَّ مَنْ يَتَفَكَّرُ فِي السَّمَاءِ أَوْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا إِلَّا الشَّاذُّ النَّادِرُ، وَمِمَّا هُوَ مُشَاهِدٌ مُعْتَادٌ أَنْ كُسُوفَ الْقَمَرِ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْأَنْوَارِ الطَّوَالِغِ وَالشُّهُبِ الْعِظَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْدُثُ فِي السَّمَاءِ فِي اللَّيْلِ، يَقَعُ، وَلَا يَتَحَدَّثُ بِهَا إِلَّا الْآحَادُ، وَلَا عِلْمَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ، لِمَا ذَكَرْنَاهُ، وَكَانَ هَذَا الْإِنْشِقَاقُ

❶) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦٣٨).

آيَةٌ حَصَلَتْ فِي اللَّيْلِ لِقَوْمٍ سَأَلُوهَا، وَافْتَرَحُوا رُؤُوسَهَا، فَلَمْ يَنْبَنَ عَنْهُمْ لَهَا، قَالُوا: وَقَدْ يَكُونُ الْقَمَرُ كَانَ حِينَئِذٍ فِي بَعْضِ الْمَجَارِي وَالْمَنَازِلِ الَّتِي تَظْهَرُ لِبَعْضِ الْأَفَاقِ دُونَ بَعْضٍ، كَمَا يَكُونُ ظَاهِرًا لِقَوْمٍ غَائِبًا عَنْ قَوْمٍ، كَمَا يَجِدُ الْكُشُوفَ أَهْلُ بَلَدٍ دُونَ بَلَدٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ لَا أَحَدَ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٩ - (٢٨٠٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَأَبُو أُسَامَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا أَحَدَ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»^(١).

٤٩ - (٢٨٠٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، إِلَّا قَوْلَهُ: «وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ»، فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ.

٥٠ - (٢٨٠٤) وَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا، وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ».

فيه إثبات صفة الصبر لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليق بجلاله، ومن أسمائه الحليم، وهو الذي يؤخر العقوبة، فيُسبب، ويجعل له الولد، والصاحبة، ويشرك معه غيره، ومع ذلك يعفو

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٠٩٩).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عمن أسلم، ولو صدر منه ما صدر، ويؤخر العقوبة عمن لم يسلم، ولو صدر منه ما صدر.

ولذلك تجد أهل الكفر في سعة حال، ورغد عيش، وتمكن من كثير من الناس مع ما هم فيه من الظلم الكبار، وإلا فبعض أحداث الكافرين كفيلة بإهلاكهم لو عاجلهم الله **عَزَّجَلَّ** عليها بعقوبة، ولكنه له المثل الأعلى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ﴿فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُؤُودًا﴾ [سورة الطارق: ١٧].

انظروا في زمننا الحاضر كم قد فعلت أمريكا من البوائق في بلاد الإسلام وغيرها ومع ذلك ما زالت قائمة على عروشها، وإلا فالقنبلة التي ألقتها على هيروشيما شيء ربما لا يخطر على قلبك، أتت على البيوت، أتت على الأحياء، أتت على كل شيء وتستمر في انفجارها؛ لأنها قنبلة ذرية ونووية، حتى أهلك الحث والنسل، وإلى الآن، وكم فعلت في العراق؟ وفي أفغانستان، وفي فيتنام، وفي الحربين العالمية الأولى والثانية، وفي أرض فلسطين، بل وكثير من البلاء في كثير من البلدان الإسلامية صادر عن سياستها الماسونية الخبيثة، فرقت المسلمين إلى دويلات، واستولت على مصادر نفطهم، والله الحكمة البالغة، والحجة الدابغة.

لكن عسى أن يدمدم الله **عَزَّجَلَّ** عليهم، ويرى المسلمين والمستضعفين ثأرهم من هذا البلد الظالم الغاشم.

فلا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله، أو على سوء يراه من الله، فهو عالم بجميع ما يكون من السوء، والفواحش، والشرور، والآثام، ومع ذلك يعافهم ويرزقهم، وقل أن يعاجلهم بعقوبة.

(إِنَّهُمْ يَجْعُلُونَ لَهُ نِدًّا) أي مثيلا ونظيرا وظهيرا من الأصنام والأوثان، يعبدونها ويدعونها من دون الله.

(وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا) وهذا أمر اتفق عليه أهل الشرك، فكفار العرب جعلوا الملائكة بنات الله، والنصارى جعلوا عيسى ابن الله، واليهود جعلوا عزير ابن الله وهكذا حتى البوذيون لهم نوع كلام في هذا، والهندوس لهم نوع كلام في هذا، فتكاد تتفق كلمة المجرمين الكافرين على إثبات الولد لله **عَزَّجَلَّ**، ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٢٦﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٢٧﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٢٨﴾ [سورة مريم: ٩١-٩٤].

(وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ) الرزق الحسي، أما المعنوي فهم بعيدون عنه، رزق الإسلام والإيمان والاستقامة، لكن يرزقهم ما يأكلونه، وما يتمنونونه، وما يركبونه. (وَيُعَافِيهِمْ) أي بعافية البدن، وأما عافية الدين فهو من أبعد الناس منها. (وَيُعْطِيهِمْ) أي ما يدخرون ويأكلون.

وقد قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ [سورة الزخرف: ٣٣-٣٥].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ طَلَبِ الْكَافِرِ الْفِدَاءَ بِمِلَّةِ الْأَرْضِ ذَهَبًا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥١ - (٢٨٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ:

قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لَا تُشْرِكَ» أَحْسَبُهُ قَالَ: «وَلَا أُدْخِلُكَ النَّارَ، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشَّرْكَ» ^(١).

٥١ - (٢٨٠٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي عَمْرَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ إِلَّا قَوْلَهُ: «وَلَا أُدْخِلُكَ النَّارَ»، فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ.

٥٢ - (٢٨٠٥) حَدَّثَنَا عُبيدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَ: إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ لِلْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ سُئِلْتَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ».

٥٣ - (٢٨٠٥) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، (ح) وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، يَعْنِي ابْنَ عَطَاءٍ، كِلَاهُمَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَيُقَالُ لَهُ: كَذَبْتَ، قَدْ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ».

(يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى) هذا حديث قدسي.

(لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا) ويرى أنه من أشدهم عذابا.

(لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟) أي من عذاب يوم القيامة، (فَيَقُولُ:

نَعَمْ)، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ بِبَنِيهِ ۖ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ۚ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۚ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۚ كَلَّا إِنَّمَا لَظَىٰ ۖ﴾ [المعارج: ١١-١٥].

(فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا) أي أيسر من أن تفتدي بأهل الدنيا أجمعين.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٣٣٤).

(وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ) وهذا دليل لما يذهب إليه بعض أهل العلم من أن الله استخرج ذرية آدم، وأشهدهم على أنفسهم، هذا هو المذهب الصحيح، والحجة لا تقوم عليهم بمجرد هذا الإشهاد، وإنما تقوم عليهم الحجة بإرسال الرسل، وإنزال الكتب؛ لتذكيرهم بهذا العهد والميثان، وإن كان ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** قد توسع في هذه المسألة وذهب إلى غير هذا القول، وهكذا نقله عنه ابن أبي العز مقرأ له، إلا أن المذهب الصحيح: أن الله أخرجهم من صلب آدم، وأخذ عليهم العهد الميثاق **﴿الْكَتُ بِرَبِّكَ قَالُوا بَلَى﴾** [سورة الأعراف: ١٧٢]، وهذا ظاهر آية سورة الأعراف مع هذا الحديث مع ما جاء من الآثار والأحاديث، كحديث عمر، وحديث أبي هريرة في الباب.

وابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** مع ترجيحه للقول الذي أشرنا إليه يقول في هذا القول: ومع ذلك هناك أدلة، يعني بمعنى كلامه قد لا تدفع، يشير إلى أن هذه المسألة ثابتة.

(وَلَا أَدْخَلَكَ النَّارَ، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشَّرْكَ) دليل على أن الشرك صاحبه يدخل النار فإن كان الأصغر يمحص ثم يكون مآله إلى الجنة، وإن كان الأكبر **﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾** [سورة البقرة: ١٧٧].

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ: يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٥٤ - (٢٨٠٦) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَاللَّفْظُ لِرُحَيْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمَشِّيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى وَعِزَّةُ رَبَّنَا ^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٧٦٠).

(كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟) وهذا يؤمن به، فقد أخبر الله به في كتابه، وأخبر به الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]، تفسير ابن كثير الآية ٢٢ من سورة الملك: "ثم قال: (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم)؟: وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكبا على وجهه، أي: يمشي منحنيا لا مستويا على وجهه، أي: لا يدري أين يسلك، ولا كيف يذهب؟ بل تائه حائر ضال، أهذا أهدى (أمن يمشي سويا) أي: منتصب القامة) على صراط مستقيم) أي: على طريق واضح بين، وهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة. هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة. فالمؤمن يحشر يمشي سويا على صراط مستقيم، مفضى به إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم، (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون).

(بَلَىٰ وَعِزَّةٌ رَبَّتَا) يعني قادر، ولا يعجز الله شيء.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ صَبْغِ أَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي النَّارِ وَصَبْغِ أَشَدِّهِمْ بُؤْسًا فِي الْجَنَّةِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٥ - (٢٨٠٧) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا

قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ.

(يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ) أي من الكفار الذين تنعموا في الدنيا غاية النعيم. (فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً) يُدْخَلُ وَيُخْرَجُ. (لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ) ينسى ذلك كله بسبب تلك الصبغة، وهذا دليل على شدة العذاب التي أنسته الأحوال الكثيرة التي كان فيها. (وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)؛ لأن الجنة لا يدخلها إلا أهل الإيمان. (لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ) وهذا دليل على عظيم نعيم أهل الجنة، حتى أن الإنسان البائس في الدنيا ينسى جملة ما مر عليه، ولا يذكره ولا يذكر إلا تلك الصبغة التي رآها. الحديث دليل على عظيم شأن الجنة في النعيم، وعلى عظيم شأن النار في العذاب الأليم، وأن العبرة بالآخرة، والعمل بالخواتيم. قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ جَزَاءِ الْمُؤْمِنِ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَتَعْجِيلِ حَسَنَاتِ الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٦ - (٢٨٠٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لَزُهَيْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا».

٥٧ - (٢٨٠٨) حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التَّيْمِيُّ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، حَدَّثَنَا قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ

حَسَنَةً، أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ.

٥٧ - (٢٨٠٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّزِّيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ فَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِهِمَا.

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً) بل يضاعفها له عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

(يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ) يعني يُكرم في الدنيا برزق عليها ويكرم في الآخرة بجزائها العظيم موفى.

(وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا) يعني إذا عمل حسنة لله لا تكتب له حسنة، وإنما يطعم بها في الدنيا؛ لأنه أصلاً لا قيمة لحسناتهم، فلا تكتب الحسنة حسنة إلا بالإخلاص والمتابعة، وهؤلاء لا إخلاص ولا متابعة، لكن مع ذلك يعطى رزقا في الدنيا على قدر حسنته.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْكَافِرَ الَّذِي مَاتَ عَلَى كُفْرِهِ لَا ثَوَابَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يُجَازَى فِيهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا، مُتَقَرَّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَصَرَّحَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِأَنَّهُ يُطْعَمُ فِي الدُّنْيَا بِمَا عَمِلَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ، أَيْ: بِمَا فَعَلَهُ مُتَقَرَّبًا بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا لَا يَفْتَقِرُ صَحَّتُهُ إِلَى النِّيَّةِ، كَصَلَةِ الرَّحِمِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَتَقِ وَالضِّيَافَةِ وَتَسْهِيلِ الْخَيْرَاتِ وَنَحْوِهَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتُهُ وَثَوَابُ أَعْمَالِهِ إِلَى الْآخِرَةِ، وَيُجْزَى بِهَا مَعَ ذَلِكَ أَيْضًا فِي الدُّنْيَا، وَلَا مَانِعَ مِنْ جَزَائِهِ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ وَرَدَ الشَّرْعُ بِهِ فَيَجِبُ اعْتِقَادُهُ.

قال رحمه الله:

بَابُ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالزَّرْعِ وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَشَجَرِ الْأَرْزِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٥٨ - (٢٨٠٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ، لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ، لَا تَهْتَرُ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ»^(١).

٥٨ - (٢٨٠٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ مَكَانَ قَوْلِهِ: تُمِيلُهُ: تُفِيئُهُ.

(الزَّرْعُ) معروف، هذا الذي تظهر فيه حبوب، الذي ساقه خفيف، وفترته الزمنية سيرة، بخلاف الشجر، الشجر ساقه أقوى وعمره أطول، وقليل التغير، أما الزرع ساقه خفيف وعمره يسير، وسريع الفوت، ولذلك مُثِّلَ المؤمن كمثال الخامة من الزرع. (لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ) وليست إمالته إلى جانب واحد، ولكن تارة تميله إلى اليمين وتارة إلى اليسار، وتارة إلى الأمام، وتارة إلى الخلف، بل أحيانا تشتد عليه الريح فتجعله في مثل الدوامة، وهكذا المؤمن، يأتيه مرض صداع، مرض حمى مرض في بطنه، مرض في رأسه، مرض في جسده، أذى في أهله، أذى في رزقه، أذى في نومه وصحوه، وفي حله وسفره، لكن هذا خير بالنسبة له.

(وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ) أو الكافر.

(كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ) نوع من الشجر قوي الساق ثابت في الأرض.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٦٤٤).

(لَا تَهْتَزُّ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ) يعني ثابتة، ربما تأتي الرياح العواقي وهي ثابتة، وهكذا المنافق ربما لا يمرض، وربما لا يتعب ولا ينصب، فعند ذلك يموت موتى واحدة وإلى الجحيم، نسأل الله السلامة والعافية.

«لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوْ الْمُؤْمِنَةِ، فِي جَسَدِهِ، وَفِي مَالِهِ، وَفِي وَلَدِهِ، حَتَّى يُلْقَى اللَّهُ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»^(١)، وذلك أن البلاء كفارة للذنوب والمعاصي، وفي حديث أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: (من يرد الله به خيراً يصب منه) أخرجه البخاري، وقد تقدمت مجموعة من الأحاديث في كتاب البر والصلة، وقد شرح هذا الحديث ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٩ - (٢٨١٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي ابْنُ كَعْبٍ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْحَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى حَتَّى تَهْبِجَ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ الْمُجْدِيَةِ عَلَى أَصْلِهَا، لَا يُفَيِّئُهَا شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً»^(٢).

٦٠ - (٢٨١٠) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْحَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ مَثَلُ الْأَرْزَةِ الْمُجْدِيَةِ الَّتِي لَا يُصِيبُهَا شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً».

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٧٨٥٩)، عن أبي هريرة رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٦٤٣).

٦١ - (٢٨١٠) وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، وَمَحْمُودُ بْنُ عَيْلَانَ قَالَا: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، غَيْرَ أَنَّ مَحْمُودًا قَالَ: فِي رِوَايَتِهِ عَنْ بِشْرٍ: «وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ»، وَأَمَّا ابْنُ حَاتِمٍ فَقَالَ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ»، كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ.

٦٢ - (٢٨١٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى، وَهُوَ الْقَطَّانُ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: ابْنُ هَاشِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، وَقَالَ ابْنُ بَشَّارٍ عَنْ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ، وَقَالَا جَمِيعًا فِي حَدِيثِهِمَا عَنْ يَحْيَى: «وَمَثَلُ الْكَافِرِ مَثَلُ الْأَرْزَةِ».

(تَفْسِيْهَا الرِّيحُ) أي تميلها.

(تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى) يعني توطيها مرة حتى تتصل إلى الأرض، ثم ترفعها أخرى.

(حَتَّى تَهِيَجَ) يعني: تحصد وتموت وتذهب.

(الْأَرْزَةُ الْمُجْدِيَّةُ) يعني: الثابتة المنتصبة.

(حَتَّى يَكُونَ أَنْجَعُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً) تنقلع مرة واحدة، وتنتهي.

وهذا مثل ضربه النبي ﷺ للمؤمن والكافر، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [٤٣] سورة العنكبوت: ٤٣، فكون المؤمن كالزرعة تميله الريح مرة وتفيؤه أخرى دليل على تكفير السيئات، والتجاوز عنها، وكتابة الحسنات والثبات لها، بينما المنافق والكافر قد لا يتلى، والنبي ﷺ يقول: «يبتلى الناس على قدر إيمانهم فمن اشدَّ إيمانه اشدَّ بلاه».

قال رحمه الله:

باب: مثل المؤمن مثل النخلة

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٦٣ - (٢٨١١) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَفُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ: أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدَّثَنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَقَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ».

قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ قَالَ: لِأَنْ تَكُونَ قُلْتُ: هِيَ النَّخْلَةُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا» (١).

٦٤ - (٢٨١١) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْغُبَرِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ الضَّبْعِيِّ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: «أَخْبِرُونِي عَنْ شَجَرَةٍ مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ»، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَذْكُرُونَ شَجَرًا مِنْ شَجَرِ الْبَوَادِي. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَالْقِي فِي نَفْسِي أَوْ رُوِيَ أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَجَعَلْتُ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهَا، فَإِذَا أَسْنَانُ الْقَوْمِ، فَأَهَابُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، فَلَمَّا سَكَتُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ».

٦٤ - (٢٨١١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَمَا سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَانِي بِجُمَارٍ، فَذَكَرَ بَنَحُو حَدِيثَهُمَا.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦١).

٦٤ - (٢٨١١) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا سَيْفٌ قَالَ: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجُمَارٍ فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ.

٦٤ - (٢٨١١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ شَبِهَ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ، لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا»، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لَعَلَّ مُسْلِمًا قَالَ: «وَتُوتِي أَكْلُهَا»، وَكَذَا وَجَدْتُ عِنْدَ غَيْرِي أَيْضًا: «وَلَا تُوتِي أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ»، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَا يَتَكَلَّمَانِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: لِأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا.

(فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي) يعني هذا يقول: الشَّمْرَة، وهذا يقول: السدرة وهذا يقول: الضَّهِيَّة، كل تقع نفسه على شجرة.

(وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ) فالنخلة لا تسقط ورقها، والنخلة طويل ساقها، ثابتة في أرضها، كثير نفعها، ينتفع الناس بثمرها ونواها، وأوراقها وساقها، وبجميع مالها، والله عزَّ وجلَّ قد مثل كلمة الإخلاص وكلمة التقوى والعروة الوثقى بالنخلة: ﴿الَّذِينَ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [سورة إبراهيم: ٢٤-٢٥].

وهذا فيه وضع العالم السؤال على طلابه؛ لاختبارهم، ولتنبيههم وتعليمهم.

(فَاسْتَحْيَيْتُ) هذا شأن الصحابة، شأن طلاب العلم الذين يعملون بعلمهم، الآن لو أنت في مجلس مع العوام وجاء أحدهم يستفتي يضع السؤال وقبل أن يجيب العالم وإذا بالعامي يجيب، وربما يجيب العالم بالصواب ويرد العامي: لا لا كذا؛ لأنه أصلاً لا يعرف مقدار العلم، ولا مقدار السؤال، ولا مقدار الفتوى، بخلاف طالب العلم، يستحي أن يتقدم شيخه، وقد كانوا يتدافعون الفتوى في عهد الصحابة والتابعين.

(لِأَنْ تَكُونَ قُلْتُ: هِيَ النَّخْلَةُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا) سرور الإنسان بنجابه ولده،

وحسن فهمه، ذكروا أن العراقي كان إذا رأى ولده يدرس قال:

دُرُوسُ أَحْمَدَ خَيْرٌ مِنْ دُرُوسِ أَبِيهِ وَذَلِكَ عِنْدَ أَبِيهِ مُتَتَهًى أَرَبَهُ
وقد قيل نحو هذا البيت في بعض أبناء السبكي، دروس أحمد خير من دروس علي،
وذاك عند علي غاية الأمل.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَشَبَّهَ النَّخْلَةَ بِالْمُسْلِمِ فِي كَثَرَةِ خَيْرِهَا، وَدَوَامِ
ظِلِّهَا، وَطِيبِ ثَمَرِهَا، وَوُجُودِهِ عَلَى الدَّوَامِ، فَإِنَّهُ مِنْ حِينِ يَطْلُعُ ثَمَرُهَا لَا يَزَالُ يُؤْكَلُ كُلُّ
مِنْهُ حَتَّى يَبْسُ، وَبَعْدَ أَنْ يَبْسَ يُتَّخَذُ مِنْهُ مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ، وَمِنْ خَشْبِهَا وَوَرَقِهَا وَأَغْصَانِهَا،
فَيُسْتَعْمَلُ جُدُوعًا وَحَطَبًا وَعَصِيًّا وَمَخَاصِرَ وَحُضْرًا وَحَبَالًا وَأَوَانِي وَغَيْرَ ذَلِكَ، ثُمَّ آخِرُ
شَيْءٍ مِنْهَا نَوَاهَا، وَيُنْتَفَعُ بِهِ عُلَفًا لِلْإِبِلِ، ثُمَّ جَمَالُ نَبَاتِهَا، وَحُسْنُ هَيْئَةِ ثَمَرِهَا، فَهِيَ مَنَافِعُ
كُلِّهَا، وَخَيْرٌ وَجَمَالٌ، كَمَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ خَيْرٌ كُلُّهُ، مِنْ كَثَرَةِ طَاعَاتِهِ، وَمَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ،
وَيُؤَاطَبُ عَلَى صَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ، وَقِرَاءَتِهِ وَذِكْرِهِ، وَالصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ، وَسَائِرِ الطَّاعَاتِ،
وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي وَجْهِ التَّشْبِيهِ، قِيلَ: وَجْهُ الشَّبهِ أَنَّهُ إِذَا قُطِعَ رَأْسُهَا مَاتَتْ
بِخِلَافِ بَاقِي الشَّجَرِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهَا لَا تَحْمِلُ حَتَّى تُلَفَّحَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَائِيَهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٥ - (٢٨١٢) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَاقُ:
أَخْبَرَنَا، وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ:
سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ
الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ».
٦٥ - (٢٨١٢) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ،
حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

استدل بعض عباد القبور بهذا الحديث على نفي الشرك فيما يتعاطون من عبادتها، لا سيما في جزيرة العرب، مع أن كثيرا من القبور سواء في اليمن أو في الجزيرة قبل أن يمن الله بدعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب كانت تعبد من دون الله وتذر لها النذور، وتذبح لها الذبائح، وتدعى من دون الله، وتشد إليها الرحال ويطلب منها البركات، وأحوالهم معها كحال كفار قريش مع اللات والعزى ومناة، ونحو ذلك،
والجواب عن هذه الشبهة: أن هذا اليأس من الشيطان، وليس هو وحي من الرحمن حتى يقال: بأنه حكم لا يتغير.

الثاني: أن هذا اليأس من الشيطان حين ظهر الإسلام ظهورا قويا في زمن النبي ﷺ ومن تلاه من الصحابة الكرام والأئمة الأعلام، ثم حصل الضعف في الناس حتى عادوا إلى كثير مما عليه أهل الجاهلية.

الوجه الثالث: أن النبي ﷺ يقول: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرَّ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ»، ومعلوم أن دوس من جزيرة العرب، فلا حج لهم على تسويع باطلهم.

وفي هذا الحديث بيان أن الإسلام كان قد ظهر ظهورا قويا حتى يؤس الشيطان من عودة الناس إلى طاعته، ولكن مع ذلك لم يئأس من الحرشة بين الناس، وسلك سبيلا آخر لإضعافهم وإقلاقهم، والفتنة فيما بينهم، وهو التحريش، هذه الصفة الذميمة، والخصلة القبيحة، التي تسلك في كل زمن وحين، سلكها المنافقون وسلكها الكفار، وتسلكها في هذه الفترة المتأخرة المخابرات؛ لزعة الأخوة الإيمانية بين أبناء الدعوة الواحدة.

وهكذا ما أسرع التحريش بين الأزواج، وبين الجيران، وبين الأرحام، بل وبين الإخوان، بل وبين الآباء والأبناء، فهذا سبيل شيطاني، على الإنسان أن ينتبه له فإنه سبيل الشيطان إذا يؤس من التسلط على الإنسان، يسعى في التحريش، وتحمل الكلمة على

غير محملها، والفعلة على غير الشأن بها، وتساء الظنون، وتكثر معها الغيبة والنميمة والبهت.

فإذا كان التحريش بين البهائم قد نهى عنه النبي ﷺ فكيف بالتحريش بين المؤمنين والموحدين والمبشرين إلى طاعة رب العالمين؟ الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٠]، شأن الأخ أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٦٦ - (٢٨١٣) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً».

٦٧ - (٢٨١٣) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضْعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً، أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَحِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَحِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ»، قَالَ الْأَعْمَشُ: أَرَاهُ قَالَ: فَيَلْتَزِمُهُ».

٦٨ - (٢٨١٣) حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعِينَ، حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَبْعَثُ الشَّيْطَانُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً».

(فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ) يحرشون بين الناس، حتى يقع منهم التحريش بين المرء وزوجه، وهذا يقرب عند إبليس أكثر من غيره.

(فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً) من سلك سبيل التحريش ونجح فيه كان مقرباً إليه، يدينه على العرش، كما في الرواية الأخرى.

(فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَاً وَكَذَاً) أي أغويته، شغلته، شككته.

وهكذا إذا فرق بينه وبين أخيه، وهكذا إذا أدى إلى القتل والقتال وإلى تفتيت الصف الواحد يدينه، فشان الشيطان التحريش، وإفساد ذات البين.

وهذا دليل على أن للشيطان أعواناً كثر يطيعونه، ويأخذون أمره، وكما أن المتقين يقربون من أرحم الراحمين كذلك أصحاب الإجماع يقربون من الشيطان.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٩ - (٢٨١٤) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ»، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَيَايَايَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمْتُ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ».

٦٩ - (٢٨١٤) حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، يَعْنِي ابْنَ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ زُرَيْقٍ، كِلَاهُمَا عَنْ مَنْصُورٍ بِإِسْنَادِ جَرِيرٍ مِثْلَ حَدِيثِهِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ: «وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ».

(مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ) وهذا عام في الرجال والنساء والصغار والكبار، والأبرار والفجار، والمؤمنين والكفار.

(فَأَسْلَمْتُ) وفي نسخة: (فَأَسْلَمَ)، ومعنا (فَأَسْلَمْتُ) منه ومن مكروهه، ومعنى (فَأَسْلَمَ) أي: دخل في الإسلام، وأما بقية القرناء لا يدخلون في الإسلام، بل يقولون على كفرهم وعنادهم وبغيهم.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْخَطَّابِيُّ: الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ الرَّفْعُ، وَرَجَّحَ الْقَاضِي عِيَاضُ الْفَتْحُ، وَهُوَ الْمُخْتَارُ، لِقَوْلِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»، وَاخْتَلَفُوا عَلَى رِوَايَةِ الْفَتْحِ، قِيلَ: أَسْلَمَ بِمَعْنَى اسْتَسْلَمَ وَانْقَادَ، وَقَدْ جَاءَ هَكَذَا فِي غَيْرِ صَحِيحٍ مُسْلِمٍ (فَاسْتَسْلَمَ) وَقِيلَ: مَعْنَاهُ صَارَ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا، وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ.

قَالَ الْقَاضِي: وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ مُجْتَمِعَةٌ عَلَى عِصْمَةِ النَّبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ فِي جِسْمِهِ وَخَاطِرِهِ وَلِسَانِهِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى التَّحْذِيرِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَرِينِ وَوَسْوَاسَتِهِ وَإِغْوَائِهِ، فَأَعْلَمْنَا بِأَنَّهُ مَعَنَا لِنَحْتَرِزَ مِنْهُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ. اهـ

ومع ذلك تأتي منه البراءة يوم القيامة، ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٢٧) قَالَ لَا تَحْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ [سورة الزخرف: ٣٣-٢٩].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٠ - (٢٨١٥) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ، عَنْ ابْنِ قَسِيطٍ حَدَّثَهُ: أَنَّ عُرْوَةَ حَدَّثَهُ: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ حَدَّثَتْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا لَيْلًا قَالَتْ: فَعَرْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ: «**مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ أَعَزَّتِ؟**» فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أَفَدَّ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ؟**» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْمَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ: «**وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟**» قَالَ: «**نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ**»^(١).

(فَعَرْتُ عَلَيْهِ) شَأْنُ النِّسَاءِ فِي الْغِيَرَةِ وَإِسَاءَةُ الظَّنِّ بِالزَّوْجِ، هَذَا غَالِبًا أَنْ مَنْ تَزَوَّجَ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدَةٍ أَنْ إِسَاءَةَ الظَّنِّ وَقَعَ مِنْ بَعْضِ نِسَائِهِ، أَوْ مِنْ جَمِيعِهِنَّ، فَرُبَّمَا تَغَيَّرَتْ مِنْ تَأَخَّرِهِ، أَوْ تَغَيَّرَتْ مِنْ دَخُولِهِ وَخُرُوجِهِ؛ لَظُنُونِ يَلْقِيهَا الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِهِنَّ.

(١) وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، حَدِيثُ رَقْمٍ: (١٥٨٤).

(مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ أَغْرَتْ؟) يعني رأى صنيعها، وربما تغضب وتصخب، إلا أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: والله ما أهرج إلا اسمك.

(أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: نَعَمْ) هو القرين.

(وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟) وهذا من حكمتها ومن علمها، لم تقل: ومعك شيطان، تواجه الكلمة بالكلمة، فبعض النساء عندهن تجاوز، ربما زوجها سبها فسبته بنفس السببة، يعطيها الكلمة فترد عليه بمثله.

(وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ) على المعنى الذي تقدم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُ الْجَنَّةِ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧١ - (٢٨١٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ بُكَيْرٍ، عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، قَالَ رَجُلٌ: وَلَا إِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا إِنِّي، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَلَكِنْ سَدُّوا»^(١).

٧٢ - (٢٨١٦) وَحَدَّثَنِيهِ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدْفِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ الْأَشَّجِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»، وَلَمْ يَذْكُرْ: «وَلَكِنْ سَدُّوا».

٧٣ - (٢٨١٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»، فَقِيلَ: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ».

٧٣ - (٢٨١٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ»، قَالُوا:

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٦٧٣).

وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»، وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ بِيَدِهِ هَكَذَا، وَأَشَارَ عَلَى رَأْسِهِ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ».

٧٤ - (٢٨١٦) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَدَارَكَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ».

٧٥ - (٢٨١٦) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبَّادٍ يَحْيَى بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ شَهَابٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ».

٧٦ - (٢٨١٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَارِبُوا وَاسْدُدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا أَنْتَ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ».

٧٦ - (٢٨١٦) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ.

٧٦ - (٢٨١٦) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ بِإِسْنَادَيْنِ جَمِيعًا كَرِوَايَةِ ابْنِ نُمَيْرٍ.

٧٦ - (٢٨١٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ وَزَادَ: «وَأَبْشُرُوا».

٧٧ - (٢٨١٧) حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ، حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَلَا يُجِيرُهُ مِنَ النَّارِ، وَلَا أَنَا إِلَّا بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ».

(لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ)؛ لأنه مهما عمل فعمله قليل بالنسبة للمخالفات التي يقع فيها، وبالنسبة للأجر العظيم الذي وعده الله المؤمنين.

بعض أهل البدع يرد هذا الحديث بدعوى أنه يتعارض مع قول الله **عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْثَقْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [سورة الزخرف: ٧٢] والصحيح أن لا تعارض، فإن المنفي في الحديث بآء العوض، والمثبت في الآية بآء السبب، فالعمل سبب لدخول الجنة وأما الوصول إليه إنما هو بمنه الله ورحمته، وعظيم فضله على الناس.

(سَدُّدُوا) بالعمل، **(وَأَبْشُرُوا)** من الله بعظيم المثوبة.

(معقل) بن عبيد الله الجزري.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٧٨ - (٢٨١٨) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، (ح)، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا بِهِزٌ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ يُحَدِّثُ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«سَدُّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشُرُوا، فَإِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ»** قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ»** ^(١).

٧٨ - (٢٨١٨) وَحَدَّثَنَا حَسَنُ الْحُلَوَانِيُّ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُطَّلِبِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يَذْكُرْ: **«وَأَبْشُرُوا»**.

(عبد العزيز بن محمد) وهو الدراوردي.

(موسى بن عقبة) إمام في السيرة.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٤٦٤).

(بهز) هو ابن أسد.

(وهيب) هو ابن خالد.

(سَدُّوْا) بأعمالكم، (وَقَارِبُوا): اعملوا ما استطعتم، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة

التغابن: ١٦].

(وَأَبْشُرُوا) من الله بالفضل والمثوبة.

فيه فضيلة المداومة على العمل الصالح، والنبي ﷺ كان عمله ديمة.

والجنة عظيمة وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا تدرك بالعمل، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ يتفضل على عباده المؤمنين قال الله عَزَّوَجَلَّ في شأن أهلها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وجعل الأعمال أسباباً لدخولها قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَذَلِكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢].

فالباء ليست بآء العوض والتمن، وإنما هي بآء السبب، فقد جاء في حديث ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قَارِبُوا وَسَدُّوْا، وَعَلِّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْتَ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ» أخرجه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦).

وجاء عن عائشة عند البخاري (٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨) قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَدُّوْا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشُرُوا؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا؛ إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَعَلِّمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ».

فلا يعجب أحد بعمله؛ فإنه مهما عمل لن يؤدي حق نعم الله عَزَّوَجَلَّ عليه، ومع ذلك لا يترك العمل الصالح الذي يكون سبباً في دخوله الجنة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّهُ لَا يَنْبُتُ بِالْعَقْلِ ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ، وَلَا إِجَابٌ وَلَا تَحْرِيمٌ، وَلَا غَيْرُهُمَا مِنْ أَنْوَاعِ التَّكْلِيفِ، وَلَا تَبَتُّ هَذِهِ كُلُّهَا،

وَلَا غَيْرَهَا إِلَّا بِالْشَّرْعِ، وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَيْضًا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ تَعَالَى اللَّهُ، بَلِ الْعَالَمُ مُلْكُهُ، وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ فِي سُلْطَانِهِ، يَفْعَلُ فِيهِمَا مَا يَشَاءُ، فَلَوْ عَذَّبَ الْمُطِيعِينَ وَالصَّالِحِينَ أَجْمَعِينَ، وَأَدْخَلَهُمُ النَّارَ كَانَ عَدْلًا مِنْهُ، وَإِذَا أَكْرَمَهُمْ وَنَعَّمَهُمْ وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ فَهُوَ فَضْلٌ مِنْهُ. اهـ

هذا كلام منه على مذهب الأشاعرة، لو عذبهم كان عدلا منه، ولو أدخلهم الجنة كان فضلا منه، هذا صواب، لكن الأول مذهب الأشاعرة، فهذه من زلاته، قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت: ٤٦]، أما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل، ويوجبون على الله عز وجل ثواب الأعمال، ويوجبون عليه فعل الأصلح للعبد، وهذا كلام باطل ترده الأدلة من القرآن والسنة، فلو كان يجب عليه فعل الأصلح للعبد لكان العبيد كلهم على إسلام وإيمان، وكلهم في الجنة.

وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل، ويوجبون ثواب الأعمال، ويوجبون الأصلح، ويمنعون خلاف هذا في خبط طويل لهم، تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع، وفي ظاهر هذه الأحاديث: دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته.

وأما قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، ﴿وَذَلِكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْثَنُموها يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة، فلا يعارض هذه الأحاديث، بل معنى الآيات: أن دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها، وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل، وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها، وهي من الرحمة، والله أعلم. اهـ

قال الصابوني في "اعتقاد أهل الحديث" (٢٩٤-٢٩٥): ويعتقدون ويشهدون أن أحدًا لا تجب له الجنة - وإن كان عمله حسنًا، وطريقه مرتضى - إلا أن يتفضل الله عليه، فيوجبها له بمنه وفضله، إذ عمل الخير الذي عمله، لم يتيسر له إلا بتيسر الله عز اسمه،

فلو لم ييسره له، ولو لم يهده لم يهتد له أبداً، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١]. اهـ
وفي هذا رد على المعتزلة الذين يوجبون على الله **عَزَّجَلَّ** أن يدخل الطائع الجنة، وأن الدخول بالمقابل وهذا ضلال منهم وانحراف وجرأة على الله **عَزَّجَلَّ**.
قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ إِكْثَارِ الْأَعْمَالِ وَالاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٧٩ - (٢٨١٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ، عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَكْلِفُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(١).

٨٠ - (٢٨١٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ سَمِعَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى وَرِمَتْ قَدَمَاهُ، قَالُوا: قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

٨١ - (٢٨٢٠) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، وَهَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ، عَنْ ابْنِ قُسَيْطٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرَّ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُضَعُّ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(٢).

هذا دليل على أن الشكر يكون بالجوارح، كما أنه يكون باللسان قولاً ويكون بالقلب استكانة وخضوعاً.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١١٣٠).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٨٣٧).

وفيه عظيم شأن العباد، وأن الإنسان لا يركن إلى نفسه ويعجب بعمله وإذا رأى في نفسه خيرا يتوقف عن العمل، الله **عَزَّوَجَلَّ** يقول لنبيه: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [سورة الحجر: ٩٩]، ويقول: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (٨) [سورة الشرح: ٧-٨].

وشكر الله **عَزَّوَجَلَّ** لعباده يضاعف لهم الأعمال والأجور، ويكرمهم بأنواع الكرامات، ومن أسمائه الشاكر والشكور، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سورة سبأ: ١٣]، وهكذا: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٠) [سورة فاطر: ٣٠]، يتجاوز ويشكر. قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ الْاِقْتِصَادِ فِي الْمَوْعِظَةِ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٨٢ - (٢٨٢١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ عَبْدِ اللَّهِ نَنْتَظِرُهُ، فَمَرَّ بِنَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيُّ فَقُلْنَا: أَعْلَمُهُ بِمَكَانِنَا فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: إِنِّي أَخْبَرْتُ بِمَكَانِكُمْ فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةً أَنْ أَمْلِكُكُمْ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا ^(١).

٨٢ - (٢٨٢١) حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ مُسْهَرٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ كُلُّهُمُ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ، وَزَادَ مُنْجَابٌ فِي رِوَايَتِهِ عَنِ ابْنِ مُسْهَرٍ: قَالَ الْأَعْمَشُ: وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مَرْثَةَ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٨).

٨٣ - (٢٨٩) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا فَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ شَقِيقِ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُدَكِّرُنَا كُلَّ يَوْمٍ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّا نَحِبُّ حَدِيثَكَ وَنَشْتَهِيهِ، وَلَوْ دَدْنَا أَنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ: مَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةً أَنْ أُمْلِكُكُمْ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهِيَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا.

(عبد الله) بن مسعود.

يعني بأنه يعلم أنهم على الباب أو أنهم ينتظرونه، لكنه لا يخرج؛ خشية السامة، والملل، لا سيما إذا كان الشأن مع المواعظ والقصص، يلحق الإنسان الملل، وأما الدروس العلمية فلا يلحق معها الملل؛ لأن الدروس العلمية زيادة الخير بالخير والإنسان يستمر على التعلم مع المحبرة إلى المقبرة.

وقوله: (أُمْلِكُكُمْ) أي: أضجركم، والإنسان إذا لحقه الملل يقسو قلبه؛ لأن المراد من المواعظ زيادة الإيمان، وحصول الإحسان، أما إذا كان سيؤدي إلى قسوة القلب فهذا يُترك، النبي ﷺ كان يذكر كل خميس أو كل إثنين، جاء في حديث ابن مسعود: أذكركم كما كان النبي ﷺ يتخولنا.

انتهيت من هذا الكتاب في السابع من ذي القعدة الحرام عام خمسة وأربعين وأربعمائة وألف تنتهي من هذا الكتاب، ويليه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها إن شاء الله.

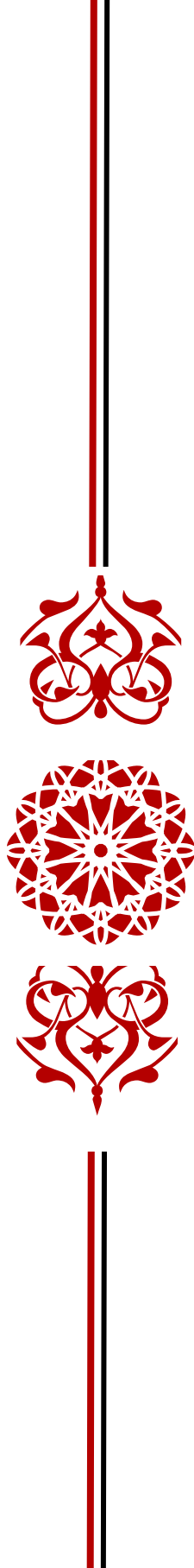


كِتَابُ الْجَنَّةِ
وَصَفَتِ نَجْمُهَا وَأَهْلِهَا

الْإِسْلَامُ

شَرْحُ

صَحِيحِ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ



قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا

وهذا يدخل في كتاب الرقاق، وفي باب الترغيب، ففيها يعمل العاملون، ويتنافسون، وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ من شأنها في كتابه ما يتعلق بشراها وأكلها، ودورها، وعظيم سعتها، وعظيم نعيمها، ما يشاق إليه المسابقون والمسارعون، وهكذا في صحيح السنة الشيء العظيم من ذلك.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار موجودتان الآن، وأنهما لا تفنيان أبدا ولا تبيدان.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١ - (٢٨٢٣) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ مَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، وَحُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(١).

١ - (٢٨٢٣) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنِي وَرْقَاءُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

وهذا الحديث يوضحه ما في السنن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ:

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٤٨٧).

فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ قَالَ: يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذْهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذْهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: هَذَا مِنْ بَدِيعِ الْكَلَامِ وَفَصِيحِهِ وَجَوَامِعِهِ الَّتِي أُوتِيَهَا ﷺ مِنَ التَّمَثِيلِ الْحَسَنِ، وَمَعْنَاهُ: لَا يُوَصَّلُ الْجَنَّةُ إِلَّا بِارْتِكَابِ الْمَكَارِهِ، وَالنَّارِ بِالشَّهَوَاتِ، وَكَذَلِكَ هُمَا مَحْجُوبَتَانِ بِهِمَا، فَمَنْ هَتَكَ الْحِجَابَ وَصَلَ إِلَى الْمَحْجُوبِ، فَهَتَكَ حِجَابَ الْجَنَّةِ بِافْتِحَامِ الْمَكَارِهِ، وَهَتَكَ حِجَابَ النَّارِ بِارْتِكَابِ الشَّهَوَاتِ، فَأَمَّا الْمَكَارَةُ فَيَدْخُلُ فِيهَا الْاجْتِهَادُ فِي الْعِبَادَاتِ، وَالْمُوَاطَئَةُ عَلَيْهَا، وَالصَّبْرُ عَلَى مَسَاقِفِهَا، وَكَظْمُ الْغَيْظِ، وَالْعَفْوُ وَالْحِلْمُ وَالصَّدَقَةُ وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْمُسِيِّءِ، وَالصَّبْرُ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ. وَأَمَّا الشَّهَوَاتُ الَّتِي النَّارُ مَحْضُوفَةٌ بِهَا، فَالظَّاهِرُ أَنَّهَا الشَّهَوَاتُ الْمُحَرَّمَاتُ كَالْخَمْرِ وَالزَّانَا وَالنَّظَرَ إِلَى الْأَجْنَبِيَّةِ، وَالْغِيْبَةِ، وَاسْتِعْمَالَ الْمَلَاهِي، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَأَمَّا الشَّهَوَاتُ الْمُبَاحَةُ فَلَا تَدْخُلُ فِي هَذِهِ، لَكِنْ يُكْرَهُ الْإِكْثَارُ مِنْهَا مَخَافَةَ أَنْ يَجُرَّ إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ، أَوْ يُقْسِي الْقَلْبَ، أَوْ يَشْغَلَ عَنِ الطَّاعَاتِ، أَوْ يُحَوِّجَ إِلَى الْإِعْتِنَاءِ بِتَحْصِيلِ الدُّنْيَا لِلصَّرْفِ فِيهَا، وَنَحْوِ ذَلِكَ. اهـ

(حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ،) أَيُّ أَنَّ الْأَعْمَالَ الْمَوْصِلَةَ إِلَيْهَا قَدْ تَكُونُ مَكْرُوهَةً إِلَى الْأَنْفُسِ الْبَشَرِيَّةِ، مَعَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ حَالَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [سورة الحجرات: ٧]، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «ذَاقْ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: (٤٧٤٤)، والترمذي حديث رقم: (٢٧٣٧).

ﷺ نبيا»، وفي الحديث: «ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» الحديث.

(وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ) أي أن الأعمال الموصلة إليها مرغوب فيها ومحبوبة على طبيعة النفس البشرية، ولكن مع ذلك المؤمن يجاهد نفسه على فعل الطاعات وعلى البعد عن المعاصي والسيئات، قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٩].
قال الإمام مسلم رحمه الله:

٢ - (٢٨٢٤) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا وَقَالَ سَعِيدٌ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، مُصَدِّقٌ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة: ١٧]» (١).

٣ - (٢٨٢٤) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ذُخْرًا بَلَا مَا أَطَّلَعَكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ».

٤ - (٢٨٢٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٢٤٤).

عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، ذُخْرًا بَلَّهَ مَا أَطْلَعَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [سورة السجدة: ١٧].

وقد تقدم شيء من ذلك في الحديث الذي أخرجه مسلم في كتاب الإيمان عن المغيرة من شعبة: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أُذْنِي أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيَقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنْزِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيَقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكٍ مَلِكٍ مِّنْ مُّلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [سورة السجدة: ١٧]، [الآية].

ولا يتعارض هذا الحديث مع أن النبي صل الله عليه وسلم رأى الجنة والنار فإن النبي ﷺ لم ير كل ما في الجنة من النعيم، ولا كل ما في النار من العذاب الأليم، وإنما أراه الله عَزَّجَلَّ ما شاء من ذلك.

(ذُخْرًا) يعني: ادخره ادخارا.

وَمَعْنَاهَا: دَعَّ عَنْكَ مَا أَطْلَعَكُمْ عَلَيْهِ، فَالَّذِي لَمْ يُطْلِعْكُمْ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَكَأَنَّهُ أَضْرَبَ عَنْهُ اسْتِغْلَالًا لَهُ فِي جَنْبِ مَا لَمْ يُطْلَعْ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهَا: غَيْرُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهَا: كَيْفَ. أفاده النووي رَحِمَهُ اللَّهُ. اهـ

وقد قال ابن عباس رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي عنه: ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء، فمثلا تجد بعض الفاكهة أو بعض البيوت والأنهار تسمى بأسماء ما في الدنيا، لكن فرق شاسع وبين واسع في الصفات.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥ - (٢٨٢٥) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، وَهَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ: أَنَّ أَبَا حَازِمٍ حَدَّثَهُ قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ يَقُولُ: شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ ﷺ: فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»، ثُمَّ اقْتَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [سورة السجدة: ١٦-١٧].

(وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ) وهذا دليل على أنه يتعين على الداعي إلى الله عَزَّجَلَّ أن يذكر للناس الجنة وما فيها من الخير العظيم، فإن هذه الدنيا ذاهبة بما فيها من نعيم أو بما فيها من شدة ونحو ذلك، فالموعد الجنة للمؤمنين.

(فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)؛ لأن عين الإنسان وسمع الإنسان وقلب الإنسان كماله محدود، وإنما يتخيل ويتصور بحسب ما عنده من الكمال، والجنة كمالها عظيم، لا يعلم مقدار ما هي عليه إلا الله، فمثلا حين يصف لك «خيمة من اللؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا»، كم عرضها وما فيها من النعيم العظيم؟

ويكفي في وصف الجنة لمن أراد التأمل ما في سورة الرحمن، وما في سورة الإنسان، يجد أوصافا عظيمة، دعك ما تفرق في غيرهما من السورة العظيمة الجليلة.

(﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾) أي ترتفع، كناية عن ترك النوم، وتتجافى جنوبهم لا للعب ولهو ونحو ذلك، وإنما للصلاة والدعاء.

(﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾) خوفا من عذابه، وطمعا في رحمته ونيعمه.

(﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾) سواء الصدقات الواجبات كالزكاة أو المستحبات.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾) مما تقر به أعينهم مما ينظرون إليه من الحور العين، ومن النساء الجميلات، ومن المآكل العظيما، ومن الأبنية الواسعات، وقد تقدم في كتاب الإيمان: «جَنَّاتٍ مِّن فِضَّةٍ أَنْيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِّن ذَهَبٍ أَنْيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِداءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ».

﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾) أي أن دخولهم الجنة بسبب أعمالهم، فيفضل الله عزَّجَلَّ عليهم بدخولها، ويكرمهم بالمضاعفة والقبول.
قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا»

قال الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ:

٦ - (٢٨٢٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ»^(١).

٧ - (٢٨٢٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ، (يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَزَامِيَّ)، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، وَزَادَ: «لَا يَقْطَعُهَا».

٨ - (٢٨٢٧) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، أَخْبَرَنَا الْمُخْزُومِيُّ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا»^(٢).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٢٥٢).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٥١).

(إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً) ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الشجرة هي طوبى، والصحيح أنه لا يثبت حديث يدل على أن اسم هذه الشجرة طوبى، وفي القرآن: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَكَابٍ﴾ [سورة الرعد: ٢٩] أي الجنة، الطيبة نعيمها، الطيبة مآكلها ومشاربها، الطيبة وما فيها، ومن أعظم ذلك النظر إلى وجه الله عزَّجَلَّ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجهه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأيضا يحل الله عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبداً. ومع ذلك نؤمن بهذه الشجرة العظيمة الكبيرة الواسعة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨ - (٢٨٢٨) قَالَ أَبُو حَازِمٍ فَحَدَّثْتُ بِهِ النُّعْمَانَ بْنَ أَبِي عِيَّاشٍ الزُّرْقِيَّ فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرََّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضْمَرَّ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا».

(يَسِيرُ الرََّاكِبُ) يعني الراكب على الفرس، المضممر في صفته: وذلك أنهم يجيعونه، ويضعونه في مكان حار، ويلبسونه الجلود، ويعطونه طعاماً فقط بقدر ما يعيش، حتى يرتفع بطنه، ويذهب دسمه، وتشتد أعصابه، ثم بعد ذلك يسهل جريه، وكثرة عدوه، وهذا دليل على عظم هذه الشجرة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ إِحْلَالِ الرِّضْوَانِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩ - (٢٨٢٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ،

فَيَقُولُونَ: لَبَيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ، وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١).

(إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ) أي يوم القيامة، وهذا دليل على أن صفة الكلام ذاتية فعلية ذاتية من حيث أنه يتكلم أولاً وأبداً، فعليه من حيث أنه يتكلم متى شاء وكيف شاء بما شاء.

(يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ) وهذا دليل على أنه يتكلم بحرف وصوت، فإنه نداء يُسمع. (هَلْ رَضِيتُمْ؟) بما أعطيتكم من النعيم العظيم الواسع. (أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) وهذا معناه الأمن المطلق بعد ذلك، والنعيم المقيم، الذي لا يتغير ولا يتبدل، بخلاف الدنيا إذ يتغير فيها حال الإنسان بصلاح نفسه وفسادها ويغير الله عليه بقدر ذلك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقْوَةٍ حَتَّى يُغَيِّرَ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾. قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ تَرَائِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَهْلَ الْغُرَفِ كَمَا يُرَى الْكَوْكَبُ فِي السَّمَاءِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠ - (٢٨٣٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، (يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ)، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرَفَةَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٤٩).

قَالَ فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ التَّعْمَانَ بْنَ أَبِي عِيَّاشٍ فَقَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: «كَمَا تَرَاءُونَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ فِي الْأَفُقِ الشَّرْقِيِّ أَوِ الْغَرْبِيِّ» ^(١).

١٠ - (٢٨٣٠) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا الْمَخْزُومِيُّ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ بِالْإِسْنَادَيْنِ جَمِيعًا نَحْوَ حَدِيثِ يَعْقُوبَ.

١١ - (٢٨٣١) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا مَعْنٌ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، (ح) وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأَفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» ^(٢).

وهذا دليل على تعاضد أهل الجنة وتفاوت ما بينهم، ومع ذلك قد نزع الله عَزَّوَجَلَّ من قلوبهم التطلع إلى ما في أيدي غيرهم، وهكذا أرضاهم الله عَزَّوَجَلَّ بما أعطاهم، وإلا فإن التفاوت عظيم، فهناك من أهل الجنة من يترأى أهل الغرف كما يترأى من في الأرض الكوكب الدري الغابر في السماء؛ لبعد ما بينهم.

فظن الظان أن هذه درجات الأنبياء والمرسلين، فقال النبي ﷺ: (بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ)، فإذا كانت هذه درجاتهم فما بالك بدرجات المرسلين ودرجات الأنبياء والأصفياء الأتقياء؟ والله المستعان.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٢٥٦).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٢٥٦).



قال رحمه الله:

بَابُ فِيمَنْ يَوَدُّ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٢ - (٢٨٣٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَشَدَّ أَمْتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ»^(١).

(يعقوب بن عبد الرحمن) القاري.

وفعلا المؤمن يتمنى أن لو رأى النبي ﷺ حال كونه مؤمنا به فإنه سينال درجة الصحبة، التي لا توازيها درجة، درجة دالة على عظيم حب الله لذلك العبد، وتوفيق الله لذلك العبد.

وفي هذا دليل على محبة المؤمنين لنبِيِّهم ﷺ، ومع ذلك إن لم نر رسول الله ﷺ ونكون من أصحابه وأنصاره فقد أبقي الله لنا سنته لتكون من الآخذين بها، المتمسكين بها، المبادرين إليها، فمن فاته ذلك المقام فلا يفتته هذا المقام، ومن قصر في هذا المقام كان من المقصرين في ذلك المقام لو كان فيه فالأمر واحد، الأوامر التي أوحها الله لمحمد ﷺ متعينة على الصحابة كما هي متعينة على من بعدهم، إلى أن يرث الله الأرض من عليها، والنواهي التي نهى الله عنها صحابة النبي ﷺ منهي عنها في زمننا. فما علينا إلا أن نتقرب إلى الله عزَّوجلَّ بعظيم ما يكون من حسن الفعال وجميل الخصال.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٨٧).

قال رحمه الله:

بَابُ فِي سُوقِ الْجَنَّةِ وَمَا يَنَالُونَ فِيهَا مِنَ النِّعَمِ وَالْجَمَالِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٣ - (٢٨٣٣) حَدَّثَنَا أَبُو عُمَانَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْبَصْرِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ازدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ ازدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ ازدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا».

وهذا دليل على عظيم شأن الجنة، وأن فيها يوم يجتمعون فيه كما يجتمعون في الدنيا، وقد جاء خارج الصحيح، مع أن شيخنا مقبل رحمه الله كان قد ذكره في (الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين) ولكن الحديث فيه علة، حديث أنس رضي الله عنه، وأن يوم الجمعة يسمى في الآخرة يوم المزيد.

قال رحمه الله:

بَابُ أَوَّلِ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَصِفَاتُهُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٤ - (٢٨٣٤) حَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ، وَيَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدُّورِيُّ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُليَّةَ وَاللَّفْظُ لِيَعْقُوبَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُليَّةَ، أَخْبَرَنَا أَيُّوبُ، عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ: إِمَّا تَفَاخَرُوا وَإِمَّا تَذَاكُرُوا: الرِّجَالُ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ أَمْ النِّسَاءُ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَوْ لَمْ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالتِّي

تَلْبِيهَا عَلَى أَصْوَا كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يُرَى مُخُّ سَوْقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَغْزَبُ» ^(١).

١٤ - (٢٨٣٤) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: اخْتَصَمَ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ: أَيُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ؟ فَسَأَلُوا أَبَا هُرَيْرَةَ: فَقَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ عُكَيْتَةَ.

١٥ - (٢٨٣٤) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، (يَعْنِي ابْنَ زِيَادٍ)، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقُعْقَاعِ، حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ (ح) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ، قَالَا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَنْفُلُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ».

١٦ - (٢٨٣٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ، لَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبِزُّقُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى طُولِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُونَ ذِرَاعًا»، قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: «عَلَى خُلُقِ

رَجُلٍ»، وَقَالَ أَبُو كُرَيْبٍ: «عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ»، وَقَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: «عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ».

(الرَّجَالُ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ أَمِ النِّسَاءُ) معناه أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذهب إلى أن نساء الجنة أكثر من رجال الجنة؛ لأن الجنة لو قُدر رجالها بكذا وكذا سيكون النساء ضعف الرجال؛ لأن ما في الجنة أعزب، وهناك من تكون له أكثر من زوجتين، لكن هذا أدنى ما يكون من الزوجات من نساء الدنيا، بل وجاء أن له "سبعين حورية"، قال العراقي في "طرح الثريب": "قد تبين ببقية الروايات أن الزوجين أقل ما يكون لساكن الجنة من نساء الدنيا، وأن أقل ما يكون له من الحور العين سبعون. اهـ
وفي هذا الحديث دليل على تفاضل أهل الإيمان، فإن تفاضلهم في الجنان بقدر تفاضلهم في الإيمان.

(عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ) وهؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. (وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَصْوَابٍ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ) كزحل ونحوه. (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ) يتنعم معهما بأنواع النعم، وفي الحديث: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقْضِي فِي الْغَدَاةِ الْوَاحِدَةِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءٍ».

(يُرَى مُخٌ سَوْفِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ) يعني؛ لصفاء الأجسام، وحسن القوام. (وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَغْزَبُ) وهذا دليل على أن النكاح من النعيم، سواء كان في الدنيا أو كان في الآخرة، ونقصه به النكاح الشرعي، أما ما كان من غير ذلك فهو من مسببات العذاب الأليم، وهو ما يتعاطاه الناس من الزنا ونحوه، إلا أن هذا النعيم في الدنيا من أحسن ما يكون من النعيم، ولذلك تجد الأعزب يتمنى الزوجة، وهكذا، وفي الجنة ينعم الله عليهم بهذا الأمر العظيم.

(لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ) وهذا من سوء ومرهقات الدنيا، البول، فكم يتعب من عنده بروسات أو عنده حصوات، ولا سيما أيضا أصحاب السكر، ربما يقوم في الليلة عدة مرات، فيؤذيه البول، وإن حصره أتعبه.

وهكذا الغائط يؤذي بريحه، ويؤذي بحبسه، ويؤذي بالذهاب إليه وبعضهم ربما تلحقه بعض الأمراض كالבוاسير والناسور والتشققات، فتؤذيه أكثر. وفي الجنة لا بول ولا غائط، والله لو لم يكن من نعيم الجنة إلا ترك هذين الفعلين؛ لكان حري بالإنسان أن يكون مشمرا إليها، فكيف وهو في نعيم مقيم وخير عميم وفضل عظيم.

(وَلَا يَمْتَخِطُونَ) لا التهابات، ولا زكمة، ولا عطاس، ولا شيء، لأن المخاط وإن كان طاهرا إلا أنه مؤذي.

(وَلَا يَتْفُلُونَ) لا يبصقون فكل ما يكون منهم شأنه حسن.

(أَمْشَاتُهُمُ الذَّهَبُ) التي يرجلون بها الشعر من الذهب الخالص، الآن تجد النساء والرجال يمشطون إما بالخشب، وإما بالبلاستيك، وإما بغير ذلك، وهناك أمشاطهم الذهب فلا سواء.

(وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ) هذا الرشح الذي يخرج من الإنسان ويسبب فيه الرائحة الكريهة، ويحتاج فيه إلى مزيلات الروائح يكون، مسكاً.

(وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ) المجامر: التي توضع فيها البخور، الألوة عود الطيب فمجامرهم كأحسن ما يكون من البخور، مع أنه لا نار في الجنة.

(وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ) ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ٧٢﴾ [سورة الرحمن: ٧٢]، ﴿وَحُورٌ عِينٌ ٢٢ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ٢٣ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٤﴾ [سورة الواقعة: ٢٢-٢٤] ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ٥٦﴾ [سورة الرحمن: ٧٤]، قصرت أطرفهن عن النظر لغير أزواجهن.

(أَخْلَقُوهُمْ عَلَى خُلُقٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ) أي صورتهم.
 (عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ) وهذا خلق عظيم، ليس بالقصير
 وهكذا بالنعيف، وإنما يعطيه الله عَزَّجَلَّ كمال الخلقة، وكمال الصورة.
 قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي صِفَاتِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا وَتَسْبِيحِهِمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧ - (٢٨٣٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَنْغَوِّطُونَ فِيهَا، أَنْيَسُهُمْ وَأَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمْ مِنَ الْأَلْوَةِ، وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يَرَى مُخَّ سَاقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»^(١).

(لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ) في الدنيا إذا مع أحدهم زوجتان كم بينهما من التهاجر والتباغض، وضيق الصدور والغيرة، ونحو ذلك؟ وهناك (لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ)، لا بين الزوجات والضررات ولا بين غيرهم.
 (قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ) كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [سورة الحجر: ٤٧].

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٢٤٥).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٨ - (٢٨٣٥) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَاللَّفْظُ لِعُثْمَانَ قَالَ: عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَفَلُّونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ»، قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ، وَرَشْحٌ كَرَشِحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ».

١٨ - (٢٨٣٥) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، إِلَى قَوْلِهِ: كَرَشِحِ الْمِسْكِ.

١٩ - (٢٨٣٥) وَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي عَاصِمٍ قَالَ حَسَنٌ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرَشِحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ»، قَالَ: وَفِي حَدِيثِ حَجَّاجٍ: «طَعَامُهُمْ ذَلِكَ».

٢٠ - (٢٨٣٥) وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «وَيُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ».

«إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ» أنواع المأكولات، من الفواكه، واللحوم،

والعسل واللبن والماء، كما جاءت الأدلة، قال تعالى:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ

عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد: ٣٥].

(يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ) يعني يكون شأنهم كشأن الملائكة، يسبحون الله بكرة وعشيا، وهذا دليل على أنهم في أكمل ما يكون من الحياة الأبدية الأزلية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي دَوَامِ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تُلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢١ - (٢٨٣٦) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ».

(حدثنا عبد الرحمن بن مهدي) أبو سعيد، شيخ الإمام أحمد، كان يدعو للشافعي

كثيرا.

(حماد بن سلمة) من الأثبات في ثابت.

هذا حديث عظيم، يدل على عظيم نعيم الجنة.

(مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ) سواء كان في أعلاها أو في أدناها، وليس فيها دنيء.

(يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ) بأنواع النعم ولا يلحقه بؤس ولا شدة، ولا عناء، ولا هم، ولا غم،

بل هي السعادة الأبدية.

(لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ) مع أنه يلبس ما شاء من الثياب لكن لا تبلى.

(وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ) سيأتي في الحديث الآخر ما يبين هذا.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٢٢ - (٢٨٣٧) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَاللَّفْظُ لِإِسْحَاقَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: قَالَ الثَّوْرِيُّ: فَحَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ: أَنَّ الْأَعْرَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْتَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَوْ دُورًا أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٤٣]».

(الْمُنَادِي مُنَادٍ) اللهُ أعلم هل هو اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينادي أهل الجنة بهذا النداء أو هو

ملك من ملائكة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

(إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا) إذ أن من مفسدات الدنيا السقم، ومن نعيمها الصحة، فالجنة صحة لا سقم فيها، والدنيا مهما صح الإنسان يأتيه من الأسقام، قد لا يذهب يوم إلا وحصل على الإنسان من سقمها، تارة الحمى، تارة الزكام، وتارة أمراض مستعصية، وتارة أمراض خفيفة

(وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا) ﴿وَلِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٤]، حياة أبدية.

(وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا) إذ أن الهرم مرض وشدة وتعب، والشباب قوة، ولذلك تجد الناس كثيرا ما يتغنون بالشباب:

ألا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب

وعن ابن عباس: «اغْتَنِمْ حَمْسًا قَبْلَ حَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»، الحديث

أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ ^(١)، وَفِيهِ كَلَامٌ، لَكِنْ مَعْنَاهُ يُوَافِقُ مَا فِي الْبُخَارِيِّ ^(٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصُّبْحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صَحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ.

﴿وَوُودُوا أَنْ تُلَكُّمُ الْجَنَّةَ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَيِ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَاتِ، مَثُوبَةً مِنَ اللَّهِ، وَعَظِيمَ مَكْرَمَاتٍ.
قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي صِفَةِ خِيَامِ الْجَنَّةِ وَمَا لِلْمُؤْمِنِينَ فِيهَا مِنَ الْأَهْلِينَ

قَالَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٣ - (٢٨٣٨) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي قُدَّامَةَ، وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِينَ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا» ^(٣).

٢٤ - (٢٨٣٨) وَحَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمُسَمَعِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةٌ مِنْ لَوْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ».

٢٥ - (٢٨٣٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَبِي مُوسَى بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

(١) حديث رقم: (٧٨٤٦).

(٢) حديث رقم: (٦٠٥٣).

(٣) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٢٤٣).

قَالَ: «الْخِيْمَةُ دُرَّةٌ طَوْلُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ مِیْلًا، فِي كُلِّ رَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ لِلْمُؤْمِنِ لَا يَرَاهُمْ إِلَّا آخَرُونَ».

(أبيه) أبو موسى الأشعري.

(إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخِيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ) هذا غير القصور الكثيرات، والنعم العظيّمات الواسعات.

(طَوْلُهَا سِتُّونَ مِیْلًا): ارتفاعها، فكيف سيكون عرضها؟ وغالبًا أن العرض أوسع من الطول في الأبنية، إلا فيما يفعلونه الآن من ناطحات السحاب، وإلا أغلب الأبنية عرضها أوسع من طولها.

(لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ) زوجات، وخدم وحشم.

(يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا) لسعة أرجائها، هذا نعيم عظيم وفضل من الله عَزَّجَلَّ كريم، فنسأل الله أن لا يحرمنا من هذا الخير العظيم.

ومن عجيب شأنها أنها (مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ)، الآن إذا مع أحدهم خيمة من عشرة متر، يحتاج إلى حبال وأقمشة وأوتاد، ويحتاج إلى أعمدة وهذه من لؤلؤة مجوفة، لا أعمدة فيها ولا شيء.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ: مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٢٦ - (٢٨٣٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، وَعَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ حُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيَحَانُ وَجَيَحَانُ وَالْفَرَاتُ وَالنَّيْلُ كُلُّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعْلَمْ أَنَّ سَيْحَانَ وَجَيْحَانَ غَيْرُ سَيْحُونٍ وَجَيْحُونٍ، فَأَمَّا سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ الْمَذْكُورَانِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ اللَّذَانِ هُمَا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ فِي بِلَادِ الْأَرَمَنِ، فَجَيْحَانُ نَهْرُ الْمُصَيِّصَةِ، وَسَيْحَانُ نَهْرُ أَدْنَةَ، وَهُمَا نَهْرَانِ عَظِيمَانِ جِدًّا، أَكْبَرُ هُمَا جَيْحَانُ، فَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ فِي مَوْضِعِهِمَا، وَأَمَّا قَوْلُ الْجَوْهَرِيِّ فِي صَحَاحِهِ: جَيْحَانُ نَهْرُ الشَّامِ، فَغَلَطَ، أَوْ أَنَّهُ أَرَادَ الْمَجَازَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ بِلَادُ الْأَرَمَنِ، وَهِيَ مُجَاوِرَةٌ لِلشَّامِ.

قَالَ الْحَازِمِيُّ: سَيْحَانُ نَهْرُ الْمُصَيِّصَةِ، قَالَ: وَهُوَ غَيْرُ سَيْحُونٍ.
وَقَالَ صَاحِبُ (نَهَايَةِ الْغَرِيبِ): سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ نَهْرَانِ بِالْعَوَاصِمِ عِنْدَ الْمُصَيِّصَةِ وَطَرْسُوسَ.

وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ جَيْحُونَ بِالْوَاوِ، نَهْرٌ وَرَاءَ خُرَاسَانَ عِنْدَ بَلْخِ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ جَيْحَانَ، وَكَذَلِكَ سَيْحُونُ غَيْرُ سَيْحَانَ، وَأَمَّا قَوْلُ الْقَاضِي عِيَّاضَ: هَذِهِ الْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ أَكْبَرُ أَنْهَارِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ فَالْنَّيْلُ بِمِصْرَ، وَالْفُرَاتُ بِالْعِرَاقِ، وَسَيْحَانُ وَجَيْحَانُ - وَيُقَالُ: سَيْحُونُ وَجَيْحُونُ - بِلَادِ خُرَاسَانَ، فَفِي كَلَامِهِ إِنْكَارٌ مِنْ أَوْجِهِ:

أَحَدُهَا: قَوْلُهُ: الْفُرَاتُ بِالْعِرَاقِ، وَلَيْسَ بِالْعِرَاقِ، بَلْ هُوَ فَاصِلٌ بَيْنَ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ.
وَالثَّانِي: قَوْلُهُ سَيْحَانَ وَجَيْحَانَ، وَيُقَالُ: سَيْحُونُ وَجَيْحُونُ، فَجَعَلَ الْأَسْمَاءَ مُتَرَادِفَةً، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ سَيْحَانُ غَيْرُ سَيْحُونٍ، وَجَيْحَانُ غَيْرُ جَيْحُونٍ، بِاتِّفَاقِ النَّاسِ كَمَا سَبَقَ.
وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ بِلَادُ خُرَاسَانَ، وَأَمَّا سَيْحَانَ وَجَيْحَانَ بِلَادِ الْأَرَمَنِ بِقُرْبِ الشَّامِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا كَوْنُ هَذِهِ الْأَنْهَارِ مِنْ مَاءِ الْجَنَّةِ فَفِيهِ تَأْوِيلَانِ ذَكَرَهُمَا الْقَاضِي عِيَّاضُ:
أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْإِيمَانَ عَمَّ بِلَادَهَا، أَوِ الْأَجْسَامُ الْمُتَعَذِّبَةُ بِمَائِهَا صَائِرَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ.
وَالثَّانِي - وَهُوَ الْأَصَحُّ -: أَنَّهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَأَنَّ لَهَا مَادَّةً مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْجَنَّةُ مَخْلُوقَةٌ مَوْجُودَةٌ الْيَوْمَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ: أَنَّ الْفُرَاتَ وَالْنَّيْلَ يَخْرُجَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَفِي الْبُخَارِيِّ: «مِنْ أَصْلِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى».

قال رَحِمَهُ اللهُ:

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

يعني في رقتها وضعفها، وهؤلاء أصحاب الخشية، والله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]، بينما أهل النار قلوبهم غليظة شديدة، لا تستجيب لموعظة، ولا ترهب من ترهيب، ولا ترغب في ترغيب، أما قلوب المؤمنين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢].

هذا الحديث يعله الدارقطني، قَالَ: وَالْمُرْسَلُ الصَّوَابُ.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: هَذَا كَلَامُ الدَّارِقُطِيِّ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ لَا يَقْدَحُ فِي صِحَّةِ الْحَدِيثِ؛ فَقَدْ سَبَقَ فِي أَوَّلِ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّ الْحَدِيثَ إِذَا رُوِيَ مُتَّصِلًا وَمُرْسَلًا كَانَ مَحْكُومًا بَوَصْلِهِ عَلَى الْمَذْهَبِ الصَّحِيحِ. اهـ

القول بعدم الإعلال، مذهب الفقهاء عدم النظر إلى الشذوذ والعلة، ولذلك تجد النووي كثيرا ما يدفع إعلال الدارقطني بمثل هذا الأمر، ولا يسلم له، لكن قد يثبت الإعلال وقد لا يثبت، لكن النووي أغلب الأحاديث مر عليها بهذه الصورة، يعني أنه إذا رُوي مر سلا ومتصلا بالحكم للاتصال، وإذا روي موقوفا ومرفوعا بالحكم للمرفوع فهذه قاعدة صار عليها جماهير الأصوليين وجماهير الفقهاء، ولذلك قال العلماء في

تعريف الصحيح عند المحدثين: هو الحديث الذي يتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه ولم يكن شاذاً ولا معللاً، أما الأصوليون لم يزدوا: ولم يكن شاذاً ولا معللاً، بل هو عندهم: ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط إلى منتهاه.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٨ - (٢٨٤١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَلَقَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيكَ النَّفَرِ، وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيِيُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحْيِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ. قَالَ: فَذَهَبَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ»، قَالَ: «فَرَادَوْهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ».

قَالَ: فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآنَ^(١).

(هَذَا مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) تعجب من الذين يطعنون في البخاري وفي مسلم على أنهم ما كتبوا الكتب إلا بعد أكثر من مائتين سنة، وهذا يرد عليهم، هذه صحيفة قد كتبها همام عن أبي هريرة، وهناك أحاديث كتبها عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ، وهناك صحيفة في رواية الحسن عن سمرة، فالصحف كانت موجودة في عهد الصحابة والتابعين.

وإنما بدأ التصنيف ككتب مصنفة في عهد تابع التابعين، قيل: أول من بدأها ابن جريج، وقيل: الزهري وهو من التابعين، لأنه قد سمع من بعض الصحابة، كأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٣٢٦).

هذا من حيث أنهم كانوا يجمعون كل ما لديهم، وأما من حيث الترتيب فمن عهد معمر، وعبد الرزاق، حيث رتبوا على الأبواب، فالشاهد أن التأليف والتصنيف والجمع قديم.

ومنه جمع المصحف، وهو أعظم جمع في التاريخ جمع، ولا أفضل ولا أبلغ ولا أدق منه، جمعه جمعاً ورتبه ترتيباً على ما أنزله الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** والترتيب فيه توقيفي على الصحيح من أقوال أهل العلم.

فالشاهد أن الإسلام قد عني بجمع العلم، ومعاوية يكتب إلى المغيرة: اكتب لي ما حفظت من الرسول **ﷺ**، كتب له بعضاً.

فالحمد لله الإسلام محفوظ، وهؤلاء الذين يطعنون في ديننا ويطعنون في كتب الحديث بمثل هذه الطعون الزائفة يدل على سخافة في عقولهم، وعلى عدم عناية بالتاريخ، وضعف في العلم والمدارك، هذا هو الواقع، وإلا فالعائد للتاريخ يجد أن المسلمين قد كتبوا في عهد النبي **ﷺ**، وفي عهد الخلفاء الأربعة، وفي عهد بني أمية، وفي عهد بني العباس، وما زال الناس يكتبون.

ومالك من أتباع التابعين وله (الموطأ)، وقد قيل فيه: أصح كتاب تحت أديم السماء، فهؤلاء ينكرون، الحقائق، وهذا طعن في عقولهم.

وَكُلٌّ مَعْلُومٌ بِحِسٍّ وَحِجَى فَنَكْرُهُ جَهْلٌ قَبِيحٌ فِي الْهَجَا
فالحمد لله أن الله حفظ علينا ديننا، وحفظ علينا العلم.

(خَلَقَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ** آدَمَ **عَلَى صُورَتِهِ**) هذا المعنى مما اختلف فيه العلماء، وقبل التحقيق: إثبات الصورة لله **عَزَّجَلَّ** ثابتة من هذا الحديث أو من غيره، كما في أحاديث الرؤية: «**يَأْتِيهِمْ فِي صُورَةِ غَيْرِ التِّي يَعْرِفُونَ**»، وكذلك قوله: «**يَأْتِيهِمْ فِي صُورَتِهِ التِّي يَعْرِفُونَ**»، فالصورة ثابتة لله.

الأمر الثاني: ما المراد بهذا الحديث (**خَلَقَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ** آدَمَ **عَلَى صُورَتِهِ****) أي على صورة الرحمن كما جاء مصرحاً به في بعض الروايات الضعيفة.

أو المراد أنه على صورة آدم نفسه؟ بكل قول قد قال بعض أهل العلم، لكن الصحيح أن المعنى: (خَلَقَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) أي: على صورة الله، على صورة الرحمن، ولا يلزم في ذلك التمثيل ولا التشبيه، فآدم مخلوق له صفات تليق بضعفه، والله عَزَّوَجَلَّ خالق له صفات، تليق بجلاله، وللشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة في هذا الباب، بعنوان "عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الحرمن" خلص بما تقدم.

(طُولُهُ) أي طول آدم.

(سِتُونَ ذِرَاعًا) أي في الارتفاع، وإذا كان طويلا لا بد أن يكون عريضا؛ حتى يستقيم شأنه.

(فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآنَ) فصار طول الإنسان الآن، أن الذي يصل إلى اثنين متر يتعجب الناس من طوله ويضحكون، فكيف لو رأوا مثل هذه الصورة التي كان عليها آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي شِدَّةِ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ وَبُعْدِ قَعْرِهَا وَمَا تَأْخُذُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٩ - (٢٨٤٢) حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ خَالِدٍ الْكَاهِلِيِّ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا».

(عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) هو ابن مسعود.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا اسْتَدْرَكَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ عَلَى مُسْلِمٍ، وَقَالَ: رَفَعَهُ وَهَمَّ، رَوَاهُ الثَّوْرِيُّ وَمَرْوَانُ وَغَيْرُهُمَا، عَنِ الْعَلَاءِ ابْنِ خَالِدٍ مَوْقُوفًا.

قُلْتُ: وَحَفْصُ ثَقَّةٌ حَافِظٌ إِمَامٌ، فَرِيادَتُهُ الرَّفْعَ مَقْبُولَةٌ، كَمَا سَبَقَ نَقْلُهُ عَنِ الْأَكْثَرِينَ وَالْمُحَقِّقِينَ. اهـ

زد على ذلك أنه إما مرفوع كما هو هنا، أو أنه مرفوع حكماً؛ لأن مثل هذا لا يقال من قبيل الرأي.

(يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ) أي: تقرب يوم القيامة من أهلها وشاهده قول الله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَايِنِ﴾ أي أظهرت وقربت وأدريت منهم، وقوله: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾.

(لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ) ما تشد به وتجبر.

(مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا)؛ لسعتها وعظيم شأنها، نسأل الله السلامة منها.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٣٠ - (٢٨٤٣) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ، يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَزَامِيِّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ»، قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَإِنَّهَا فَضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»^(١).

٣٠ - (٢٨٤٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي الزِّنَادِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّهُمْ مِثْلُ حَرِّهَا».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٢٦٥).

(جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا) يعني تفوقها نار جهنم بتسع وستين جزء، ومع ذلك تأمل هذه النار يصهر بها الحديد الصلب، وتفتت بها الحجارة، وأشياء عجيبة، لو كانت هذه النار الموجودة في الدنيا مثل نار جهنم ما استطاع الناس أن يستفيدوا منها، لا في طبخ، ولا في إصلاح شيء، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ لطف آتانا ما نستفيدة، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۖ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ۚ نَحْنُ جَعَلْنَهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ۝٧٣﴾ [سورة الواقعة: ٧١-٧٣].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣١ - (٢٨٤٤) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَذَرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا».

٣١ - (٢٨٤٤) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَا: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ: «هَذَا وَقَعَ فِي أَسْفَلِهَا، فَسَمِعْتُمْ وَجْبَتَهَا».

(إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً) الوجبة: السقطة، صوت سقطة الحجر.

(الآن انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا) إلى أسفلها، أي بعد سبعين عاماً من السقوط ومعلوم سرعة

الهوي، وهذا دليل على سعتها.

وكم سيكون عمقها؟ فهي دركات، كما أن الجنة درجات.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٢ - (٢٨٤٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: قَالَ قَتَادَةُ: سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ سَمُرَةَ: أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْرَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ».

٣٣ - (٢٨٤٥) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، يَعْنِي ابْنَ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْرَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوتِهِ».

٣٣ - (٢٨٤٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَجَعَلَ مَكَانَ حُجْرَتِهِ: «حِقْوَتِهِ».

(إِلَى حُجْرَتِهِ) معقد الإزار والسراويل.

هذا في المسلمين أصحاب الكبائر، وأما الكفار فإنها تحيط بهم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ:

﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [سورة الانفطار: ١٥]، وقال:

﴿حُدُّوهُ فَعُلُوهُ﴾ ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾، وكما

قال: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١]، أي تحيط

بهم، لكن المؤمن تصيبه بقدر ذنوبه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ

الجبارون من الكفار، والضعفاء من المسلمين، ليس مطلق الضعف سبب لدخول الجنة، ولا مطلق الجبروت سبب لدخول النار، ولكن جبروت مع الكفر وهكذا ضعف مع الإيمان.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٤ - (٢٨٤٦) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اِخْتَبَتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلْنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلْنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ»، وَرَبَّمَا قَالَ: «أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا»^(١).

٣٥ - (٢٨٤٦) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنِي وَرْقَاءُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَحَابَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُورِثْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضُّعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجْزُهُمْ؟ فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلَا تَمْتَلِي، فَيَضَعُ قَدَمُهُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ، فَهَذَا لَكَ تَمْتَلِي وَيُزَوَّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ».

٣٥ - (٢٨٤٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْنٍ الْهَلَالِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو سُفْيَانَ، يَعْنِي مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اِخْتَبَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ»، وَاقْتَصَرَ الْحَدِيثُ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي الزِّنَادِ.

(اِخْتَبَتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ) في إثبات أن هذه المخلوقات تتكلم إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ، وفيه

دليل على وجود الجنة والنار الآن، وأنها مخلوقتان.

(وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا) ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾

[سورة ق: ٣٠].

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٨٥٠).

قال النووي **رَحِمَهُ اللهُ** (١٧ / ١٨١): قوله **رَضِيَ اللهُ** (وقالت الجنة فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم) أما سقطهم فبفتح السين والقاف أي ضعفاؤهم والمتحقرن منهم وأما عجزهم فبفتح العين والجيم جمع عاجز أي العاجزون عن طلب الدنيا والتمكن فيها والثروة والشوكة وأما الرواية رواية محمد بن رافع ففيها لا يدخلني الاضعاف الناس وغرتهم فروي على ثلاثة أوجه حكاها القاضي وهي موجودة في النسخ إحداها غرتهم بغين معجمة مفتوحة وتاء مثلثة قال القاضي هذه رواية الأكثرين من شيوخنا ومعناها أهل الحاجة والفاقة والجوع والغرث الجوع والثاني عجزتهم بعين مهملة مفتوحة وجيم وزاي وتاء جمع عاجز كما سبق والثالث غرتهم بغين معجمة مكسورة وراء مشددة وتاء مثناة فوق وهكذا هو الأشهر في نسخ بلادنا أي البله الغافلون الذين ليس بهم فتك وخذق في أمور الدنيا وهو نحو الحديث الآخر أكثر أهل الجنة البله قال القاضي معناه سواد الناس وعامتهم من أهل الايمان الذين لا يفتنون للسنة فيدخل عليهم الفتنة أو يدخلهم في البدعة أو غيرها فهم ثابتوا الايمان وصحيحوا العقائد وهم أكثر المؤمنين وهم أكثر أهل الجنة وأما العارفون والعلماء العاملون والصالحون المتعبدون فهم قليلون وهم أصحاب الدرجات قال وقيل معنى الضعفاء هنا وفي الحديث الآخر أهل الجنة كل ضعيف متضعف أنه الخاضع لله تعالى المذل نفسه له **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى** ضد المتجبر المستكبر، قوله **رَضِيَ اللهُ** (فتقول قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض) معنى يزوى يضم بعضها إلى بعض فتجتمع وتلتقي على من فيها ومعنى قط حسبي أي يكفيني هذا وفيه ثلاث لغات قط بـ إسكان الطاء فهما وبكسرهما منونة وغير منونة. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٦ - (٢٨٤٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبَّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغَرَّتُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ تَقُولُ: قَطُّ قَطُّ قَطُّ، فَهَذَا لِكَ تَمْتَلِي وَيُرَوَّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»^(١).

٣٦ - (٢٨٤٧) وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اِحْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ»، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَى قَوْلِهِ: «وَلِكُلِّيكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا»، وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ مِنَ الزِّيَادَةِ.

(وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا) يكرمهم، جاء في بعض الروايات: «وَأَمَّا النَّارُ فَإِنَّ

اللَّهُ يَنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»، وهذه الرواية منكورة، فما كان الله عزَّوَجَلَّ ليدخل النار من لا استحقاق له بسكنائها، وأما الجنة فهي فضله، يدخل فيها من شاء، يخلقهم ويكرمهم بها.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٨٥٠).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٧ - (٢٨٤٨) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ، وَيُزَوِّي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»^(١).

٣٧ - (٢٨٤٨) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ الْعَطَّارِ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِ شَيْبَانَ.

٣٨ - (٢٨٤٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّزِّيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ: فِي قَوْلِهِ عَزَّجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [سورة ق: ٣٠] فَأَخْبَرَنَا عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيُزَوِّي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ».

٣٩ - (٢٨٤٨) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ: «يَبْقَى مِنَ الْجَنَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْقَى، ثُمَّ يُشِئُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا خَلْقًا مِمَّا يَشَاءُ».

فيه إثبات صفة القدم لله عَزَّجَلَّ على ما يليق بجلاله، وإثبات صفة العزة، وجواز الحلف بالصفات.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٨٤٨).

ويؤول المبتدعة مثل هذا الحديث على مذهبهم الباطل في تحريف أدلة الصفات بينما طريقة أهل السنة اثبات ما أثبتته الله لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل هو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**، فنثبت له القدم والرجل واليد والساعد والكف والوجه والأصابع وغير ذلك من صفاته، كما ثبتت الغضب والرضا والسخط، وكل ما جاءت به الأدلة.

وأما ما سطره النووي في شرحه ونقله عن غيره فقد جانب الحق والصواب ولزوم سبيل أهل الشقاق، حيث قال (١٧/ ١٨٢): وفي الرواية الأولى فيضع قدمه عليها هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وقد سبق مرات بيان اختلاف العلماء فيها على مذهبين أحدهما وهو قول جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها بل نؤمن أنها حق على ما أراد الله ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والثاني وهو قول جمهور المتكلمين أنها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث فقليل المراد بالقدم هنا المتقدم وهو شائع في اللغة ومعناه حتى يضع الله تعالى فيها من قدمه لها من أهل العذاب قال المازري والقاضي هذا تأويل النضر بن شميل ونحوه عن بن الأعرابي الثاني أن المراد قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم الثالث أنه يحتمل أن في المخلوقات ما يسمى بهذه التسمية وأما الرواية التي فيها يضع الله فيها رجله فقد زعم الإمام أبو بكر بن فورك أنها غير ثابتة عند أهل النقل ولكن قد رواها مسلم وغيره فهي صحيحة وتأويلها كما سبق في القدم ويجوز أيضا أن يراد بالرجل الجماعة من الناس كما يقال رجل من جراد أي قطعة منه قال القاضي أظهر التأويلات أنهم قوم استحقوقها وخلقوا لها قالوا ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى.

اهـ

فهذا مذهب ردي وغير سوى، سواء مذهب المفوضة أو المعطلة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٠ - (٢٨٤٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ كُرَيْبٍ، وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحٌ»، زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ: «فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»، وَاتَّفَقَا فِي بَاقِي الْحَدِيثِ: «فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ قَالَ: وَيَقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ»، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَأَنذَرُكُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة مريم: ٣٩] وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا ^(١).

٤١ - (٢٨٤٩) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ». ثُمَّ ذَكَرَ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّجَلَّ»، وَلَمْ يَقُلْ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَيْضًا: وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا.

٤٢ - (٢٨٥٠) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنِي، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا نَافِعٌ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَدِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، كُلُّ خَالِدٍ فِيمَا هُوَ فِيهِ» ^(٢).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٧٣٠).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٤٤).

٤٣ - (٢٨٥٠) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، وَحَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَصَارَ أَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، أُتِيَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ».

(يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبُشٌ أُمْلَحٌ) الأملح الذي فيه بياض وسواد وبياضه أكثر، وهذا دليل على أن المعاني تتحول إلى أعراض، إذا شاء الله ذلك، ومن ذلك: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَأَلْ عِمْرَانَ»، وهكذا «فيؤتى بالقرآن على صورة الشاب شاحب اللون»، فهذه معاني تتحول إلى أعراض.

(وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ) لأن كل واحد قد رأى الموت.

(فَيَشْرَبُونَ) يعني: يرفعون أبصارهم ينظرون.

(وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ) ولعلمهم يظنون البشارة، ولكن بعد ذلك لا بشارة لهم.

(فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ) ولا يظن الظان أن هذا ملك الموت، لا، هذا الموت، يحيله الله عَزَّجَلَّ إلى عرض، ويتصور بهذه الصورة وهذه الهيئة، أما ملك الموت ليس هذا شأنه. (يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ) دليل على أبدية الجنة والنار، ويدل عليه الرواية الآتية (كل خالد فيها)، وهذا محل إجماع عند أهل السنة، وخالفت الجهمية والمعتزلة فقالوا بفنائهما.

(وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ) أي: يوم القيامة، سمي بيوم الحسرة؛ لشدة الحسرات فيه.

(إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ) قضى الأمر فيه ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [سورة الشورى: ٧].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٤ - (٢٨٥١) حَدَّثَنِي سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ضَرْسُ الْكَافِرِ» أَوْ: «نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أَحَدٍ، وَغِلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ».

(ضَرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أَحَدٍ) أي جبل أحد في العظم.

ويكون هذا؛ ليشدد عليه العذاب؛ لأن العذاب يقع على الجلود، وتتألم منه الأبدان، كما قال تعالى: ﴿كَلَّمَآ نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج: ٢٠].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥ - (٢٨٥٢) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ الْوُكَيْعِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ قَالَ: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ»، وَلَمْ يَذْكُرِ الْوُكَيْعِيُّ: فِي النَّارِ (١).

وهذا يزيدهم شدة إلى شدتهم، وعذابا إلى عذابهم، وضنكا إلى ضنكهم، وهذا في حق الكفار، أما حق المسلمين الذين يدخلون النار لتهديبهم يخرجون على غير هذا الشأن.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦ - (٢٨٥٣) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنِي مَعْبُدُ بْنُ خَالِدٍ: أَنَّهُ سَمِعَ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ ﷺ: «كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «كُلُّ عَتَلٍ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٥١).

٤٦ - (٢٨٥٣) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهِدَا
الْإِسْنَادِ بِمِثْلِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ».

٤٧ - (٢٨٥٣) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ
مَعْبُدِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: سَمِعْتُ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ الْخَزَاعِيَّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ
بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ جَوَاطِ زَنِيمٍ مُتَكَبِّرٍ»^(١).

(حَارِثَةُ بْنُ وَهْبٍ) الخزاعي الكوفي، أخو عبيد الله بن عمر بن الخطاب لأمه.
(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ) أي بصفاتهم لا أشخاصهم.
(كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ) ضعيف البدن والحال والمال مع إيمان، وأيضا يتضعف
تواضعا لله عزَّ وجلَّ وتواضعا للمسلمين.

(لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ)؛ لعظيم فضله، وعلوم منزلته، وكثير مراقبته.
(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ) أي بأوصافهم وعلاماتهم.
(كُلُّ عُتْلٍ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ) يعني قاسي القلب، سيء الحال، مترفع على الغير.
قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: لَهُ ﷺ فِي أَهْلِ النَّارِ: (كُلُّ عُتْلٍ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ)، وَفِي رِوَايَةٍ:
(كُلُّ جَوَاطٍ زَنِيمٍ مُتَكَبِّرٍ)، أَمَّا (الْعُتْلُ)، بِضَمِّ الْعَيْنِ وَالتَّاءِ، فَهُوَ: الْجَافِي الشَّدِيدُ
الْخُصُومَةُ بِالْبَاطِلِ، وَقِيلَ: الْجَافِي الْفُظُّ الْغَلِيظُ.

وَأَمَّا (الْجَوَاطُ) بِفَتْحِ الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ بِالظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ، فَهُوَ: الْجَمُوعُ الْمَنُوعُ،
وَقِيلَ: كَثِيرُ اللَّحْمِ الْمُخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ، وَقِيلَ: الْقَصِيرُ الْبَطِينُ، وَقِيلَ: الْفَاحِرُ بِالْخَاءِ.
وَأَمَّا (الزَّانِيمُ) فَهُوَ: الدَّعِي فِي النَّسَبِ الْمُلْصَقِ بِالْقَوْمِ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ، شُبَّةَ بَرْنَمَةِ الشَّاةِ.
وَأَمَّا (الْمُتَكَبِّرُ وَالْمُسْتَكْبِرُ) فَهُوَ صَاحِبُ الْكِبَرِ، وَهُوَ بَطَرُ الْحَقِّ وَعَمَطُ النَّاسِ. اهـ

وهذه الصفات التي يذكرها النبي ﷺ من صفات أهل الجنة ينبغي للمسلم أن يتصف به، إما جبلة وإما اكتساباً، وما كان من صفات النار ينبغي للمسلم أن يتنزه عنها، إما جبلة، وإما اكتساباً، فلا يتصف بهذه الصفات لسؤها وشؤم حال أهلها.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٤٨ - (٢٨٥٤) حَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مِيسَرَةَ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ».

(أشعث) منتشر شعر الرأس، متغير الوجه؛ لقلّة ذات اليد، وقلّة المتاع، وقلّة الطعام والشراب، ومع ذلك يدفعه الناس؛ لفقره وحاجته، لكنه لو أقسم على الله **عَزَّوَجَلَّ** لأبره، لأبر الله قسمه؛ لعظيم فضله عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٤٩ - (٢٨٥٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ النَّاقَةَ، وَذَكَرَ الَّذِي عَقَرَهَا فَقَالَ: ﴿إِذْ أُنْبِثَتْ أَشَقَّهَا﴾ [سورة الشمس: ١٢] **أُنْبِثَتْ بِهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ مَبِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ**.

ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ فَوَعَّظَ فِيهِنَّ ثُمَّ قَالَ: «إِلَامٌ يَجْلِدُ أَحَدَكُمْ أَمْرَأَتَهُ؟» فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: «جَلَدَ الْأَمَةِ»، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: «جَلَدَ الْعَبْدِ، وَلَعَلَّهُ يَضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ».

ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ فَقَالَ: «إِلَامٌ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٩٤٢).

(عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَمْعَةَ) بن الأسود الأسدي، أخته سودة بنت زمعة زوجة رسول الله ﷺ.
 (فَذَكَرَ النَّاقَةَ، وَذَكَرَ الَّذِي عَقَرَهَا) يريد ناقد صالح، إذ أن الله عَزَّجَلَّ جعلها آية
 لصالح، وأمرهم أن يجعلوا البئر بينهم وبينها: لهم شرب يوم ولها شرب يوم، ولكنهم
 كذبوه، فعقروها، وأضاف العقير إليهم جميعا مع أن العاقر واحد؛ لأنهم تمالؤوا على
 ذلك ورضيوه، والراضي كالفاعل.

(﴿إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾) يعني أشقى القوم.

(أَنْبَعَثَ بِهَا) قام لقتلها.

(رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ مَنِيعٌ) عزيز يعني: قوي، عارم: ظالم غاشم، منيع: يمنعه رهطه
 وينصرونه، واسمه قدارين سالف، قال الحافظ في "فتح الباري" (٦/ ٣٧٩): وذكر بن
 إسحاق في المبتدأ وغير واحد أن سبب عقيرهم الناقة أنهم كانوا اقترحوها على صالح
 عليه السلام فأجابهم إلى ذلك بعد أن تقتلوا في وصفها فأخرج الله له ناقة من صخرة
 بالصفة المطلوبة فآمن بعض وكفر بعض واتفقوا على أن يتركوا الناقة ترعى حيث
 شاءت وترد الماء يوما بعد يوم وكانت إذا وردت تشرب ماء البئر كله وكانوا يرفعون
 حاجتهم من الماء في يومهم للغد ثم ضاق بهم الأمر في ذلك فانتدب تسعة رهط منهم
 قدار المذكور فباشر عقيرها فلما بلغ ذلك صالحا عليه السلام أعلمهم بأن العذاب
 سيقع بهم بعد ثلاثة أيام فوقع كذلك كما أخبر الله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه وأخرج أحمد
 وابن أبي حاتم من حديث جابر رفعه إن الناقة كانت ترد يومها فتشرب جميع الماء
 ويحتلبون منها مثل الذي كانت تشرب وفي سننه إسماعيل بن عياش وفي روايته عن
 غير الشاميين ضعف وهذا منها. اهـ

(مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ) يريد أن أبا زمعة في رهطه له شأن.

(ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ فَوَعَّظَ فِيهِنَّ) أمر بأداء حقوقهن.

(إِلَامٌ) بمعنى: علام، وإلى الآن لهجة تهامة هكذا: إبدال العين همزة.

(وَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ) يعني كأن لم يكن منه إليها أذية.
(الضَّرْطَةُ): الفسء، إلا أن الضرطة تكون بصوت.
(إِلَّا مَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ) وهذا من تأديب النبي ﷺ لمن إليه، فإن الإنسان ينبغي أن لا يصدر منه ما يتأذى منه أخوه المسلم.
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٠ - (٢٨٥٦) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لَحْيٍ بْنِ قَمْعَةَ بْنِ خِنْدَفَ أَخَا بَنِي كَعْبٍ هُوَ لَا، يَجُرُّ قُضْبَهُ فِي النَّارِ»^(١).

٥١ - (٢٨٥٦) حَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ، وَحَسَنُ الْحُلَوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: عَبْدُ أَخْبَرَنِي وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ: إِنَّ الْبَحِيرَةَ الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاعِيتِ، فَلَا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَأَمَّا السَّائِبَةُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِإِلَهَتِهِمْ، فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُضْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السُّيُوبَ»^(٢).

(يَجْرُ قُصْبُهُ فِي النَّارِ): يجر أمعاءه في النار، وذلك؛ للبدعة التي ابتدعها، فهو أول من أدخل الأصنام إلى جزيرة العرب، وهو أول من سيب السوائب، بمعنى أنه أدخل لهم بدعة هذه بحيرة وهذه سائبة.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥٢١).

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٦٢٣).

وفي هذا خطر البدعة، وأن المبتدع يحمل وزره ووزر من ضل بفتواه، أو بقوله ودلالته.

وفيه اثبات عذاب القبر لمستحقه، وهذه مسألة مجمع عليها بين أهل الحديث ولا ينكره إلا زنديق.

(الْبَحِيرَةُ الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ) يمنع حلييها ولبنها للأصنام، وهذا من تحريم ما أحل الله عَزَّوَجَلَّ.

(وَأَمَّا السَّائِبَةُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا) يتركونها فلا يتنفعون بها، وقد قال الله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَذَّبْتُمْهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

وقد أخرج أثر سعيد بن المسيب البخاري مطولاً وزاد على ما عند المصنف: "وَالْوَصِيلَةُ: النَّاقَةُ الْبَكْرُ، تُبَكَّرُ فِي أَوَّلِ نِتَاجِ الْإِبِلِ، ثُمَّ تُثْنَى بَعْدَ بَأْتِي، وَكَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لَطَوَاغِيَّتِهِمْ، إِنْ وَصَلَتْ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى لَيْسَ بَيْنَهُمَا ذَكَرٌ، وَالْحَامِ: فَحْلُ الْإِبِلِ يَضْرِبُ الضَّرَبَ الْمَعْدُودَ، فَإِذَا قَضَى ضَرَابَهُ وَدَعُوهُ لِلطَّوَاغِيتِ، وَأَعْفُوهُ مِنَ الْحَمْلِ، فَلَمْ يُحْمَلْ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَسَمَّوْهُ الْحَامِيَّ."

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٢ - (٢١٢٨) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سَيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا».

٥٣ - (٢٨٥٧) حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا زَيْدٌ، يَعْنِي ابْنَ حُبَابٍ، حَدَّثَنَا أَفْلَحُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

﴿صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾: «يُوشِكُ أَنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ أَنْ تَرَى قَوْمًا فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَغْدُونَ فِي غَضَبِ اللَّهِ وَيَرْوَحُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ».

٥٤ - (٢٨٥٧) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ، حَدَّثَنَا أَفْلَحُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَافِعٍ، مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ أَوْشَكَتَ أَنْ تَرَى قَوْمًا يَغْدُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ وَيَرْوَحُونَ فِي لَعْنَتِهِ، فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ».

وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ، إذ أن هذه الأصناف لم تأت إلا بعده، وهذا دليل على شدة تعذيبهم للناس، وإهانتهم للناس، فيعذبهم الله بالنار وبئس القرار.

(صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا) أي أنهم كانوا بعده وخالفوا شريعته وطريقته وهديه.

(قَوْمٌ مَعَهُمْ سَيَاطٌ) ما يضر بها من جلد وعصا ونحوها.

(يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ) فيعذبونهم، وقد قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَعْذِبُ الَّذِينَ يَعْذِبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا) وقد تقدم.

(وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ) أي عليهن لباس، لكنه غير ساتر، وقيل: متبرجات عاريات.

(مُمِيلَاتٌ): لغيرهن، (مَائِلَاتٌ) في أنفسهن، وقيل: في مشيهن، أو نحو ذلك.

(رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ) تجمع شعرها أو تضع كالكرة أو نحو ذلك من الوصل وتنصبه على رأسها.

(لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا) هذا على الوعيد، وإلا فهي معصية ليست بمكفرة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: يُتَأَوَّلُ التَّأْوِيلَيْنِ السَّابِقَيْنِ فِي نَظَائِرِهِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ اسْتَحَلَّتْ حَرَامًا مِنْ ذَلِكَ مَعَ عِلْمِهَا بِتَحْرِيمِهِ، فَتَكُونُ كَافِرَةً مُخَلَّدَةً فِي النَّارِ، لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَبَدًا.

وَالثَّانِي: يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا أَوَّلَ الْأَمْرِ مَعَ الْفَائِزِينَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(يَعْدُونَ فِي غَضَبِ اللَّهِ وَيَرْوَحُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ) بسبب ظلمهم وتجاوزهم وتقليدهم للكافرين، وتعذيبهم للمؤمنين، فرحمة المؤمنين مؤداها إلى رحمة الله **عَزَّوَجَلَّ** للعبد، كما قال رسول الله ﷺ: **«الراحمون يرحمهم الرحمن»**، وتعذيب المؤمنين مؤداها إلى سخط الله **عَزَّوَجَلَّ** على العبد وغضبه عليه.

وفي الحديث اثبات صفتي الغضب والسخط لله **عَزَّوَجَلَّ**، وهما صفتان حقيقتان على ما يليق بجلاله، ولا يلتفت إلى من فسر الغضب والسخط بالانتقام، فهذا سبيل أهل البدع حيث يفسرون الصفة بلازمها، بينما أهل السنة يثبتون الصفة ولازمها، فالله يغضب وإذا غضب انتقم، كما قال تعالى: **﴿فَلَمَّا أَصَفْنَا نَقَضْنَا صُهُرَهُمْ﴾**، ففرق بين الغضب ولازمه.

قال **رَحْمَةُ اللَّهِ:**

بَابُ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ:**

٥٥ - (٢٨٥٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ أَعْيَنَ، (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، كُلُّهُمْ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا قَيْسٌ قَالَ: سَمِعْتُ مُسْتَوْرِدًا أَخَا بَنِي فِهْرٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهُ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إَصْبَعَهُ هَذِهِ» وَأَشَارَ يَحْيَىٰ بِالسَّبَابَةِ «فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجِعُ».

وَفِي حَدِيثِهِمْ جَمِيعًا غَيْرَ يَحْيَى: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ، عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ أَخِي بَنِي فَهْرٍ، وَفِي حَدِيثِهِ أَيْضًا قَالَ: وَأَشَارَ إِسْمَاعِيلُ بِالْإِبْهَامِ.

(أَخَا بَنِي فَهْرٍ) يعني من قریش.

(فِي الْيَمِّ): البحر أو النهر، بمعنى أن ما يحصله الإنسان من الدنيا ليس بشيء فما مثل تحصيل الإنسان من الدنيا إلا كمثل وضع الإصبع في البحر ثم يخرجها، لا ترى فيها إلا بللا، ربما لا ترى فيها أثرا.

والمشكلة أن الناس تعلقت قلوبهم بالدنيا، بسبب زخارفها، وملذاتها القريبة، وإلا ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر، يعني لا نسبة مذكورة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٦ - (٢٨٥٩) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ حَاتِمِ بْنِ أَبِي صَغِيرَةَ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاءَ عُرَاةٍ غُرْلًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ قَالَ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»^(١).

٥٦ - (٢٨٥٩) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، عَنْ حَاتِمِ بْنِ أَبِي صَغِيرَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي حَدِيثِهِ: «غُرْلًا».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٦٢٧).

(يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أي حين يخرجون من قبورهم، كما قال تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

(حُفَاةٌ) أي: لا نعال لهم، **(غُرْلًا)** أي: غير مختنين، **(عُرَاةٌ)** أي: لا ثياب عليهم.

جاء خارج الصحيح: **(بُهْمًا)** أي: لا يملكون شيئاً، كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿كَمَا

بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٤]، ويأتي في الحديث الآتي.

(الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ) لشدة الأحوال والأهوال؛ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ

مِنْ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَلْبَتُهُ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ٣٧﴾

[سورة الواقعة: ٣٧-٣٧]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ

عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٥٧ - (٢٨٦٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ: **«إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ مُشَافَةً حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»** وَلَمْ يَذْكُرْ زُهَيْرٌ فِي حَدِيثِهِ: يَخْطُبُ ^(١).

٥٨ - (٢٨٦٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ، فَقَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، كَمَا**

بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٤] **أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ**

الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيَجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الْغَقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١٧) إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ [سورة المائدة: ١١٧-١١٨] قَالَ: فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ. (١)

فِي حَدِيثٍ وَكَيْعٍ، وَمُعَاذٍ فَيُقَالُ: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ».

(قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ) مذكرا بالجنة ومحذرا من النار، مرغبا ومرهبا.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ) هذا من العام الذي يراد به الخصوص.

(﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾) يعني: يخرج الإنسان من بطن أمه حافيا عاريا غرلا، ويبعث يوم القيامة حافيا عاريا غرلا.

(﴿وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾) والله عَزَّوَجَلَّ لا يخلف وعده.

(أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) قيل: بسبب ما حصل له من إلقائه في النار، فأكرمه الله بإبداله بهذا الثوب، قال الحافظ في "الفتح" (٦/ ٣٩٠): ويقال إن الحكمة في خصوصية إبراهيم بذلك لكونه ألقى في النار عريانا وقيل لأنه أول من لبس السراويل ولا يلزم من خصوصيته عليه السلام بذلك تفضيله على نبينا محمد ﷺ لأن المفضول قد يمتاز بشيء يخص به ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة ويمكن أن يقال لا يدخل النبي ﷺ في ذلك على القول بأن المتكلم لا يدخل في عموم خطابه. اهـ

(أَلَا وَإِنَّهُ سَيَجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ) وهم أصحاب البدع المغيرون المبدلون والمرتدون.

(فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي) في الظاهر؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب.

(فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُوا بِعَدِّكَ) من الارتداد ونحوه.

(فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ) عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) مطلعًا.

(مَا دُمْتُ فِيهِمْ) أي مدة بقائي فيهم.

(فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي) قبضتني ورفعتني إلى السماء؛ لأن عيسى لا يموت إلا في آخر

الزمان.

(كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ) المطلع عليهم وعلى أفعالهم.

(وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) مطلع.

(إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ) ويستحقون ذلك (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ) [سورة

فصلت: ٤٦].

(وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ) تتجاوز عنهم، أي بتوبة إن كانوا أحياء، أو من مات على

الإسلام، أما من مات على الكفر فلا يمكن أن يغفر له.

(فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ) الذي لا يغلب.

(الْحَكِيمُ) في فعله وأمره.

(إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ) وهذا دليل على الردة، وكثير من

علماء السوء ينكرون حكم الردة، مع أنها ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، وما زال

العلماء يكتبون في أحكام المرتدين، وتجد كتب أهل العلم مليئة بهذا الباب أحكام

المرتدين، والردة واقعة من الرجال والنساء.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٩ - (٢٨٦١) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا بِهِزٌ قَالَ: جَمِيعًا حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَتَحْشَرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»^(١).

(يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ) يعني ثلاثة أنواع:

(رَاغِبِينَ) وهم أهل الإيمان والإحسان.

(رَاهِبِينَ) وهم أهل المعاصي، وأسوأه الشرك.

(وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ) يتعاقبون.

وهذا الحشر قبل النفخ في الصور، أما بعد النفخ في الصور ما هناك أبرة يركبون عليها، ولا هنالك ملابس يكتسونها، إنما هذا قبل النفخ في الصور.

(وَعَشْرَةً عَلَى بَعِيرٍ) أي يعتقبونه، ليس معنى ذلك أنهم يركبونه دفعة واحدة، قد لا يستطيع أن يحملهم، وإنما يركب كل واحد مسافة يتفقون عليها.

(وَتَحْشَرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ) أي التي تخرج من قعر عدن.

(تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا)؛ لأنها تبقى ليلي وأياما، بخلاف يوم القيامة، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [سورة المعارج: ٤].

(وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا) أي تمشي بمشيهم، لا يستطيعون الوقوف؛ لخوفهم منها، ومع ذلك لا تلحقهم حتى تحرقهم، وإنما تمشي بمشيتهم، فإذا تعبوا وأرادوا القيلولة توقفت حتى يأخذوا

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٢٢).

راحتهم، وإذا جاء الليل وأرادوا البيوتة توقفت حتى يأخذوا راحتهم، فإذا طلع الفجر مشت بهم، إلى أرض المحشر والمنشر، وهذا قبل النفخ الصور على ما تقدم، وأما بعد النفخ في الصور فلا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي صِفَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَعَانَنَا اللَّهُ عَلَى أَهْوَالِهَا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٠ - (٢٨٦٢) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا يَحْيَى، يَعْنُونَ ابْنَ سَعِيدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» [سورة المطففين: ٦] قَالَ: يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رُشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أَذُنَيْهِ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ الْمُثَنَّى قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ»، لَمْ يَذْكُرْ: «يَوْمٌ»^(١).

٦٠ - (٢٨٦٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُسَيَّبِيُّ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ، يَعْنِي ابْنَ عِيَاضٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، كِلَاهُمَا عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، وَعِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا مَعْنٌ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو نَصْرِ التَّمَّارُ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَيُّوبَ، (ح) وَحَدَّثَنَا الْحُلَوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، كُلُّ هَؤُلَاءِ عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، غَيْرَ أَنْ فِي حَدِيثِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، وَصَالِحٍ: «حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رُشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أَذُنَيْهِ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٩٣٨).

(يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) سمي يوم القيامة؛ لهذا القيام العظيم.

(يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ) كل بحسبه، فرب مؤمن لا رشح له ورب كافر لا سلامة له، يلجمه العرق إلجاماً، وبين ذلك، فمنهم من يصل العرق إلى كعبيه، ومنهم من يصل إلى ساقيه، ومنهم من يصل إلى ركبتيه، ومنهم من يصل إلى فخديه، ومنهم من يصل إلى حقوه، ومنهم من يصل إلى صدره، ومنهم من يصل إلى ترقوته، ومنهم من يلجمه، أي أن كل إنسان يكون عرقه بقدر عمله.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦١ - (٢٨٦٣) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ نَوْزٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَرَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ بَاعًا، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ إِلَى أَفْوَاهِ النَّاسِ أَوْ إِلَى آذَانِهِمْ»، يَشْكُ نَوْزٌ أَتَيْهِمَا قَالَ ^(١).

(إِنَّ الْعَرَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ بَاعًا) يعني لا يجاوز أحدهم عرقه. لا حول ولا قوة إلا بالله، كم يتألم الناس في أيام الحر من العرق الخفيف مع وجود مراوح، وربما المكيفات، فكيف بذلك العرق الشديد الذي يسيل من الإنسان سيلانا حتى يصل إلى سبعين باعا في الأرض سبعين متراً، ثم يلجمه، ويؤذيه، ويقلقه ويتعبه وينصبه، فلذلك لا أحسن من العمل الصالح؛ حتى يظل الإنسان تحت ظل عرش الله، أو في الظل الذي يجعله الله عَرْوَجَلَّ يوم لا ظل إلا ظله.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٣٢).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٢ - (٢٨٦٤) حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى أَبُو صَالِحٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَزَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي سَلِيمُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنِي الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسود قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ».

قَالَ سَلِيمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ، أَمْسَافَةَ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ.

قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا»، قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.

(المقداد بن الأسود) المقداد بن عمرو، شهد بدرًا والمواقع وكان شجاعًا.

(فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ، أَمْسَافَةَ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ) كانوا

يتوقفون في التفسير على ما جاءت به الأدلة، لا يجاوزون ذلك.

أحوال شديد، وأحوال عظيمة نسأل الله السلامة والعافية.

ومع ذلك أحوال المؤمنين فيه من أحسن الأحوال شرب من الحوض، وظل

العرش، والشفاعات، وثقل الموازين، وستر رب العالمين، والنظر إلى رب العالمين،

وغير ذلك من الخير العظيم والفضل العميم.

بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٦٣ - (٢٨٦٥) حَدَّثَنِي أَبُو عَسَانَ الْمُسَمَعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ
بْنِ عُثْمَانَ وَاللَّفْظُ لِأَبِي عَسَانَ، وَابْنُ الْمُثَنَّى قَالَا: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي،
عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ: أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُم مَّا جَهَلْتُم
مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهُمْ،
وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ،
وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ
عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِابْتِلَاكِ وَأَبْتِلَاكِ بَكْ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ،
تَقْرُوهُ نَائِمًا وَيَقْظَانِ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذَا يَنْلَغُوا رَأْسِي
فَيَدْعُوهُ خُبْرَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ، وَاعْزُهُمْ نَعْرَكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنْتَفِقَ
عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا تَبْعَثْ خَمْسَةَ مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ».

قَالَ: «وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقٌ
الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ».

قَالَ: «وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبَرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ
أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْحَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ
وَلَا يُمَسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ»، وَذَكَرَ الْبُحْلَ أَوِ الْكَذِبَ، وَالشَّنْظِيرُ
الْفَحَّاشُ، لَمْ يَذْكُرْ أَبُو عَسَانَ فِي حَدِيثِهِ: «وَأَنْفِقْ فَسَنْتَفِقَ عَلَيْكَ».

٦٣ - (٢٨٦٥) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَلَمْ يَذْكُرْ فِي حَدِيثِهِ: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ.

٦٣ - (٢٨٦٥) حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشِيرٍ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ هِشَامِ صَاحِبِ الدُّسْتَوَائِيَّ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ ذَاتَ يَوْمٍ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: قَالَ يَحْيَى: قَالَ شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ: قَالَ: سَمِعْتُ مُطَرِّفًا فِي هَذَا الْحَدِيثِ.

٦٤ - (٢٨٦٥) وَحَدَّثَنِي أَبُو عَمَّارٍ حُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى، عَنْ الْحُسَيْنِ، عَنْ مَطَرٍ، حَدَّثَنِي قَتَادَةُ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ هِشَامٍ، عَنْ قَتَادَةَ، وَزَادَ فِيهِ: «وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»، وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «وَهُمْ فِيكُمْ تَبَعًا، لَا يَبْغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا».

فَقُلْتُ: فَيَكُونُ ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَدْرَكْتُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَرَى عَلَى الْحَيِّ مَا بِهِ إِلَّا وَلِيدَتُهُمْ يَطُؤُهَا.

(عياض بن حمار المجاشعي) بن أبي حمار الجاشعي، سكن البصرة، ليس له في مسلم إلا هذا الحديث، والنووي رَحِمَهُ اللَّهُ في (رياض الصالحين) جعل له حديثين، وهو هذا الحديث، إنما أخذ منه ما يتعلق بالتواضع في بابه.

(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ) وقد كان النبي ﷺ يخطبهم في العيد، والجمعة، والكسوف، والاستسقاء، وخطبهم في حجة الوداع يوم عرفة، وخطبهم في منى، وخطبهم في غير ذلك من المواطن، معلما واعظا، مرشدا، مفهما، ناهيا، آمرا، زاجرا، كل خطبة بحسبها.

(أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُم) فيه أنه مأمور من الله، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ٣٠ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ [سورة النجم: ٣-٤]، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَاغُ الْمُبِينِ﴾ ٥٤ [سورة النور: ٥٤]، ﴿لَا تُذَكِّرُوا بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [سورة الأنعام: ١٩].

(كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ) إن أخذه من حله، أما إذا أخذه من حرام فليس بحلال، لكن المراد: إن أخذه من حله، والأصل الحل حتى تطراً الحرمة، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٧ / ١٩٧): معنى نحلته أعطيته وفي الكلام حذف أي قال الله تعالى كل مال أعطيته عبداً من عبادي فهو له حلال والمراد إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة والبحيرة والحامي وغير ذلك وأنها لم تصرحوا حراماً بتحريمهم وكل مال ملكه العبد فهو له حلال حتى يتعلق به حق. اهـ

(وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُفَاءً): على الفطرة والتوحيد، ويؤيده قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [سورة الروم: ٣٠]، وقال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيَنْصَرَانِهِ وَيُمَجَّسَانِهِ»، ولم يقل: أو يمسلماناه؛ لأنه مسلم في الأصل، والحنيف: هو الموحد، المائل عن الشرك، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُفَاءً﴾ [سورة البينة: ٥]، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٠].

(وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ): حرفتهم وصرفتهم وأغوتهم عن دينهم.

(وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ) حرمت عليهم من بهيمة الأنعام ما أحله الله حيث حرموا السائبة والوصيلة والبحيرة، مع أن الله عَزَّجَلَّ ما أمرهم بهذا، ﴿قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفَتَرُونَ﴾ [سورة يونس: ٥٩]، هذا هو الواقع أنهم أطاعوا الشياطين..

(وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا) ليس للشرك سلطان، وإنما هذه صفة كاشفة، ووقع الناس في الإشراف بأمر الشيطان، في أول الزمان وآخره، ﴿الَّذِينَ أَقْبَلُوا عَهْدَ

إِلَيْكُمْ يَبْنِيْ عَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ [سورة يس: ٦٠]، وفي آخر الزمان يقول لهم: ألا تعبدون ما كان يعبد آباؤكم؟ قالوا: وما كان يعبد آباؤنا؟ قال: اللات والعزى فيعودون لعبادتهما.

(وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ) إثبات صفة النظر لله عَزَّوَجَلَّ، وهو يرى بعينين حقيقيتين تليق بجلاله، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [سورة الشورى: ١١].
(فَمَقَّتْهُمْ) صفة المقت، أي: أبغضهم وكرههم، فصفه المقت ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ ﴿لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرَ مِنْ مَّقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [سورة غافر: ١٠].
(عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ) بسبب ما هم عليه من الشرك والضلالة.

(إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) بقائهم على الدين الحق، وقليل ما هم، وإلا أغلب أهل الكتاب قد حرفوه وبدلوا، وارتكبوا الشرك والضلالة.

(وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَّكَ وَأَبْتَلِيَّ بِكَ) يختبره، أبلغ دين الله ويصبر على أقداره أم لا يكون كذلك، ويتلي به: من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود: ٧].

(وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا) وهو القرآن (لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ)؛ لأنه محفوظ في الصدور مكتوب في الألواح.

(تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانِ) أي أن الإنسان يستطيع أن يقرأه في حال اضطجاعه وفي حال قيامه.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فَقَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ يَكُونُ مُحْفُوظًا لَكَ فِي حَالَتِي النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ، وَقِيلَ: تَقْرُؤُهُ فِي يُسْرٍ وَسُهُولَةٍ. اهـ
وهذا من فضل الله علينا أن يسر القرآن للذكر، كما قال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [سورة القمر: ١٧].

(وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا) يعني أهلكهم إن لم يستجيبوا وينقادوا لدينه وشرعه، وكان النبي ﷺ قليل، فتخوفهم والإحراق يأتي بمعنى الهلاك.

(فَقُلْتُ: رَبِّ إِذَا يَنْلَعُوا رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةً) يعني يكسروه ويشدخوه، كما يشدخ الخبز، أي: يكسر، فهذه لغة عتيقة، حتى أن كثيراً من العوام يقول: شدخ رأسه وربما قال: اشدخه.

(قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخَرَجُوكَ) يعني استخرجهم من مكة كما أخرجوك منها، وفعلاً خرجوا للغزو قتل كثير منهم.

(وَاعْزُهُمْ نُفْرًا) أي اعزهم إلى مكة ننصرك عليهم، وفعلاً نصره الله ودخل بفتح عظيم.

(وَأَنْفَقَ) من مال الله على المستحقين.

(فَسَنفِقُ عَلَيْكَ) هذا وعد من الله عَزَّجَلَّ أن المنفق يخلف له، أنفق على أهلك ينفق عليك، أنفق على رفقتك ينفق عليك، أنفق في أوجه الخير ينفق عليك وعد الله، ولا سواء، إنفاق فقير وإنفاق غني، فالعبد مهما كان إنفاقه فهو فقير، والله عَزَّجَلَّ غني، إلا أن نفقته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على مقتضى حكمته وعلمه، فربما منع بعض عباده السعة لعلمه أن السعة تؤدي إلى فتنتهم، «إِنَّ اللَّهَ يَحْمِي عَبْدَهُ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يَحْمِي أَحَدَكُمْ مِنْ مَرِيضِهِ» أي من بعض الأطعمة.

(وَابْعَثْ جَيْشًا نَبَعَتْ خَمْسَةٌ مِثْلُهُ) من الملائكة أمدهم الله عَزَّجَلَّ بملائكة في غزوة بدر، ووعدهم في أحد بالمدد، إلا أنه لم يحصل منهم ما شرط عليهم وأمدهم بملائكة في غزوة حنين.

(وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ) قاتل بالمؤمنين الكافرين.

(قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ) هذا دليل على أن الخطب تتنوع، فإذا استطاع الإنسان أن يجعل خطبته عامة فعل، لا سيما إذا كان في مكان يغشاه العوام ومن إليهم، فأحياناً الخطب العلمية لا يفقهها العامة.

(قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ) أي أصناف وهم أكثر من ذلك، لكن هذه الصفات يتميز بها خلص أهل الجنة.

(ذُو سُلْطَانٍ مُّقْسِطٌ مُّتَّصِدِّقٌ مُّوَفَّقٌ): صاحب سلطان وملك وجاه، مقسط: عادل، متصدق: منفق في أوجه الخير، موفق: مسدد في أحكامه وأقواله؛ لأن مثل هؤلاء غالباً يميلون عن الطاعة.

(وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ)؛ لأنه تخلق بهذه الصفة العظيمة، وتميز بصفة اتصف الله بها، ويحبها الله، والجنة رحمة الله جعلت للرحماء، ويكون رحمته لكل ذي قربى ولكل مسلم، فيؤدي حق القريب والبعيد من المسلمين، فعلى المسلم أن يكون رحيماً رقيقاً، ويعود نفسه ذلك، ويحذر العنف، ونحن نرى عنفاً، ربما على الأبناء، ربما على الزوجات، ربما على الأصحاب، ربما بين الطلاب، عنف يجعل الإنسان يتألم، لأدنى مسألة ينقلب الإنسان عنفويّاً، لا اجعل قلبك رحيماً، رقيقاً، اجعل نفسك من المحسنين.

إذا لم نتخلق بهذا الخلق من الذي سيتخلق به؟ ننتظر الجفأة؟ ننتظر الجهال من الأعراب؟ أن بعضهم لا أخلاق الإسلام ولا مروءة العرب، أدنى مسألة تجعله كالפורان، هذا مع زوجته، وهذا مع ابنه، وهذا مع صاحبه، احفظوا هذا الحديث وأشيّعوه وأشيّعوا العمل به.

الدعوة يمكر بها الجن والأنس، يمكرون لاستئصال الدعوة، وأصحابها هذا يختلف من أجل ابنه، وهذا من أجل مرتبه، وهذا من أجل خبزة، وهذا من أجل طعمة، وهذا أخذ فراشي، وهذا زحمني في مرقدي، الله المستعان، إن خرجوا رحلة ما يرجع بعضهم

إلا وقد قسى قلبه على أخيه، أين العفو؟ أين الصفح؟ أين التجاوز؟ أين الرحمة؟ أين الإحسان؟

النصيحة للجميع، أحسن في كلامك، وأحسن في ردك، وأحسن في خطابك، وأحسن في جوابك، وأحسن في معاملتك، وأد إلى الناس الذي تحب أن يؤدي إليك. فتصير القلوب مشحونة، الشيطان، والأحزاب، واليهود والنصارى يمكرون بكم، وبعضهم يرجع البيت وقلبه مشحون على أخيه، ربما يدعو عليه في سجوده، ما ابتسم لي، ما ضحك لي، ضرب ولدي، قال في كذا، قلت له كذا، ترفعوا، ترفعوا، ترفعوا، ترفعوا، **(وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ)**.

الصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** حين دُق في بيت عمر: أجا غسان؟ همهم هم الإسلام، ونحن نسأل الله السلامة والعافية.

(وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ) يعني يكون صاحب عفة، وإن كثر عياله، ويسأل الله الرزق والسعة، وخص العفيف المتعفف ذو العيال؛ لأن الذي ما عنده عيال أمره على اليسرية، إن جاءه القليل كفاه، وإن جاءه الكثير وسع عليه، لكن صاحب العيال ربما يأتيه المال الكثير ولا يكفي، ومع ذلك رُزق العفة.

(وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ) أي أصناف، وهذا ليس على الحصر. **(الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبَرَ لَهُ)** ضعيف لا عقل له يزجره عن الباطل ويمنعه منه وليس على ذلك أنه مجنون، المجنون مرفوع عنه القلم، لكنه ضعيف مكلف.

(الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا) ولكنهم لم يأخذوا بما تعين عليهم، ووجب عليهم.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (زَبَرَ) بَفَتْحِ الزَّايِ وَإِسْكَانِ الْمُوحَّدَةِ، أَي: لَا عَقْلَ لَهُ يَزْبِرُهُ وَيَمْنَعُهُ مِمَّا لَا يَنْبَغِي، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ، وَقِيلَ: الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ مَا يَعْتَمِدُهُ،

وَقَوْلُهُ: (لَا يَتَّبِعُونَ) بِالْعَيْنِ الْمُهِمْلَةِ مُخَفَّفٌ وَمُشَدَّدٌ مِنَ الْإِتْبَاعِ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: (يَتَّبِعُونَ) بِالْمَوْحَدَةِ وَالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ، أَيُّ: لَا يَطْلُبُونَ. اهـ

(وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ) يعني فيه صفات النفاق يخون في القليل ويخون في الكثير، بينما المؤمن صاحب أمانة في القليل وفي الكثير. (وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمَسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ) خائن في الأعراس، وخائن في الأموال في أغلب أوقاته.

(وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوْ الْكَذِبَ) أيضا من صفات أهل النار البخل والكذب، سواء ذكر البخل وحده أو ذكر الكذب أو ذكرهما جميعا فهذه من صفات أهل النار.

(وَالشَّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ) الشنظير بمعناه، سيء الخلق، الفاحش في القول والفضل. (وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا تَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)؛ لأن التواضع سبب الرفعة، «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»، ولأن التواضع هو صفة الأنبياء والمرسلين، وخلص الصالحين، والتواضع صفة أهل الجنة، والكبر والترفع صفة أهل النار، وقديما قيل:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضع

قال ابن حبان في "روضة العقلاء" (ص: ٥٩): الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة التكبر ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمله إلا أن المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعة لمكان الواجب عليه أن لا يتزيا بغيره

والتواضع تواضعان أحدهما محمود والآخر مذموم والتواضع المحمود ترك التطاول على عباد الله والإزراء بهم والتواضع المذموم هو تواضع المرء لذي الدنيا رغبة في دنياه

فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها ولا يفارق التواضع
المحمود على الجهات كلها. اهـ

(وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْعَى عَلَى الْحَيِّ مَا بِهِ إِلَّا وَلِيدَتُهُمْ يَطُؤُهَا) يعني زبر، تابع، ليس له
عناية بالعلم والعمل.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ وَاثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذُ مِنْهُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٥ - (٢٨٦٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ
 عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ
 وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ
 النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).
 ٦٦ - (٢٨٦٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ
 الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ عُرِضَ عَلَيْهِ
 مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَالْجَنَّةُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ
 فَالنَّارُ»، قَالَ: «ثُمَّ يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ الَّذِي تُبْعَثُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ) من الرجال أو النساء من المؤمنين أو الكفار.

في هذا الحديث دليل على ما في القبر من النعيم والعذاب.

وفيه دليل على وجود الجنة والنار الآن.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٣٧٩).

وفيه أن النعيم مستمر إلى قيام الساعة، وأن العذاب بحسبه، فالكافر يستمر عليه العذاب إلى قيام الساعة، فعذابه في القبر من جنس عذابه في الآخرة، والمسلم قد يعذب إلى أن تقوم الساعة، وقد يرفع عنه العذاب بعد أن تكفر ذنوبه، ويتجاوز عن سيئاته. والحياة البرزخية غيب، نؤمن بها على أي حال كان، قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٧ - (٢٨٦٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُثَيْبٍ قَالَ: ابْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْبٍ قَالَ: وَأَخْبَرَنَا سَعِيدُ الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَلَمْ أَشْهَدُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنْ حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ، وَنَحْنُ مَعَهُ إِذْ حَدَّثَنَا بِه فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبَرُ سِتَّةً أَوْ خَمْسَةً أَوْ أَرْبَعَةً. قَالَ: كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ. فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبَرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: «فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ».

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ.

(قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَلَمْ أَشْهَدُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنْ حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ) ولو رواه أبو سعيد بدون إضافة زيد بن ثابت لقبل؛ لأن مراسيل الصحابة مقبولة، وفي هذا الحديث رواية الصحابة عن الصحابة، أي رواية الأقران.

(بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ) قوم من الأنصار من الخزرج القحطانية.

(عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ) والبغلة مولدة من الحمار والفرس، وتسمى بالمدرع.
 إذا باهلي تحته عَبْشَمِيَّةٌ له ولد منه فذاك المدرعُ
 وحكمها حكم الحمار، أي من حيث الحل والحرمة إلى حكم المحرم منها، وهذه
 قاعدة في جميع الحيوان الذي يتولد بين حيوانيين.

(إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ) أي مالت وكادت تطرحه في الأرض.
(مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْقُبْرِ؟) فيه أن النبي صل الله عليه وسلم لا يعلم الغيب،
 وهذا رد على الصوفية ومن إليهم.

(إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا): تُختبر، وينعم المؤمن ويعذب الكافر، ومن شاء
 الله من العصاة، وهذا الابتلاء يسمى بالفتنة، يسأل من ربك؟ ومدينك؟ ومن نبيك؟
(فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لِلدَّعْوَةِ اللَّهِ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ) لأن
 سماع عذاب القبر لا سيما بالصورة التي هو عليها سيؤدي إلى رهبة الناس، وإلى شدة
 الشأن عليهم.

(تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ)؛ لشدة حرارتها، وعظيم عذابها.
(تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) وهذا دليل على إثبات ما في القبر من العذاب والأدلة
 كثيرة في هذا الباب، ذكرت منها في كتابي **(عذاب القبر ونعيمه)** أكثر من مائة حديث.
(تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ) الفتن الدينية والفتن الدنيوية، الفتن
 الظاهرة والفتن الباطنة.

وهذه دعوات يحتاج الإنسان أن يلازمها كثيرا، الاستعاذة من عذاب النار ومن
 عذاب القبر، ومن الفتن التي تؤدي إلى عذاب القبر وعذاب النار.

(تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ) وهذا من الخاص بعد العام، فإن الاستعاذة من الفتن
 ما ظهر منها وما بطن استعاذة من فتنة الدجال، ولكن مع ذلك لا حرج أن تعمم ثم
 تخصص أو تخصص ثم تعمم.

وسياتي الكلام على الدجال في موطنه بأوسع من هذا.
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٨ - (٢٨٦٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهُ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

٦٩ - (٢٨٦٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ كُلُّهُمْ عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، (ح) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ جَمِيعًا عَنْ يَحْيَى الْقَطَّانِ، وَاللَّفْظُ لِرُزْهَيْرٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْبَرَاءِ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَمَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ: «يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا»^(١).

ثلاثة صحابة في هذا الحديث يروي بعضهم عن بعض.
وهذا الصوت قد يسمعه غير النبي ﷺ، أصوات في بعض القبور قد تسمع، لكن عذاب القبر على صورته وهيته هذا لا يكون إلا للنبي ﷺ.
وفيه اثبات عذاب القبر على غير هذه الأمة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٠ - (٢٨٧٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قُرْعَ نِعَالِهِمْ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٣٧٥).

قَالَ: «يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟»، قَالَ: «فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: «فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبَدَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ»، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا»^(١). قَالَ قَتَادَةُ: وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِه سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

٧١ - (٢٨٧٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِنْهَالٍ الضَّرِيرُ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ حَقَقَ نَعَالِهِمْ إِذَا انْصَرَفُوا».

٧٢ - (٢٨٧٠) حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، يَعْنِي ابْنَ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ»، فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ شَيْبَانَ، عَنْ قَتَادَةَ.

(إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ) وهذا عام في المؤمنين والكفار، وفي الأبرار والفجار. (وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ) أي الذين دفنوه بعد دفنه.

(إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ) وهذا ليس على إطلاقه أنه يسمع كل شيء، إنما يسمع قرع النعال، كما جاء الدليل، فلا نتوسع كما توسع من توسع حتى جوز دعاء المقبورين والاستعانة بهم، وزعم أنهم يعلمون الغيب في قبورهم.

(يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ) وهما منكر ونكير، كما جاء عند الترمذي.

(فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟) أي محمد ﷺ.

(فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ) يوفق للإجابة، وقد جاء أحاديث

أنه يسأل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ويتمم بعضها بعضها.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٣٣٨).

(انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ) لو كنت كافراً.

(قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ) بسبب إيمانك والعمل الصالح.

(فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا) أي مقعد الجنة والنار للمؤمنين، وهذا للامتنان عليه، وليعلم

فضل الله عليه.

(قَالَ قَتَادَةُ: وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ يُنْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيَمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا إِلَى يَوْمِ

يُبْعَثُونَ) هذا كما ترى معضل، أو أقل أحواله مرسل، لكن كون القبر روضة من رياض

الجنة وحفرة من حفر النار وإن لم يثبت حديثه هذا هو الواقع، أنه إما نعيم وإما عذاب

وجحيم على الكافرين والمنافقين ومن شاء الله من عصاة المسلمين.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧٣ - (٢٨٧١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ بْنُ عُثْمَانَ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٧] قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيَقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ ﷺ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٧] (١).

٧٤ - (٢٨٧١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، (يَعْنُونَ ابْنَ مَهْدِيٍّ)، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٧] قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ.

اتفق الشيخان على إخراج هذا المقدار من حديث البراء، وقد أخرج الحديث بطوله الإمام أحمد في (مسنده) ^(١)، وابن أبي شيبة في (مصنفه) ^(٢)، وغير واحد من طريق زاذان عن البراء، وزاذان حسن الحديث، والحديث في (الصحيح المسند) ^(٣) لشيخنا مقبل رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وفيه وصف ما يلحق المؤمن باحتضاره، وبعد ذلك، ووصف ما يلحق الكافر في احتضاره، وبعد ذلك، ولفظه: حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا الأعمش، عن منهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله، كأن على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه فقال: "استعيذوا بالله من عذاب القبر". مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: "إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان". قال: "فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض".

قال: "فيصعدون بها، فلا يمرون - يعني بها - على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان. بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء

(١) حديث رقم: (١٨٥٣٤).

(٢) حديث رقم: (١٢٠٥٩).

(٣) حديث رقم: (١٤١).

مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله عزَّجَلَّ: اكتبوا كتاب عبيدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض؛ فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى."

قال: " فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فأمنت به وصدقت. فينادي مناد في السماء أن صدق عبيدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة."

قال: " فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره."

قال: " ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت، فوجهك الوجه يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي."

قال: " وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب."

قال: " فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان. بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له."

ثم قرأ رسول الله ﷺ: " لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ "، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى. فتطرح روحه طرحاً. ثم قرأ: " وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ "، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فينادي مناد من السماء أن كذب، فأفرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار. فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلَاعُه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت، فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة."

والحديث دليل على ما يسمى بالفتنة؛ لأن القبر فيه فتنة، وضمة، ونعيم، وعذاب. **فالفتنة:** هي السؤال، يسأل جميع المكلفين، ما عدا الأنبياء والشهداء، والمرابطون، وقال بعض أهل العلم: والصديقون؛ لأنهم أفضل من الشهداء.

ثم الضمة: وتشمل كل أحد إلا الأنبياء، مع أن جماهير العلماء ذهبوا إلى ضم الأنبياء، لكن الذي يظهر أنهم لا يضمون؛ لأن النبي ﷺ قال: «لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ الذي اهتز له عرش الرحمن»، ولو كان النبي ﷺ يضم لقال: لنجوت منها أنا، لكن الذي يظهر أنه لا يضمون.

والنعيم للمؤمنين، والعذاب للكافرين، ومن شاء الله من عصابة المسلمين.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٧٥ - (٢٨٧٢) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا بُدَيْلٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا، قَالَ حَمَادٌ: فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا، وَذَكَرَ الْمِسْكَ، قَالَ: وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَسَدِكَ كُنْتَ تَعْمُرُ بِهِ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ **عَزَّ وَجَلَّ**، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ، قَالَ: وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ، قَالَ حَمَادٌ: وَذَكَرَ مِنْ نَنْيْهَا، وَذَكَرَ لَعْنًا، وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى أَنْفِهِ هَكَذَا.

(إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ) وقد تقدم أنها تخرج كالقطرة من في السقاء.

(تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا) في حديث البراء: «ملائكة الرحمة».

(وَذَكَرَ الْمِسْكَ) قد تقدم في حديث البراء، وفيه: «فتنبعث منها أطيْب رِيح مسك

وجدت على ظهر الأرض».

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَسَدِكَ كُنْتَ تَعْمُرُ بِهِ) دعاء له بالخير.

(فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ **عَزَّ وَجَلَّ**) أي السماء السابعة، إلى عليين، كما في حديث البراء:

«ثم يقول: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، ثم رده إلى الأرض السفلى».

(انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ) أي: يعاد في قبره إلى أن يبعث الله الناس جميعا.

(وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ) ويكون خروجها بشدة على ما تقدم.

(وَذَكَرَ لَعْنًا) أي من الملائكة يلعنونها.

«لا تفتح لهم أبواب السماء»، كما تقدم في حديث البراء، ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ

وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [سورة الأعراف: ٤٠].

(فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِبْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى أَنْفِهِ هَكَذَا) يعني إخبار أنها ريح خبيثة، والربطة: ثوب رقيق، قيل: هي الملاعة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ فِي رُوحِ الْمُؤْمِنِ: (ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ)، ثُمَّ قَالَ فِي رُوحِ الْكَافِرِ: (فَيَقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ)، قَالَ الْقَاضِي: الْمُرَادُ بِالْأَوَّلِ: انْطَلِقُوا بِرُوحِ الْمُؤْمِنِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَنَهَّى، وَالْمُرَادُ بِالثَّانِي: انْطَلِقُوا بِرُوحِ الْكَافِرِ إِلَى سَجَنٍ، فَهِيَ مُتَنَهَّى الْأَجَلِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ إِلَى انْقِضَاءِ أَجَلِ الدُّنْيَا.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٦ - (٢٨٧٣) حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سَلِيطٍ الْهَذَلِيُّ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ أَنَسٌ: كُنْتُ مَعَ عُمَرَ، (ح) وَحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ عُمَرَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَنَرَيْنَا الْهَلَالَ، وَكُنْتُ رَجُلًا حَدِيدَ الْبَصَرِ، فَرَأَيْتُهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَأَاهُ غَيْرِي، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِعُمَرَ: أَمَا تَرَاهُ؟ فَجَعَلَ لَا يَرَاهُ قَالَ: يَقُولُ عُمَرُ: سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِي، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَأُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَجَعَلُوا فِي بَشَرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَاِنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟ قَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا».

(سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِي) هذا من باب المداعبة.

(كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالْأَمْسِ) يعني أماكن قتلهم قبل أن يُقتلوا، وهذا من دلائل نبوته.

(هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ عَدَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ) فيه الاستثناء، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِسَائِيَّ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿[سورة الكهف: ٢٣-٢٤].

(فَجْعِلُوا فِي بَنَرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) أي دُفِنُوا فِي الْقَلْبِ؛ لِأَنَّهُمْ نَتْنَا، وَلَا احْتِرَامَ لَهُمْ، إِنَّمَا وَوَرُوا؛ حَتَّى لَا يَأْذُونَ النَّاسَ بِجِيفَتِهِمْ، وَهَكَذَا مِنْ بَابِ كَرَامَةِ الْإِنْسَانِ؛ حَتَّى لَا تَأْكُلَهُ الْحَيَوَانَاتُ.

وهذا دليل على عظيم خلق النبي ﷺ، مع شدة عداوتهم له وإيذائهم له يواربهم. (فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ) أي القبر الذي دُفِنُوا فِيهِ. (هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا) وعدهم الله ورسوله العذاب الأليم والخزي المبين، ووعد الله نبيه النصر المبين فالنبي ﷺ وجد النصر والظفر، وهؤلاء وجدوا العذاب والشدة.

(مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا) وهذا كالقول الأول، ليس السماع سماعا مطلقا بحيث يسمعون كل شيء ويعون كل شيء إنما في الحالة التي يريد أن يسمعهم الله عز وجل، وقد أشار إلى هذا الألوسي في كتابه (الآيات البينات في حكم سماع الأموات)، وحققه الشيخ الألباني؛ للرد على من ذهب إلى سماعهم مطلقا، ثم جوز دعاءهم، والاستغاثة بهم، إلى غير ذلك.

وأما قول النبي ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ، يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»^(١)، فهو ظاهر أنه لا يسمعهم، ومن ذهب: أن النبي ﷺ يسمع سلام المسلم،

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٣٦٦٦).

ففهمة غير صحيح، فالنبي لا يسمع سلام المسلم، إنما هناك ملائكة وكلوا بإبلاغه السلام.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٧٧ - (٢٨٧٥) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: «يَا أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، يَا أُمَيَّةَ بْنَ حَلَفٍ، يَا عُتْبَةَ بْنَ رِبِيعَةَ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رِبِيعَةَ، أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا»، فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَسْمَعُوا، وَأَنَّى يُحْيَوُا وَقَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُحْيُوا»، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُجِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلْبٍ بَدْرٍ^(١).

٧٨ - (٢٨٧٥) حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ حَمَّادٍ الْمَعْنِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ (ح) وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: ذَكَرَ لَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِبِضْعَةِ وَعِشْرِينَ رَجُلًا، وَفِي حَدِيثِ رَوْحٍ بِأَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَأُلْقُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ.

هذا يشكل على ما تقدم، كأن النداء هذا قبل أن يلقوا في القليب، والصحيح المتقدم.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٩٧٦).

قال رحمه الله:

بَابُ اثْبَاتِ الْحِسَابِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٧٩ - (٢٨٧٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُدِّبَ»، فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [سورة الانشقاق: ٨]؟ فَقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُدِّبَ»^(١).

٧٩ - (٢٨٧٦) حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ، وَأَبُو كَامِلٍ قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

٨٠ - (٢٨٧٦) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشْرِ بْنِ الْحَكَمِ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، (يَعْنِي ابْنَ سَعِيدِ الْقَطَّانِ)، حَدَّثَنَا أَبُو يُونُسَ الْقُشَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ الْقَاسِمِ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [سورة الانشقاق: ٨]؟ قَالَ: «ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ».

٨٠ - (٢٨٧٦) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشْرِ، حَدَّثَنِي يَحْيَى، وَهُوَ الْقَطَّانُ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي يُونُسَ.

(مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُدِّبَ) يعني من نوقش الحساب مناقشة واستقصاء دليل على شدةٍ تحصل عليه، ويعذب على ذلك، وأما المؤمن يُستر ويتجاوز عنه.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٠٣).

قال في "فيض القدير" (٦/ ٢٣٤): (من نوقش الحساب) أي عوسر فيه واستقصى فلم يسامح بشيء من نقش الشوكة وهو استخراجها كلها ومنه انتقشت منه جميع حقي ذكره الزمخشري (عذب) وفي رواية لمسلم هلك أي يكون نفس تلك المضايقة عذابا وسببا مفضيا للعذاب على ما تقرر فيما قبله وفي خبر أحمد لا يحاسب أحد يوم القيامة فيغفر له قال الحكيم: يحاسب المؤمن في القبر ليكون أهون عليه في الموقف فيمحص في البرزخ فيخرج وقد اقتص منه اه. ثم إن ذا لا يعارضه خبر ابن مردويه لا يحاسب رجل يوم القيامة إلا دخل الجنة لعدم التنافي بين التعذيب ودخولها إذ الموحد وإن عذب لا بد من إخراجه بالشفاعة أو عموم الرحمة. اهـ

(حَسَابًا يَسِيرًا) لا شدة فيه.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ فِي إِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيثِ: (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ) هَذَا مِمَّا اسْتَدْرَكَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ عَلَى الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، وَقَالَ: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ؛ فَرَوَى عَنْهُ عَنْ عَائِشَةَ، وَرَوَى عَنْهُ عَنِ الْقَاسِمِ عَنْهَا، وَهَذَا اسْتَدْرَاكٌ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنَ الْقَاسِمِ عَنْ عَائِشَةَ، وَسَمِعَهُ أَيْضًا مِنْهَا بِلاَ وَاسِطَةٍ، فَرَوَاهُ بِالْوَجْهَيْنِ، وَقَدْ سَبَقَتْ نَظَائِرُ هَذَا. اهـ

وفي هذا الحديث فضيلة المؤمنين، وعظيم رحمة الله لهم في دنياهم وأخراهم، بل إن الله عَزَّجَلَّ يبدل سيئاتهم حسنات، كما في حديث ابن عمر، قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: «فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيفَةٌ حَسَنَاتِهِ».

قال رحمه الله:

بَابُ الْأَمْرِ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الْمَوْتِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٨١ - (٢٨٧٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَاءَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ».

٨١ - (٢٨٧٧) وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

٨٢ - (٢٨٧٧) وَحَدَّثَنِي أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَعْبُدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الثُّعْمَانِ عَارِمٌ، حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا وَاصِلٌ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ».

(أبو سفيان) طلحة بن نافع، (جابر) بن عبد الله.

(لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ) أي من المسلمين.

(إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ)؛ لأن الله يقول: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيُظَنِّ بِي مَا

شاء»، وإنما سوء الظن بالله هو فعل الجاهلية، وقد رجح أهل العلم أنه عند الوفاة ينبغي

أن يقدم الظن الحسن، وفي الحياة يجمع بين الخوف والرجاء، وقال بعضهم: بل يقدم

الخوف حتى يكون مانعا له من الوقوع في المعاصي والسيئات.

وهذا دليل على عناية النبي ﷺ بالأمة، لا سيما قبل الموت ومن عجيب شأن شيخنا مقبل رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ لبعض من كان لديه: إِذَا رَأَيْتَنِي فِي السَّيَاقَةِ فَذَكِّرْنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ».

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٨٣ - (٢٨٧٨) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ».

٨٣ - (٢٨٧٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، وَقَالَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَقُلْ سَمِعْتُ.

فمن مات على التوحيد بُعث على التوحيد، ومن مات على الطاعة بُعث على الطاعة، مات على الكفر بُعث على الكفر، (يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ) السني سني، والبدعي بدعي، والطائع طائع، والعاصي عاصي، ومع ذلك، مآل المؤمنين إلى الجنة، ومآل الكافرين إلى الخلود في النار.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٨٤ - (٢٨٧٩) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التَّجِيبِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، أَخْبَرَنِي حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ» ^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧١٠٨).

يعني (يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ)، ويشهد له أيضا حديث عائشة وأم سلمة قال رسول الله ﷺ: «يُخَسَفُ بِأَوْلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يَبْعَثُونَ عَلَى نِيَاتِهِمْ»^(١)، ومن عجيب شأن الإمام المسلم أنه ذكر هذا الحديث ربما في غير الموطن الذي يظنه الظان، ولكن هو امتداد لحديث جابر المذكور آنفا.

قال المناوي في "فيض القدير" (٦ / ٤٥٧): (يبعث كل عبد على ما مات عليه)^(٢) أي على الحال التي مات عليها من خير وشر قال الهروي: وليس قول من ذهب به إلى الأكفان بشيء لأن الإنسان إنما يكفن بعد الموت ثم هذا الحديث يوضحه حديث أبي داود عن ابن عمر وقيل: (يا رسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو قال: إن قتلت صابرا محتسبا بعثت صابرا محتسبا وإن قتلت مراثيا مكاثرا بعثت مراثيا مكاثرا على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحال)^(٣) وفي حديث أبي هريرة عن أنس مرفوعا (من مات سكرانا فإنه يعاين ملك الموت سكرانا ويعاين منكرا ونكيرا سكرانا ويبعث يوم القيامة سكرانا إلى خندق في وسط جهنم يسمى السكران)^(٤) قال عياض: أورد مسلم هذا الحديث عقب حديث لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله مشيرا إلى أنه مفسر له ثم أعقبه بحديث ثم بعثوا على أعمالهم مشيرا إلى أنه وإن كان مفسرا لما قبله لكنه عام فيه وفي غيره. اهـ

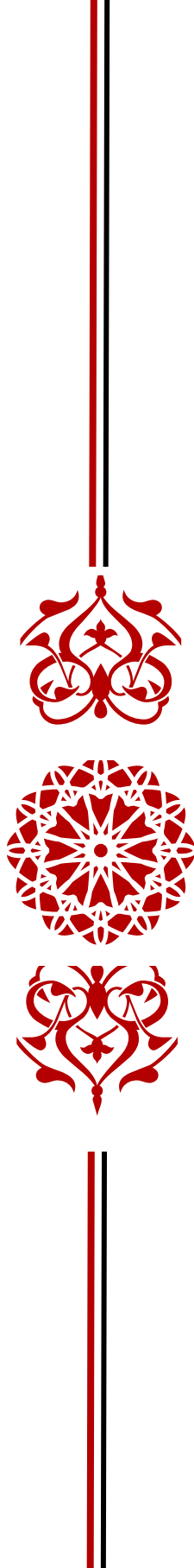
والحمد لله رب العالمين.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢١١٨).

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: (٤٨٧٨).

(٣) حكم الشيخ الألباني: صحيح، أوردته الشيخ في كتابه "صحيح سنن أبي داود" (٢٥١٩) وكذلك في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (٢٤٠٤).

(٤) حكم الشيخ الألباني: موضوع (مكذوب)، أوردته الشيخ في كتابه "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة" (٢٠٦٠)، العلة: ذكر الألباني أن في إسناده انقطاعاً ورجالاً مجهولين، وأن هذا اللفظ بالذات "لا يصح منه شيء"، ونبه على أنه منكر جداً.



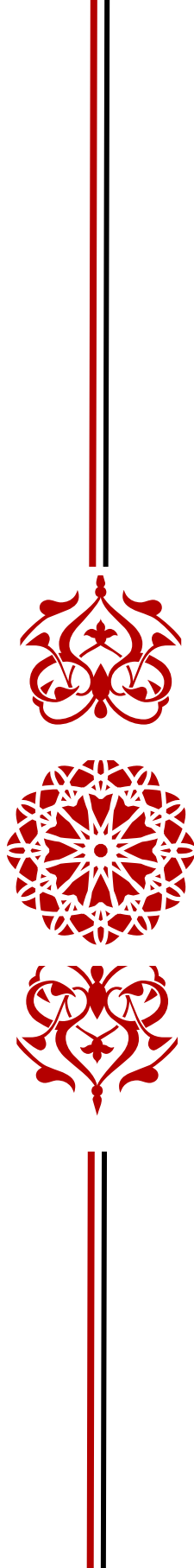
كتاب

الفتن وأشرار السباع

الإمام

شرح

صحيح مسلم بن الحجاج



المراد بالفتن: الأمور العظيمة التي تقع في آخر الزمان، كفتنة الدجال، وفتنة يأجوج ومأجوج، وفتنة النساء، ورفع العلم، وفتن الحروب والوقائع الكثيرة والملاحم العظيمة، كما سيأتي بيان ذلك في موطنه إن شاء الله.

وأما أشرار الساعة: فهي علاماتها، وهي منقسمة إلى قسمين:

أشراط صغرى، ومنها: مبعث النبي ﷺ، وفتح بيت المقدس وفتح قسطنطينية، وفشو الجهل، ورفع العلم، وفشو الزنا، وفشو الخمر، ونار تخرج من الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببصرى، وكثرة القتل، إلى غير ذلك من الأشرار.

وأشراط كبرى، وهي العلامات العظيمة التي عليها تقوم الساعة، كخروج الدجال، ويأجوج مأجوج، والنار التي تخرج من عدن، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، وطلوع الشمس من غربها، والدابة، ونحو ذلك من الأحداث التي يقع بها التغير في العالم العلوي والسفلي.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ اقْتِرَابِ الْفِتَنِ وَفَتْحِ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١ - (٢٨٨٠) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ»، وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشْرَةً، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَّهُلُكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْحَبْتُ»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٣٤٦).

١ - (٢٨٨٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَسَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالُوا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَزَادُوا فِي الْإِسْنَادِ عَنْ سُفْيَانَ فَقَالُوا: عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ حَبِيبَةَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ.

٢ - (٢٨٨٠) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ أَخْبَرَتْهَا أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَرَعَا مُحَمَّرًا وَجْهَهُ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ، فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ»، وَحَلَقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ».

٢ - (٢٨٨٠) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ شِهَابٍ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِإِسْنَادِهِ.

٣ - (٢٨٨١) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاوُوسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ»، وَعَقَدَ وَهَيْبٌ بِيَدِهِ تَسْعِينَ^(١).

(عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ) أَرْبَعُ صَحَابِيَّاتٍ

يُرَوِّي بَعْضُهُنَّ عَنْ بَعْضٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ.

(اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ) لَعَلَّهُ نَوْمَ لَيْلٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، حَدِيثُ رَقْمٍ: (٣٣٤٧).

(وَهُوَ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) كالمتعجب، أو المسترجع، أو الذاكر؛ لأن ذكر الله تطمئن به القلوب، وترتاح به النفوس، وتسكن به الجوارح.

(وَيُنْذِرُ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ) وهو ويل للأمة المسلمة أجمع، إلا أنه ذكر العرب دون غيرهم؛ لأن الإسلام في آخر الزمان يرجع إلى أرض العرب، وفي الجزيرة يرجع إلى مكة والمدينة، كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جَحْرَهَا»، وبسلامة المسجدين سلامة لما حولها؛ لأنه لو سيطر على الأرض أجمع إلا المسجدين لحصل الضرر العظيم على المسلمين، بالحصار ونحوه، لكن تبقى المدينتان مكة والمدينة من هذا الشر، ويبقى لهما ما حولهما من البلدان.

وهذا دليل أيضا على أن أكثر الفتن تقع على أرض العرب والمسلمين عامة، لكن على أرض العرب خاصة، وانظروا إلى الاستعمار، وإلى الفتن الحاصلات، من ثورات، وانقلابات، وشُرور كثيرات، تقع على أرض العرب، حتى يتعجب المتعجب من كثرة ذلك، وذلك لأسباب منها مكر الكفار بهذا البلد المبارك، وبعد المسلمين عن العمل بدينهم، وذكر الحافظ أن هذا الشر مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكثرت الشرور بعد ذلك.

(فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ) سد، (يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ).

(وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشْرَةً) جاء في الرؤية الأخرى: (وَحَلَقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا) يعني فتح فتحة يسيرة، لكنها دليل على نذير شر، فالفتن مبدؤها حقيراً، وآخرها كبيراً، وشرها مستطيراً، وكما قيل:

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فَتِيَّةً	تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولٍ
حَتَّى إِذَا اسْتَعَرَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا	عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ خَلِيلٍ
شَمْطَاءَ جَزَّتْ رَأْسَهَا وَتَنَكَّرَتْ	مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ

وَيَأْجُوجَ مَأْجُوجَ قَوْمٍ مِنْ بَنِي آدَمَ، جَعَلَ ذُو الْقَرْنَيْنِ **رَحْمَةُ اللَّهِ** سَدًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْبِلْدَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿شَرُّ أَتَعَ سَبًّا ٩٢﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ٩٣ ﴿ قَالُوا يَدَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ٩٥ ءَاتُونِي زُرُّ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ٩٦ ﴿ فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نُقَبًا ٩٧﴾ [سورة الكهف: ٩٢-٩٧]

ومعنى ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ أي: عجزوا عن الارتفاع عليه.

وهذا الحديث أنزل حديث في صحيح البخاري، إذ أنه بين البخاري وبين النبي **ﷺ** فيه تسعة أشخاص، بينما قد روى البخاري عن النبي **ﷺ** بالسند الثلاثي، مثل مكة بن إبراهيم، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع، وعن غيرهم. وسند البخاري: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ (ح)، وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي أَخِي، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّ زَيْنَبَ ابْنَةَ أَبِي سَلَمَةَ حَدَّثَتْهُ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، الْحَدِيثِ.

(أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ) وهذا دليل على أن الشر يزداد حتى لا يكون للصالحين شأن، ربما لا يستجاب دعاؤهم، ولا ينصرون على عدوهم، ولكنهم يبعثون على نياتهم وعلى صلاحهم.

قال النووي رَحْمَةُ اللَّهِ: (الْخَبَثُ) فَسْرُهُ الْجُمُهُورُ: بِالْفُسُوقِ وَالْفُجُورِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ الزُّنَا خَاصَّةً... وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّ الْخَبَثَ إِذَا كَثُرَ فَقَدْ يَحْصُلُ الْهَلَاكُ الْعَامُّ، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ صَالِحُونَ. اهـ

قال رحمه الله:

بَابُ الْخَسْفِ بِالْجَيْشِ الَّذِي يَوْمُ الْبَيْتِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٤ - (٢٨٨٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ الْفُطَيْيَةِ قَالَ: دَخَلَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ وَأَنَا مَعَهُمَا عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَسَأَلَاهَا عَنِ الْجَيْشِ الَّذِي يُخَسَفُ بِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَعُودُ عَائِدٌ بِالْبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بَيِّدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ يَمُنْ كَانَ كَارِهًا؟ قَالَ: يُخَسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نَبِيِّهِ. وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: هِيَ بَيِّدَاءُ الْمَدِينَةِ

٥ - (٢٨٨٣) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَفِي حَدِيثِهِ قَالَ: فَلَقِيتُ أَبَا جَعْفَرٍ فَقُلْتُ: إِنَّهَا إِنَّمَا قَالَتْ: بَيِّدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: كَلَّا وَاللَّهِ، إِنَّهَا لَبَيِّدَاءُ الْمَدِينَةِ.

(وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ)؛ لأنهم ظنوا أن الجيش الذي يخسف به هو الجيش

الذي يأتي من الشام.

(فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ) أي: جيش لحربه.

(بَيِّدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ) مفازة وصحراء لا شيء فيها.

(خُسِفَ بِهِمْ) والخسف: هو سقوط الأرض إلى الأسفل.

(فَكَيْفَ يَمُنْ كَانَ كَارِهًا؟) يعني من أخذوه معهم في الجيش وليس نيته حرب

المسلمين.

في هذا الحديث فضيلة النية الصالحة، ولهذا ذكره النووي في رياض الصالحين في باب الإخلاص والنية، فإذا كان قد خرج مع الجيش الظالم الغاشم لكنه كان مجبوراً وكان نيته الخير سلم بنيته الصالحة، وأما في الدنيا فالناس يؤاخذون بظواهرهم.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٦ - (٢٨٨٣) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ وَاللَّفْظُ لِعَمْرٍو، قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أُمِّهِ بْنِ صَفْوَانَ سَمِعَ جَدَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ صَفْوَانَ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي حَفْصَةُ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيُؤْمَنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ، وَيُنَادِي أَوْلَهُمْ آخِرُهُمْ، ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ».

فَقَالَ رَجُلٌ: أَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى حَفْصَةَ، وَأَشْهَدُ عَلَى حَفْصَةَ أَنَّهَا لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

٧ - (٢٨٨٣) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ بْنُ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَبِي أَنَيْسَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ الْعَامِرِيِّ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مَاهَكَ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَيَعُودُ بِهَذَا الْبَيْتِ يَغْنِي الْكَعْبَةَ قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا عَدَدٌ وَلَا عُدَّةٌ، يُبْعَثُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ».

قَالَ يُونُسُ: وَأَهْلُ الشَّامِ يَوْمَئِذٍ يَسِيرُونَ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِهَذَا الْجَيْشِ قَالَ زَيْدٌ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ الْعَامِرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ بْنِ مَاهَكَ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِيهِ الْجَيْشَ الَّذِي ذَكَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ.

(لَيُؤْمَنَّ هَذَا الْبَيْتَ) أي يقصد هذا البيت.

(يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ) أوسط الجيش، ويبقى طرفاه من هاهنا ومن هاهنا.

(فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ) يعني الهارب، الفار الذي يخبر الناس بمصيرهم، وهذا دليل على شدة الهلاك فيهم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨ - (٢٨٨٤) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْفَضْلِ الْحُدَّانِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: عَبَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَامِهِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ؟ فَقَالَ: «الْعَجَبُ، إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يُؤْمُونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى، يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»^(١).

(عَبَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَامِهِ) كأنه تحرك وهو نائم.

(الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يُؤْمُونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ) يعني: يريدون رجلا من قريش.

(الْمُسْتَبْصِرُ): الذي هو منهم وعلى طريقهم.

(وَالْمَجْبُورُ): المكروه، (وَابْنُ السَّبِيلِ): العابر.

(يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا) كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

وفي هذا الحديث شؤم مجاورة السيئين، فإذا رأيت الفساد قد عم في بلد أو قرية فارحل منها إلى غيرها، فإن العذاب إذا نزل أصاب الجميع.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢١١٨).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَقْهِ: التَّبَاعُدُ مِنْ أَهْلِ الظُّلْمِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ مُجَالَسَتِهِمْ، وَمُجَالَسَةِ الْبُعَاةِ وَنَحْوِهِمْ مِنَ الْمُبْطِلِينَ؛ لِئَلَّا يَنَالَهُ مَا يُعَاقَبُونَ بِهِ، وَفِيهِ: أَنَّ مَنْ كَثُرَ سَوَادُ قَوْمٍ جَرَى عَلَيْهِ حُكْمُهُمْ فِي ظَاهِرِ عُقُوبَاتِ الدُّنْيَا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ نَزُولِ الْفِتَنِ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩ - (٢٨٨٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَمَرُو النَّاقِدُ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ أُسَامَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَفَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ»^(١).

٩ - (٢٨٨٥) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

(أَشْرَفَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ) يعني: القصر والحصن المرتفع.

(هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟) وهذا من دلائل نبوته، يرى ما لا يراه الناس.

(إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ) أي تنزل بين بيوتكم.

(كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ) لكثرتها، ومنها عظام ومنها صغار، فنعوذ بالله من الفتن.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالتَّشْبِيهُ بِمَوَاقِعِ الْقَطْرِ فِي الْكَثْرَةِ وَالْعُمُومِ، أَيْ أَنَّهَا كَثِيرَةٌ، وَتَعُمُّ النَّاسَ لَا تَخْتَصُّ بِهَا طَائِفَةٌ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الْحُرُوبِ الْجَارِيَةِ بَيْنَهُمْ، كَوَفْعَةٍ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٨٧٨).

الْجَمَلِ، وَصَفَيْنَ، وَالْحَرَّةَ، وَمَقْتَلَ عُثْمَانَ، وَمَقْتَلَ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَغَيْرَ ذَلِكَ وَفِيهِ مُعْجَزَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُ عليه السلام. اهـ

وفيه دلالة على كثرة الفتن كلما بعد الناس من العهد النبوي، وفي البخاري عن الزبير بن عديٍّ، قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَّوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلَقَى مِنَ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ عليه السلام.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٠ - (٢٨٨٦) حَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ، وَالْحَسَنُ الْحُلَوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنِي وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي ابْنُ الْمُسَيَّبِ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتْنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلَجَأً فَلْيَعُدْ بِهِ» ^(١).

١١ - (٢٨٨٦) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، وَالْحَسَنُ الْحُلَوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنِي، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُطِيعٍ بْنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ نَوْفَلِ بْنِ مُعَاوِيَةَ مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ هَذَا، إِلَّا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ يَزِيدُ: «مِنَ الصَّلَاةِ صَلَاةٌ، مَنْ فَاتَتْهُ فَكَانَ مَأْوَى أَهْلَهُ وَمَالَهُ».

١٢ - (٢٨٨٦) حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَكُونُ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦١٠).

فِتْنَةُ النَّائِمِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَسْتَعِذْ.

(سَتَكُونُ فِتْنٌ) أي كثيرات.

(الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ)؛ لأنه أبعد إلى الوقعة فيها والإثارة.

(وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي) مع أنه قد أصابه منها ومن لفحتها، إلا أنه لم يسع

فيها ويمشي إليها.

(وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي): الجاري إليها يستوشيهها، فيكون ضرره أعظم

فكلما كان الضرر أعظم كان الإثم أعظم.

(مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُ) أي من تطلبها ورغب فيها لحقه من شرها.

(وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ) والملاجئ كثيرة، منها في هذا الزمن: دور الحديث،

ومجالسة الصالحين، والإقبال على العلم والعمل، وهكذا اللحاق بالبوادي في شدة

الفتن العظيمة، (وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ)، وسيأتي في حديث أبي بكره بيان

ذلك.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٣ - (٢٨٨٧) حَدَّثَنِي أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ فُضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ الشَّحَامُ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَفَرَقْدُ السَّبَخِيُّ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، وَهُوَ فِي أَرْضِهِ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا: هَلْ سَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ فِي الْفِتَنِ حَدِيثًا؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يُحَدِّثُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ، أَلَا تَمَّ تَكُونُ فِتْنَةُ الْقَاعِدِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا، أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ».

قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟
قَالَ: «يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لَيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النِّجَاءَ، اللَّهُمَّ هَلْ
بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ».

قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَكْرَهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ
الصَّفَيْنِ أَوْ إِحْدَى الْفَتَنَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ:
«يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

١٣ - (٢٨٨٧) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، (ح)
وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، كِلَاهُمَا عَنْ عُثْمَانَ الشَّحَّامِ بِهَذَا
الْإِسْنَادِ حَدِيثُ ابْنِ أَبِي عَدِيٍّ نَحْوَ حَدِيثِ حَمَادٍ إِلَى آخِرِهِ، وَانْتَهَى حَدِيثُ وَكِيعٍ
عِنْدَ قَوْلِهِ: «إِنْ اسْتَطَاعَ النِّجَاءَ»، وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ.

(إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةً) أي كثيرات، عظيما، متنوعات.

(أَلَا تَمَّ تَكُونُ فِتْنَةً) غير الفتن السابقة، كما في حديث عبد الله بن عمرو وقد تقدم:
«تَأْتِي الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مَهْلِكَتِي، ثُمَّ تَأْتِي الْأُخْرَى فَيَقُولُ: هَذِهِ هَذِهِ».

(أَلَا) حرف تنبيه.

(فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ) لا يبقى بين أهل الفتن، يتلمس الأخبار وربما وقع
عليه من شرها، بل ينزل عند إبله يرهاها ويشغل بها.

(وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ) إلى البادية، وقد قال رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ
يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ».
(وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ) ولو صلى وحده، أو مع عبيده، أو مع أبنائه،
أهون من البقاء بين الناس، يصيبه ما أصابهم.

(فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ...) أي ما يفر إليه ويعتزل فيه.

(يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ) يعني حتى لا يشارك، وإن شارك لم يقتل.

(ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ) يصرف نفسه أين ذهب.

(اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ) نعم قد بلغ ﷺ البلاغ المبين.

(أَرَأَيْتَ إِنْ أَكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَيْنِ) إكراه السلطان أو أحد

المحاربين.

(يَبُوءُ بِإِيْمِهِ وَإِيْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) هذا إذا لم يشارك، أما إذا شارك فقد

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ».

قال النووي رحمه الله: وَهَذَا الْحَدِيثُ وَالْأَحَادِيثُ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ مِمَّا يَحْتَجُّ بِهِ مَنْ لَا يَرَى

الْقِتَالَ فِي الْفِتْنَةِ بِكُلِّ حَالٍ، وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي قِتَالِ الْفِتْنَةِ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: لَا يُقَاتَلُ

فِي فِتْنَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ دَخَلُوا عَلَيْهِ بَيْتَهُ، وَطَلَبُوا قَتْلَهُ، فَلَا يَجُوزُ لَهُ الْمُدَافَعَةُ عَنْ نَفْسِهِ

; لِأَنَّ الطَّالِبَ مَتَأَوَّلٌ، وَهَذَا مَذْهَبُ أَبِي بَكْرَةَ الصَّحَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ

وَعِمْرَانُ بْنُ الْحَصَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَا يَدْخُلُ فِيهَا، لَكِنْ إِنْ قُصِدَ دَفْعُ عَنْ نَفْسِهِ.

فَهَذَانِ الْمَذْهَبَانِ مُتَّفِقَانِ عَلَى تَرْكِ الدُّخُولِ فِي جَمِيعِ فِتَنِ الْإِسْلَامِ.

وَقَالَ مُعْظَمُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَعَامَّةُ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ: يَجِبُ نَصْرُ الْمُحِقِّ فِي الْفِتَنِ

وَالْقِيَامُ مَعَهُ بِمُقَاتَلَةِ الْبَاغِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ لُحْيَانَ﴾ [سورة الحجرات: ٩] الْآيَةَ.

وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَتَتَأَوَّلُ الْأَحَادِيثُ عَلَى مَنْ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ الْمُحِقُّ، أَوْ عَلَى طَائِفَتَيْنِ

ظَالِمَتَيْنِ لَا تَأْوِيلَ لِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا، وَلَوْ كَانَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُونَ لَظَهَرَ الْفَسَادُ، وَاسْتَطَالَ أَهْلُ

الْبَغْيِ وَالْمُبْطِلُونَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

ومن هؤلاء الذين لا يرون القتال في الفتنة أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى أنه في معركة

الحرّة جاءه رجل وهو في كهف، فقال له: اخرج إلي، قال: لا أخرج إليك ولكن ادخل

أنت، قال: أنت أبو سعيد؟ قال: نعم، ثم حدثه الحديث عن النبي ﷺ في النهي عن

الاستشراف للفتنة.

قال رحمه الله:

بَابُ إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٤ - (٢٨٨٨) حَدَّثَنِي أَبُو كَامِلٍ فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَحْدَرِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، وَيُونُسَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ هَذَا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَحْنَفُ؟ قَالَ: قُلْتُ: أُرِيدُ نَصْرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَعْنِي عَلِيًّا، قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا أَحْنَفُ، ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، قَالَ: فَقُلْتُ: أَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ» (١)

١٥ - (٢٨٨٨) وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّبِيِّ، حَدَّثَنَا حَمَادُ، عَنْ أَيُّوبَ، وَيُونُسَ، وَالْمُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ».

١٥ - (٢٨٨٨) وَحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ مِنْ كِتَابِهِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ بِهِذَا الْإِسْنَادَ نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي كَامِلٍ، عَنْ حَمَادٍ إِلَى آخِرِهِ.

١٦ - (٢٨٨٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ جَرَّاشٍ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا الْمُسْلِمَانِ حَمَلَ أَحَدُهُمَا عَلَى أَخِيهِ السَّلَاحَ، فَهُمَا عَلَى جُرْفٍ جَهَنَّمَ، فَإِذَا قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ دَخَلَاَهَا جَمِيعًا».

(خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ هَذَا الرَّجُلَ) كأنه يريد علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لنصرتَه والقيام معه.
(أبو بكره) نفع بن الحارث.

(إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ) يعني يستحق النار، أما الخلود لا يخلد إلا الكافر، والجزم بالدخول أيضاً لا يجزم إلا لكافر؛ لأن المسلم تحت المشيئة، إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ أدخله النار وعذبه بقدر مظلمته، وإن شاء عفا عنه. وأما أكثر الناس الذين يدخلون تحت هذا الوعيد ! لا سيما في هذه الأزمنة التي كثر شرها وقل خيرها.

وفي الحديث التحذير من شؤم الفتن واستحباب العزلة إن لم يكن وجوبها في حال توفرها.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧ - (١٥٧) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتِيلَ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ، وَتَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَدَعَوَاهُمَا وَاحِدَةٌ» (١).

١٨ - (١٥٧) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ»، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ».

(حَتَّى تَقْتِيلَ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ) أي طائفتان عظيمتان من المسلمين، وهي طائفة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَتَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ) يموت فيها الكثير من الناس.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦٠٨).

(وَدَعَوَاهُمَا وَاحِدَةً) قيل الإسلام، وقيل كل يدعي أنه هو على الحق، وأنه المصيب، وهذا لالتباس الفتن، وما أكثر هذه الفتن في هذه الأيام، كم تجد من طوائف كل يرفع لا إله إلا الله وكل يقول حال قتاله: الله أكبر، وربما كانوا جميعا من المجرمين المخالفين لهدي سيد المرسلين ﷺ.

وقد أخرج الحديث البخاري (٧١٩) بأطول من هذه السياقة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلَ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعَوْتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ: وَهُوَ الْقَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يَهْمَ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْزِضَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْزِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ - يَعْنِي آمَنُوا - أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقَحْتِهِ فَلَا يَطْعُمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعُمُهَا ".

قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ

قال الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ:

١٩ - (٢٨٨٩) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ، وَفُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، كِلَاهُمَا عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ وَاللَّفْظُ لِفُتَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا،

وَأَنَّ أُمَّتِي سَيَلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَزْنَينِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ بَعَامَةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ بَعَامَةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا» أَوْ قَالَ: «مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

١٩ - (٢٨٨٩) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحِييِّ، عَنْ ثَوْبَانَ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى زَوَى لِي الْأَرْضَ، حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَأَعْطَانِي الْكَزْنَينِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ»، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ.

(ثوبان) بن جدد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مولى النبي ﷺ.

(إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا) وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ؛ لأن الفتح الإسلامي كان إلى جهة الشرق وإلى جهة الغرب وأما إلى الشمال والجنوب كان دون ذلك.

(وَأُعْطِيتُ الْكَزْنَينِ: الْأَحْمَرَ) ملك الروم، (وَالْأَبْيَضَ) ملك فارس.

(وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ بَعَامَةٍ) قحط عام فيهلكون كما فعل بقوم نوح، أو قوم عاد، أو قوم ثمود.

(وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ) أي من الكافرين.

(فَيَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ): قوتهم أجمع، بحيث يستأصلهم، وهذا لا يكون.

(وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ) ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا

مَقْدُورًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٨]، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

[سورة يس: ٨٢]، وقد قضى بحصول الفرقة، كما قال رسول الله ﷺ: (وتفترق هذه الأمة على ثلاثة وسبعين فرقة) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَإِنِّي أُعْطِيتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسِنَةِ بَعَامَةٍ) استجاب الله هذه الدعوة.
(وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْنَهُمْ) أي مجتمعهم وموقع سلطانهم، واستجاب الله هذه الدعوة.

(وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا) أي من نواحي الأرض، وقد تحقق هذا الوعد الرباني مع كثرة أعداء هذه الأمة.

(حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا) وهذه هي المصيبة التي وقعت فيها الأمة، القتل فيما بينهم، وكم مرت من سنين وأعوام وما زال إلى الآن وإن كان السبي خف إلا أنه في الزمن الماضي كان هكذا، يهجم المسلم على المسلم، ثم يقع بينهم السبي، ويقع بينهم القتل، ويقع بينهم أخذ الأموال، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا الحديث أخرجه أبو داود^(١) بلفظ أطول من هذا، وقد شرحناه فقرة فقرة في شرحنا على كتاب التوحيد، ولفظه: "وإنما أخافُ على أُمَّتِي الْأُئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، فإذا وُضِعَ السِّيفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قِبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمَشْرُكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قِبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ - قَالَ ابْنُ عِيسَى - ظَاهِرِينَ - ثُمَّ اتَّفَقَا - لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ".

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠ - (٢٨٩٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ حَكِيمٍ، أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا فَقَالَ ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً: سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِيهَا».

٢١ - (٢٨٩٠) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ حَكِيمٍ الْأَنْصَارِيُّ، أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ أَقْبَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَمَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ، بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ نُمَيْرٍ.

(أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ) من المدينة جهة قباء.

(فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ) لعله ضحى أو تحية مسجد.

(وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا) لأتمته.

(سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً) فيه أن أغلب دعاء النبي ﷺ

يستجاب.

(سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ) مثلاً بالقحط، وبالأسقام، ونحو ذلك.

(فَأَعْطَانِيهَا) استجابها.

(وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ) كما حل بقوم نوح.

(فَأَعْطَانِيهَا) استجابها.

(وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِهَا) ولذلك بقي بأسهم بينهم شديد، ومع ذلك تبقى طائفة على الحق ظاهرة لا يضرها من خالفها ولا من خذلها حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ إِخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٢ - (٢٨٩١) حَدَّثَنِي حَزْمَةُ بْنُ يَحْيَى التَّجِيبِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُوسُفُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ: أَنَّ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ كَانَ يَقُولُ: قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَعْلَمُ النَّاسَ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَاتِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَمَا بِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَسْرَ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنِ: «مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكْدُنُ يَذْرُنَّ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتْنٌ كَرِيحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صَغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ»، قَالَ حُذَيْفَةُ: فَذَهَبَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي.

٢٣ - (٢٨٩١) وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ، حَفَظَهُ مَنْ حَفَظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيْتُهُ، فَأَرَاهُ فَادَّكَّرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَأَاهُ عَرَفَهُ.

٢٣ - (٢٨٩١) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ إِلَى قَوْلِهِ: وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ. وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ.

٢٤ - (٢٨٩١) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ: أَنَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُهُ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ.

٢٤ - (٢٨٩١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ بِهِذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

(وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَعْلَمُ النَّاسَ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ)؛ لتخصّصه في هذا الباب، كان يحرص على سماع هذه الأحاديث وإتقانها.

(وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ) يعني حتى لا يقول قائل: اختص حذيفة بهذا، إلا أنه حفظ ونسوا، أو أتقن ولم يحدثوا.

(مِنْهُمْ ثَلَاثٌ لَا يَكْدُنَ يَدْرُنَ شَيْئًا) كبار، يعني تأتين على أصحاب العقول، وربما عجز عن حلها الفحول.

(مِنْهَا صَغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ) والمسلم من سلمه الله.

(فَذَهَبَ أَوْلَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي) ماتوا ولم يحدثوا، وحدث حذيفة.

(فَأَرَاهُ فَادْكَرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ) يعني إذا رأى الفتنة يتذكر قول النبي ﷺ، فإذا به كأنه قد عرفها.

(إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ) أي في آخر الزمان، حتى تكون المدينة «لا يغشاها إلا السباع وعوافي الطير»، كما في الحديث.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٥ - (٢٨٩٢) وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبرَاهِيمَ الدَّورَقِيُّ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، جَمِيعًا عَنْ أَبِي عَاصِمٍ قَالَ حَجَّاجٌ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، أَخْبَرَنَا عَزْرَةُ بْنُ ثَابِتٍ، أَخْبَرَنَا عَلْبَاءُ بْنُ أَحْمَرَ، حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ يَعْنِي عَمْرُو بْنُ أَخْطَبَ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا، حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهُرُ فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا، حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا، حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ، وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظْنَا.

(أبو زيد عمرو بن أخطب) كان رجلا جميلا، مسح النبي ﷺ على ناصيته، ودعا

له.

ومن يستطيع ما استطاعه رسول الله ﷺ؟ يعني يحدث من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، بالفتن، وبما يكون إلى قيام الساعة، ولو وضع هذا الحديث في موطن واحد، وربما جاء في مجلدة، ولكن لله الحكمة، كثير منه ربما يرووه الصحابة على الوقائع، بدون ترتيب.

والحمد لله ما كان من شأن الدين نحتاج أن نتقرب إلى الله عزَّ وجلَّ به فقد حُفِظَ وبُليغ، وما كان من الفتن ما كان منها يحتاج إلى انتباه وحذر بلغونا به، وما كان من فتن ربما لا مصلحة بالتحديث لم يحدثوا به، كما قال أبو هريرة: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين، أما أحدهما فقد بثته، وأما الآخر لو بثته لقطع هذا البلعوم.

قال رحمه الله:

بَابُ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٢٦ - (١٤٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ أَبُو كُرَيْبٍ جَمِيعًا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ قَالَ: ابْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ كَمَا قَالَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا، قَالَ: إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، وَكَيْفَ قَالَ؟ قَالَ: قُلْتُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، يُكْفَرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»، فَقَالَ عُمَرُ: لَيْسَ هَذَا أَرِيدُ، إِنَّمَا أَرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، قَالَ: قُلْتُ: مَا لَكَ وَلَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابٌ مَغْلَقٌ، قَالَ: أَفَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: ذَلِكَ آخَرُ أَنْ لَا يُغْلَقَ أَبَدًا.

ال: قُلْنَا لِحُذَيْفَةَ: هَلْ كَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مِنَ الْبَابِ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ عَدِ اللَّيْلَةِ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَعْلَاطِ.

قَالَ: فَهَبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ مِنَ الْبَابِ فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ: سَلُهُ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ: عُمَرُ^(١).

٢٧ - (١٤٤) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ (ح) وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عِيسَى، كُلُّهُمْ عَنْ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ، وَفِي حَدِيثِ عِيسَى، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ قَالَ: سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ يَقُولُ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٥٥).

٢٧ - (١٤٤) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ جَامِعِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ، وَالْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: مَنْ يُحَدِّثُنَا عَنِ الْفِتْنَةِ؟، وَأَقْتَصَرَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ.

(فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ) فيه بيان لكثرة الفتن، ليست الفتن فقط ما يأتيك من الخارج من الأعداء والمتربصين والماكرين، بل فتنة الرجل في أهله، وزوجه، التي هي ربما من أطوع الناس له.

وماله الذي يتعب وينصب للمحافظة عليه، وربما فتن به، ونفسه التي بين جنبيه، يسعى في إرضائها وإسعادها وربما فتن بها، وفتن بهواه، وفتن بالشهوات والملذات. وولده الذي يحن عليه، وربما قربه في المحبة على نفسه ويفتنه.

وجاره القريب الذي ينبغي أن يحوطه وأن ينصح له، ومع ذلك قد يفتنه. إلى غير ذلك من أنواع الفتن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، وقال: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾، لكن هذه الفتن شأنها أيسر مما يليها، (يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [سورة هود: ١١٤]، وهكذا الاعتذار من بعضهم، والحرص على سلامة الحال والمال، وفيه فضيلة هذه العبادات الجليلات.

(إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ) يعني الفتنة العظيمة المدلهمة، التي يصل ضررها إلى ما لا يُحمد ويتوقع.

(فَقُلْتُ: مَا لَكَ وَلَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟) يعني لا تشغل بها.

(إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا) وكان الباب عمر بن الخطاب، كان جاثما على الفتن في عهده الفتوحات والنصر، والتوسعات في الأرزاق، والخيرات والمبرات والانشغال

بالعلم، فلما كُسر ذلك الباب كسرت بعده بقية الأبواب، قتل عثمان، وقتل علي رضي الله عنهما، وحصلت ما حصلت من البلايا والرزايا.

(نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدِ اللَّيْلَةِ) ولكن عمر رجل ثابت، مع أنه يعلم أنه هو الباب، وأنه مقتول، وقد علم بتهديد أبي لؤلؤة المجوس له، حتى قال للمغيرة بن شعبة: يهددني الصنع وقد أمرت فيه بخير.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٢٨ - (٢٨٩٣) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَ جُنْدُبٌ: جِئْتُ يَوْمَ الْجَرَعَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ فَقُلْتُ: لِيَهْرَاقَنَّ الْيَوْمَ هَاهُنَا دِمَاءٌ، فَقَالَ ذَاكَ الرَّجُلُ: كَلَّا وَاللَّهِ. قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ. قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ، قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ. قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ، قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ، إِنَّهُ لَحَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنِيهِ، قُلْتُ: بِشَسِّ الْجَلِيسِ لِي أَنْتَ مُنْذُ الْيَوْمِ، تَسْمَعُنِي أَخَالَفُكَ وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَنْهَانِي؟ ثُمَّ قُلْتُ: مَا هَذَا الْغَضَبُ؟ فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ وَأَسْأَلُهُ، فَإِذَا الرَّجُلُ حَدِيقَةٌ.

(جُنْدُبٌ) بن عبد الله بن سفيان البجلي، جندب الخير.

(يَوْمَ الْجَرَعَةِ) نسبة إلى منطقة وقعت فيه معركة وفتنة، سفكت فيها الدماء والله

المستعان.

قال النووي رحمه الله: (الجرعة) بفتح الجيم وبفتح الراء وإسكانها، والفتح أشهر وأجود، وهي موضع يقرب الكوفة على طريق الحيرة، ويوم الجرعة يوم خرج فيه أهل الكوفة يتلقون والياً ولأه عليهم عثمان، فردوه، وسألوا عثمان أن يؤلّي عليهم أبا موسى الأشعري فولاه. اهـ

(لِيَهْرَاقَنَّ الْيَوْمَ هَاهُنَا دِمَاءٌ) يعني بالقرائن، نظر إلى الناس، هذا بسلاحه، وهذا

يذهب ويأتي، ويوشي.

(تَسْمَعُنِي أَخَالِفُكَ وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَنْهَانِي؟) انظروا إلى أهل الحق، يفرح بالنصيحة، يفرح بالتوجيه، وقع في نفسه لماذا ما نهاه عن الاستمرار في قوله مع وجود النص؟
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٩ - (٢٨٩٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو»^(١).

٢٩ - (٢٨٩٤) وَحَدَّثَنِي أُمِّيَّةُ بْنُ بَسْطَامٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ، عَنْ سُهَيْلٍ بِهِذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ، وَزَادَ: فَقَالَ أَبِي: إِنْ رَأَيْتَهُ فَلَا تَقْرَبْنَهُ.

٣٠ - (٢٨٩٤) حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ خَالِدٍ السَّكُونِيُّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ حُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا».

٣١ - (٢٨٩٤) حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا».

(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ) أي الكبرى.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧١١٩).

(حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ) يكشف نهر الفرات بذهاب مائه أو نقصانه.

(عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ) فيظهر هذا الجبل.

(يَقْتُلُ النَّاسُ عَلَيْهِ)؛ لرغبتهم في المال وحرصهم عليه، وهكذا شأن الناس أغلب

الفتن تعود إلى المال.

(فَيَقْتُلُ مِنْ كُلِّ مِائَةِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ) ولا يعتبرون ولا يتعظون.

(وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو) فيهلكون جميعاً، وما عسى

الواحد الباقي أن يستفيد؟ بل لربما جاءت جماعة ثانية وبدأت بهذا الواحد، وهذا

مصدق قول النبي ﷺ: «لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال». أخرجه الترمذي عن مالك

بن كعب.

(فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئًا) مال سيء، مال زهقت من أجله الأرواح وقطعت

من أجله الأرحام، وضيعت من أجله الأوقات، لا خير فيه.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٢ - (٢٨٩٥) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ، وَأَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ وَاللَّفْظُ لِأَبِي مَعْنٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَ: كُنْتُ وَاقِفًا مَعَ أَبِي بْنِ كَعْبٍ فَقَالَ: لَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفَةً أَغْنَأُهُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، قُلْتُ: أَجَلٌ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ، فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ: لَيْنَ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لِيُذْهَبَ بِهِ كُلُّهُ»، قَالَ: «فَيَقْتُلُونَ عَلَيْهِ، فَيَقْتُلُ مِنْ كُلِّ مِائَةِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ».

قَالَ أَبُو كَامِلٍ فِي حَدِيثِهِ قَالَ: وَقَفْتُ أَنَا وَأَبِي بْنُ كَعْبٍ فِي ظِلِّ أُجْمٍ حَسَنٍ.

(أبي بن كعب) أبو المنذر، من حفاظ القرآن.

(لَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفَةً أَعْنَاقُهُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا) احمد ربك يا طالب العلم واحمد ربك أيها المسلم الذي سلمك الله من هذا الاختلاف، ولا تفرح بالاختلاف من أجل الدنيا، فكم من إنسان كان محافظا على صلاة الفجر ولما جاءت الدنيا ضيعها ! وكم من إنسان كان عفيفا فلما جاءت الدنيا ساء حاله ! وكم من إنسان كان وصالا للرحم فلما جاءت الدنيا قطعها ! وكم من إنسان كان محبا للعلم وأهله فلما جاءت الدنيا أبغضهم ! « لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال ».

(فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ) زرافات ووحदानا، ولو كانوا يبشرون بالجنة ما ذهبوا، إلا ما رحم ربي، ولكن من أجل الدنيا ذهبوا، ليس فقط من أرض العراق بل ربما من الجزيرة ككل، ومن الشام.

(وَقَفْتُ أَنَا وَابْنُ بَنِي كَعْبٍ فِي ظِلِّ أُجْمِ حَسَّانَ) أي حض حسان يتحادثون ويتذكرون هذا الأمر.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْمُرَادُ بِالْأَعْنَاقِ هُنَا الرُّؤَسَاءُ وَالْكَبَرَاءُ، وَقِيلَ: الْجَمَاعَاتُ. قَالَ الْقَاضِي: وَقَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ بِالْأَعْنَاقِ نَفْسَهَا، وَعَبَّرَ بِهَا عَنْ أَصْحَابِهَا لَا سِيَّمَا وَهِيَ الَّتِي بِهَا التَّطَلُّعُ وَالتَّشَوُّفُ لِلْأَشْيَاءِ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٣ - (٢٨٩٦) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ يَعِيشَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَاللَّفْظُ لِعُبَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ بْنِ سُلَيْمَانَ مَوْلَى خَالِدِ بْنِ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنْعَتِ الشَّامُ مُدِّيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنْعَتِ مِصْرُ إِرْدَبَهَا وَدِينَارَهَا، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ». شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ.

(مَنْعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا) يعني منعت وصوله إلى دار الخلافة، وتمردوا على خليفة المسلمين.

(وَمَنْعَتِ الشَّامُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا) على المعنى الأول، والدرهم معروف، دون الدينار، الدرهم من الفضة، والدينار من الذهب.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَمَّا (الْقَفِيزُ) فَمِكْيَالٌ مَعْرُوفٌ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: هُوَ ثَمَانِيَّةُ مَكَايِكَ، وَالْمَكُوكُ صَاعٌ وَنِصْفٌ، وَهُوَ خَمْسُ كَيْلَجَاتٍ.

وَأَمَّا (الْمُدِّي) فَبِضْمِ الْمِيمِ عَلَى وَزْنِ (قُفْلٍ)، وَهُوَ مِكْيَالٌ مَعْرُوفٌ لِأَهْلِ الشَّامِ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: يَسَعُ خَمْسَةُ عَشَرَ مَكُوكًا.

وَأَمَّا الْإِرْدَبُ فَمِكْيَالٌ مَعْرُوفٌ لِأَهْلِ مِصْرَ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَآخَرُونَ: يَسَعُ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ صَاعًا.

وَفِي مَعْنَى مَنْعَتِ الْعِرَاقِ وَغَيْرَهَا قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ:

أَحَدُهُمَا: لِإِسْلَامِهِمْ، فَتَسْقُطُ عَنْهُمْ الْجِزْيَةُ، وَهَذَا قَدْ وُجِدَ.

وَالثَّانِي: وَهُوَ الْأَشْهَرُ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَجَمَ وَالرُّومَ يَسْتَوْلُونَ عَلَى الْبِلَادِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَيَمْنَعُونَ حُصُولَ ذَلِكَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ هَذَا بَعْدَ هَذَا بِوَرَقَاتٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: يُوشِكُ أَنْ لَا يَجِيءَ إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ، يَمْنَعُونَ ذَلِكَ.

وَذَكَرَ فِي مَنْعِ الرُّومِ ذَلِكَ بِالشَّامِ مِثْلَهُ، وَهَذَا قَدْ وُجِدَ فِي زَمَانِنَا فِي الْعِرَاقِ، وَهُوَ الْآنَ مَوْجُودٌ.

وَقِيلَ: لَا تَنْهَمُ يَرْتَدُّونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَيَمْنَعُونَ مَا لَزِمَهُمْ مِنَ الزَّكَاةِ وَغَيْرِهَا.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةُ تَقْوَى شَوْكَتُهُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَيَمْتَنِعُونَ مِمَّا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ مِنَ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. اهـ

نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ بَلْ أَصْبَحُوا يَأْخُذُونَ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ.

(وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ) كَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي فَتْحِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَخُرُوجِ الدَّجَالِ وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

قَالَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٤ - (٢٨٩٧) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، حَدَّثَنَا سَهِيلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ، أَوْ بِدَائِقٍ فَيَخْرُجَ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافَوْا قَالَتِ الرُّومُ: خَلَوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نَقَاتِلُهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ، لَا نَخْلِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِكُمْ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاؤُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَعْدُونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أَقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَأَاهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ».

وهذا من علامات الساعة التي تكون في آخر الزمان.

(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ) الكبرى القيامة.

(حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَائِقٍ) من أرض الشام، بقرب حلب ينزلون لحرب

بعض المسلمين.

(فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ) دليل على أن المدينة تبقى على سنة، وعلى خير، وعلى عبادة، وعلى صلاح، وعقيدة، لأنه لا يقف أمام الكفار إلا صالح العقيدة، مقبل على العلم والعبادة، أما إذا تعلق الناس بالدنيا ضعفوا في الجهاد.

(فَإِذَا تَصَافَوْا قَالَ الرَّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْا مِنَّا نَقَاتِلَهُمْ) يعني يقولون لهؤلاء: اتركونا، نحن ما جئنا لكم، نحن جئنا لغيركم، ومع ذلك يأبى المسلمون. (فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ، لَا نُحَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا) وهذا من التعاون على البر والتقوى ووقوف أمام قوى الشرك.

(فَيَقَاتِلُونَهُمْ) يقاتل المسلمون الكفار. (فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتَوْبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا) يعني يفرون من الزحف، ثلث من جيش الإسلام، والفرار من الزحف كبيرة من كبائر الذنوب وعظيم الآثام، ولا يلهمون التوبة، وإلا فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

(وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ)؛ لشباعتهم، ومبادرتهم بأنفسهم. (وَيَفْتَحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا) يثبتون في هذه الواقعة فلا يفتنون في غيرها، مثل أهل بدر، قال لهم النبي ﷺ: «اعملوا ما شئتم»، كما هو قول الله: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم»، فهو لاء حين ثبتوا في الفتنة ثبتهم الله فيما يأتي من الفتنة. (فَيَفْتَحُونَ قُسْطَنْطِينَ) استمرار إلى الأمام، لا يتراجعون، ولا يقف أمامهم جند ولعل هذا جيش المهدي، إذ أن فتح القسطنطينية في آخر الزمان يكون على يديه، والقسطنطينية عاصمة بلاد الترك ومن إليهم.

(فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ) للراحة والاستجمام. (إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ) أي الدجال.

(قَدْ خَلَقَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ) فتقع عندهم وقعة للخوف على الأهل، ولعلمهم بفتنة الدجال.

(فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ) يعني يرجعون وهذه الصيحة من الشيطان باطلة، لكن قد وقع قرب خروج الدجال.

(فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ) أي المسيح الدجال.

(فَبَيْنَمَا هُمْ يُعَدُّونَ) الجيوش.

(لِلْقِتَالِ) أي قتال الدجال.

(يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ) كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَرصُوصَةٌ﴾.

(فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام، فَأَمَّهُمْ) الذي في الصحيح أنه أمر أميرهم أن يأمرهم: «إمامكم منكم».

(فَإِذَا رَأَاهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْدَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ) يدركه بباب لد في فلسطين.

(فَيُغِيرُ بِهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ) دليل صريح على أنه يستخدم الحربة لقتل الدجال، ما هناك سلاح حديث ولا شيء.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: تَقَوْمُ السَّاعَةِ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٥ - (٢٨٩٨) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقَوْمُ السَّاعَةِ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ»، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمَسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةً حَسَنَةً جَمِيلَةً، وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ.

٣٦ - (٢٨٩٨) حَدَّثَنِي حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي أَبُو شَرِيحٍ: أَنَّ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنَ الْحَارِثِ حَدَّثَهُ: أَنَّ الْمُسْتَوْرِدَ الْقُرَشِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ»، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تُذَكِّرُ عَنْكَ أَنَّكَ تَقُولُهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَوْرِدُ: قُلْتُ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ عَمْرُو: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَجْبَرُ النَّاسِ عِنْدَ مُصِيبَةٍ، وَخَيْرُ النَّاسِ لِمَسَاكِينِهِمْ وَضُعَفَائِهِمْ.

(تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ) وفعلا الآن إذا تأملتم إلى بلاد الروم تجدونها من أكثر الناس، وتقع بينهم حروب كثيرة، لكن سرعان ما يأتلفون ويرجعون، وأما بلاد الإسلام نسأل الله السلامة والعافية إذا وقعت بينهم الحروب قل أن يأتلفوا بعدها. (أَبْصُرْ مَا تَقُولُ) يعني تثبت مما تقول.

(لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا) يعني تجعلهم أكثر الناس. (إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ) على بعضهم البعض، أما على المسلمين والله أنهم من أسوأ ما يكون.

(وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ) انظر وقعت الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية وأفاقوا وعادوا إلى صناعاتهم.

(وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ) يعني لا يسأمون من حرب المسلمين، الاستعمار البريطاني، والاستعمار الفرنسي، والاستعمار الإيطالي، والاستعمار الألماني، والاستعمار المغولي، وهكذا حرب بعد حرب، تارة يتعاونون وتارة يختلفون.

(وَحَبَّرَهُمْ لِمَسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ) يعني من ضعفائهم.

(وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ) الواقع أنهم فيما بينهم، أما إذا كان الأمر يعود إلى غيرهم، لا سيما الآن بعد أن تسلطت عليهم الماسونية العالمية أفسدتهم من هذه الأخلاق، ومع ذلك لعلهم يرجعون إلى شأنهم الأول في آخر الزمان.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ووصف عبد الله بن عمرو لهم بما وصفهم به من تلك الأوصاف الجميلة، إنما كانت غالبية على الروم الذين أدرك هو زمانهم، وأما ما في الوجود منهم اليوم فهم أنجس الخليفة وأركسهم، وهم موصوفون بنقيض تلك الأوصاف. انتهى^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا اسْتَدْرَكَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ عَلَى مُسْلِمٍ وَقَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ لَمْ يُدْرِكِ الْمُسْتَوْرِدَ، فَالْحَدِيثُ مُرْسَلٌ.

قُلْتُ: لَا اسْتِدْرَاكَ عَلَى مُسْلِمٍ فِي هَذَا؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْحَدِيثَ مَحْذُوفَةً فِي الطَّرِيقِ الْأَوَّلِ مِنْ رِوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ رَبَاحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ مُتَّصِلًا، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الثَّانِي مُتَابَعَةً، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّهُ يُحْتَمَلُ فِي الْمُتَابَعَةِ مَا لَا يُحْتَمَلُ فِي الْأُصُولِ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ إِقْبَالِ الرُّومِ فِي كَثْرَةِ الْقَتْلِ عِنْدَ خُرُوجِ الدَّجَالِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٧ - (٢٨٩٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ عُثَيْمٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ حُجْرٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبرَاهِيمَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْعَدَوِيِّ، عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِيرَى إِلَّا: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، جَاءَتْ السَّاعَةُ. قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ

(١) (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم) (٧/ ٢٣٦).

مُتَكِنًا فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقَسَمَ مِيرَاثُ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ. ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَنَحَاَهَا نَحْوَ الشَّامِ. فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ. قُلْتُ: الرُّومُ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمْ الْقِتَالِ رِدَّةً شَدِيدَةً، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتُلُونَ حَتَّى يَحْجَزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتُلُونَ حَتَّى يَحْجَزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتُلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً إِمَّا قَالَ: لَا يَرَى مِثْلَهَا، وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يَرِ مِثْلُهَا حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَابَتِهِمْ فَمَا يُخَلْفُهُمْ حَتَّى يَخْرُ مَيِّتًا، فَيَتَعَادَ بَنُو الْأَبِ كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيٍّ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ، أَوْ أَيْ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ؟

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيحُ: إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشْرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي لَا عَرِفُ أَسْمَاءَهُمْ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خِيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي رَوَايَتِهِ عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ.

٣٧ - (٢٨٩٩) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْغُبَرِيِّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ فَهَبَّتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ، وَحَدَّثَ ابْنُ عُلَيَّةٍ أَنَّهُ وَأَشْبَعُ.

٣٧ - (٢٨٩٩) وَحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، يَعْنِي ابْنَ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، يَعْنِي ابْنَ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كُنْتُ فِي بَيْتِ عَبْدِ اللَّهِ

بْنِ مَسْعُودٍ وَالْبَيْتُ مَلَأْنُ، قَالَ: فَهَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ.

(هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ) وهذه الرياح تقع بين الحين والآخر، ولكن الجهاد حين يروا مثل هذه الأحداث يجعلون احتمالات ومقولات بسبب جهلهم.

(جَاءَتِ السَّاعَةُ) تكلم بغير علم.

(إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقَسَمَ مِيرَاثٌ وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ) يعني لا تستعجلوا شأن الساعة.

(عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ) مكر بالإسلام وأهله وأهل الإسلام يحتاطون لأنفسهم.

(الرُّومُ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ) أي أهل اريا ومن إليهم من الغرب الكافر.

(وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمْ الْقِتَالِ رِدَّةً شَدِيدَةً) بسبب ضعف أهل الإسلام وقوة أهل الكفران وكثرة الجهل والنفاق.

(فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ) يتعاهدون ويتعاقدون على الثبات حتى النصر أو الشهادة.

(وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ) يعني يذهب الشرط ويفنى كثير من الناس.

(فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجَزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ) لو كان الشأن أنهم يقتتلون بالأسلحة الحديثة فالليل أهون وأسهل للأسلحة الحديثة، يكون معهم نواظير ليلية، وهكذا، يضربون بالأسلحة النارية، لكن الشأن يحجز بينهم الليل؛ لأنهم يحتربون بالسيوف.

(فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ) أي يرجعون جميعاً إلى مساكنهم وأماكنهم للراحة ولم يقع انتصار لأحد الطائفتين.

(فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ) قام.

(إِنَّهُمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ) للدفاع عن الإسلام، ثبات عند أهل الإسلام، في آخر الزمان، ينصر الله الإسلام بثبات أهله.

(فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ) أي على الكفار، الدبرة: الهزيمة.

(فَيُقْتَلُونَ مَقْتَلَةً لَا يَرَى مِثْلَهَا) أي لشدةها.

(حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَابَتِهِمْ فَمَا يُخْلِفُهُمْ حَتَّى يَخْرَ مَيِّتًا)؛ لشدة التن الذي يصدر من تلك الأرض التي فيها المعركة.

(فَيَتَعَادُ بَنُو الْأَبِّ كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيٍّ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلَ الْوَاحِدَ) يعني من

المسلمين، يقتل المسلمون مع الكفار فيقع الفناء، تصور أهل البيت يبقى منهم واحد.

(فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ، أَوْ أَيِّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ؟) يزهّد الناس في الدنيا.

(فَيَرُفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ) لمواجهة الدجال.

(فَيَبْعَثُونَ عَشْرَةَ فَوَاسِرَ طَلِيعَةٍ) عين لهم يترصد الشأن.

(مِنْ خَيْرِ فَوَاسِرَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ)؛ لأنهم على الإسلام والاستقامة والحق

والسنة، فهؤلاء الذين يقاتلون الدجال ويقاتلون الروم في آخر الزمان هم أهل السنة لا

أهل البدعة، قال النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ».

(إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ) علم من أعلام النبوة أطلعه الله على ذلك.

(وَالْوَأَنَ خِيُولِهِمْ) دليل على عودة الحياة إلى ما كانت عليه قبل هذه الطفرة الصناعية

التي صنعت فيها السيارات والطائرات.

قال رحمه الله:

بَابُ مَا يَكُونُ مِنْ فُتُوحَاتِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ الدَّجَالِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٣٨ - (٢٩٠٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُثْبَةَ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكْمَةٍ، فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: أَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدَيَّ، قَالَ: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَالَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ».

قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ، لَا تَرَى الدَّجَالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ.

(نافع بن عُثْبَةَ) بن أبي وقاص، صحابي صغير.

(فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكْمَةٍ) يعني مكان مرتفع، إما تراب مجموع، وإما أن يكون حجارة

مجموعة مرتفعة.

(أَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ) يعني حرصاً على النبي ﷺ أن لا يلحقه أذى.

(لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ) أي ناجيهم.

(فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ) هذا يدل على أهمية الانتباه، أحياناً ينزل أناس ما يتفطن

لهم، لكن البعيد يكون منتبهاً، يقرب منهم، إن كان شأنهم المحادثة والمؤانسة سمع منهم، وإن كان شأنهم الخيانة انتبه لهم.

(تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ) فتحت في عهده ﷺ.

(ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ) فتحت في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ) وقد وقع في زمن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 (ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَالَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ) في آخر الزمان.
 (لَا تَرَى الدَّجَالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ) وهذا هو الواقع في الفتح الأول.
 قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٩ - (٢٩١) حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ فُرَاتِ الْقَرَّازِ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ: أَطْلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ: «مَا تَذَكَّرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَزُلُوقَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ: نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ.

٤٠ - (٢٩١) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ فُرَاتِ الْقَرَّازِ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ، فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «مَا تَذَكَّرُونَ؟» قُلْنَا: السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالدُّخَانُ، وَالدَّجَالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدْنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ».

قَالَ شُعْبَةُ وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، لَا يَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ أَحَدُهُمَا فِي الْعَاشِرَةِ: «نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ»، وَقَالَ الْآخَرُ: «وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ».

٤١ - (٢٩٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، يَغْنِي ابْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ فُرَاتٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الطُّفَيْلِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ تَحْتَهَا نَتَحَدَّثُ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ.

قَالَ شُعْبَةُ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: «تَنْزِلُ مَعَهُمْ إِذَا نَزَلُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا». قَالَ شُعْبَةُ: وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ، وَلَمْ يَرْفَعْهُ، قَالَ أَحَدُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ: «نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ»، وَقَالَ الْآخَرُ: «رِيحٌ تُلْقِيهِمْ فِي الْبَحْرِ».

٤١ - (٢٩٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعِجْلِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ فُرَاتٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الطُّفَيْلِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ فَأَشْرَفَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بَنَحُو حَدِيثَ مُعَاذٍ، وَابْنُ جَعْفَرٍ.

٤١ - (٢٩٠) وَقَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ بَنَحُوهُ، قَالَ: وَالْعَاشِرَةُ نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، قَالَ شُعْبَةُ: وَلَمْ يَرْفَعْهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ.

(أَبُو الطُّفَيْلِ) عامر بن واثلة، صحابي، مات سنة مائة، وهو آخر من مات من الصحابة.

(حُدَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ) أَبُو سَرِيحَةَ الْغَفَارِيُّ، صحابي من أصحاب الشجرة.

(اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ) أَيِ جَاءَهُمْ فِي مَجْلِسٍ وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ.

(نَذْكُرُ السَّاعَةَ) أَيِ شَأْنِ السَّاعَةِ، وَمَتَى تَكُونُ، وَكَيْفَ الشَّأْنُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

(إِنَّهَا لَن تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ) أَيِ عَظِيمَاتٍ.

(فَذَكَرَ الدُّخَانَ) وهذا خلاف مذهب ابن مسعود على أن الدخان قد مضى في زمن قريش، بل هو دخان يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ الكفار منه كهيئة الزكام.

(وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) ينزل لقتل الدجال، على ما يأتي.

(وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ) يأتي ذكرهم في حديث النواس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَحَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ) يعني مشرق الجزيرة.

(وَأَخْرَازَ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ) من عدن.

(تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ) تبات معهم حيث باتوا وتقبل حيث قالوا.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: (نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ) وَمَعْنَاهُ مِنْ أَقْصَى قَعْرِ أَرْضِ عَدَنٍ، وَعَدَنُ مَدِينَةٌ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالْيَمَنِ.

قَالَ الْمَاورِديُّ: سُمِّيَتْ عَدَنًا مِنَ الْعُدُونِ، وَهِيَ الْإِقَامَةُ؛ لِأَنَّ تَبَعًا كَانَ يَحْبِسُ فِيهَا أَصْحَابَ الْجَرَائِمِ، وَهَذِهِ النَّارُ الْخَارِجَةُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ وَالْيَمَنِ هِيَ الْحَاشِرَةُ لِلنَّاسِ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الْحَدِيثِ.

أَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي بَعْدَهُ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى فَقَدْ جَعَلَهَا الْقَاضِي عِيَاضَ حَاشِرَةً قَالَ: لَعَلَّهُمَا نَارَانِ يَجْتَمِعَانِ لِحَشْرِ النَّاسِ، قَالَ: أَوْ يَكُونُ ابْتِدَاءُ خُرُوجِهَا مِنَ الْيَمَنِ، وَيَكُونُ ظُهُورُهَا وَكَثْرَةُ قُوَّتِهَا بِالْحِجَازِ.

هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي، وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ نَارَ الْحِجَازِ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْحَشْرِ. اهـ

نار الحجاز قد وقعت، وهي من الأمارات الصغرى للساعة وليست من الأمارات الكبرى.

وهذا الحديث قد أعله الدارقطني بالوقف، قال صاحب (البحر المحيط الشجاع): ومما يؤيد الرفع دون الوقف أن له شواهد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا...»، الحديث يأتي في مسلم، ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «أَنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ...» الحديث (١).
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٢ - (٢٩٠٢) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ الْمُسَيَّبِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، (ح) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ جَدِّي، حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ: أَنَّهُ قَالَ: قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى» (٢).

(بُصْرَى) أي بالشام، وقيل: بأن هذه النار قد خرجت كما تقدم.

وفي (أشراط الساعة) للوابل في النار التي تخرج من أرض الحجاز: وقد ظهرت هذه النار في منتصف القرن السابع الهجري في عام أربع وخمسين وست مئة، وكانت نارًا عظيمة، أفاض العلماء ممَّن عاصر ظهورها ومَن بعدهم في وصفها.

قال النووي: خرجت في زماننا نارٌ بالمدينة سنة أربع وخمسين وست مئة، وكانت نارًا عظيمة جدًّا، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، وتواتر العلم بها عند جميع الشَّام وسائر البلدان، وأخبرني مَن حضرها من أهل المدينة.

(١) (البحر المحيط الشَّجَّاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج) (٤٤/ ٣٤٧).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧١١٨).

ونقل ابن كثير أن غير واحدٍ من الإعراب ممَّن كان بحاضرة بصرى شاهدوا أعناقَ الإبل في ضوء هذه النَّار التي ظهرت من أرض الحجاز. وذكر القرطبي ظهورَ هذه النَّار، وأفاض في وصفها في كتابه (التذكرة) فذكر أنَّها رُئيت من مكَّة ومن جبال بصرى.

وقال ابن حجر: والذي ظهر لي أن النَّار المذكورة ... هي التي ظهرت بنواحي المدينة، كما فهمه القرطبي وغيره. وهذه النَّار ليست هي النَّار التي تخرُج في آخر الزَّمان، تحشُرُ النَّاس إلى محشَرهم. انتهى^(١).

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ فِي سُكْنَى الْمَدِينَةِ وَعِمَارَتِهَا قَبْلَ السَّاعَةِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٤٣ - (٢٩٠٣) حَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا الْأَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبْلُغُ الْمَسَاكِينُ إِهَابَ أَوْ يَهَابَ». قَالَ زُهَيْرٌ: قُلْتُ لِسُهَيْلٍ: فَكَمْ ذَلِكَ مِنَ الْمَدِينَةِ؟ قَالَ: كَذَا وَكَذَا مِثْلًا.

(تَبْلُغُ الْمَسَاكِينُ إِهَابَ) وقد بلغت، إذا نظرت إلى علامات الحرم المدني تجد أن المدينة قد خرجت عن هذا المسمى، فصارت أوسع بكثير منه، وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ.

(١) (أشراط الساعة) ليويسف الوابل (ص ١١٧).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٤ - (٢٩٠٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمَطَّرُوا، وَلَكِنَّ السَّنَةَ أَنْ تُمَطَّرُوا وَتُمْطَرُوا وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا».

(لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمَطَّرُوا) السنة الجذب، يعني: ليست السنة الشديدة بأن لا تمطروا، وإن كان منع المطر سبب للجذب.

(وَلَكِنَّ السَّنَةَ أَنْ تُمَطَّرُوا) مطراً كثيراً ولا بركة فيه.

(وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا)؛ لعدم بركته، وهذا من أمارات الساعة، ولو تأملتم ذلك رأيتموه ظاهراً، فكم تنزل من أعاصير وأمطار ولا ينتفع الناس بها.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: الْفِتْنَةُ مِنَ الْمَشْرِقِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥ - (٢٩٠٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقِ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»^(١).

٤٦ - (٢٩٠٥) وَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، (ح) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ كُلُّهُمُ عَنْ يَحْيَى الْقَطَّانِ قَالَ: الْقَوَارِيرِيُّ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، حَدَّثَنِي نَافِعٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عِنْدَ بَابِ حَفْصَةَ فَقَالَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ: الْفِتْنَةُ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٣٧٩).

قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ فِي رَوَاتِهِ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ بَابِ عَائِشَةَ.

٤٧ - (٢٩٠٥) وَحَدَّثَنِي حَزْمَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقِ: «هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

٤٨ - (٢٩٠٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْتِ عَائِشَةَ فَقَالَ: «رَأْسُ الْكُفْرِ مِنْ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»، يَعْنِي الْمَشْرِقَ.

٤٩ - (٢٩٠٥) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، يَعْنِي ابْنَ سُلَيْمَانَ، أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ قَالَ: سَمِعْتُ سَالِمًا يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ وَيَقُولُ: «هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا» ثَلَاثًا، «حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

٥٠ - (٢٩٠٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ، وَوَاصِلُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، وَأَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ الْوَكِيلِيُّ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبَانَ، قَالُوا: حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ مَا أَسْأَلُكُمْ عَنِ الصَّغِيرَةِ وَأَرْكَبُكُمْ لِلْكَبِيرَةِ، سَمِعْتُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَاهُنَا»، وَأَوَّلُ مَا بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، «مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ، وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطَاً، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [سورة طه: ٤٠]».

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ فِي رَوَاتِهِ عَنْ سَالِمٍ: لَمْ يَقُلْ سَمِعْتُ.

الشيطان له قرنان حقيقتان، وقيل: المراد به الشرور التي تأتي من قبل الشيطان والمعنى الأول أصوب.

ومعنى الحديث: أن الفتنة تأتي من قبل المشرق، وما جاء من ذكر نجد إما أن يحمل على وقت من الأوقات، كما هو في ذلك الزمان، حيث كان مسيلمة الكذاب وأحدث الفتنة العظيمة، لولا أن الله **عَزَّوَجَلَّ** قتله في خلافة أبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وإما أن يحمل على المشرق ككل، فإننا نرى أن كثيرا من الفتن تقع من قبل المشرق، فتنة التتر، وفتنة الرافض، وكثير من الفتن، حتى فتنة الدجال تأتي من قبل المشرق.

أما تنزيل الحديث على أن المراد به الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي ومن إليه هذا تنزيل باطل، الشيخ محمد بن عبد الوهاب **رَحِمَهُ اللَّهُ** ومن إليه جاؤوا بتجديد السنة، وبتجديد ما اندرس من شأن الملة، وأحيا الله بهم التوحيد، وأقام بهم السنة وقامت شعائر الله ظاهرة بعد هذه الدعوة، بعد أن كانت قد انطمست كثير من المعالم.

وفي (الصحيحة للألباني) (٢٤٩٤): رأيت رسول الله **ﷺ**

يشير بيده يوم العراق: «**ها إن الفتنة...**»، الحديث بتمامه، وهو رواية لمسلم ويشهد لها رواية أخرى له من طريق ابن فضيل عن أبيه قال: سمعت سالم بن عبد الله بن عمر يقول: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة، وأركبكم للكبيرة! سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: فذكره مرفوعا.

إلى أن قال: قلت: وطرق الحديث متضافرة على أن الجهة التي أشار إليها النبي **ﷺ** إنما هي المشرق، وهي على التحديد العراق كما رأيت في بعض الروايات الصريحة، فالحديث علم من أعلام نبوته **ﷺ**، فإن أول الفتن كان من قبل المشرق، فكان ذلك سببا للفرقة بين المسلمين، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة كبعدة التشيع والخروج ونحوها

وقد روى البخاري (٧ / ٧٧) وأحمد (٢ / ٨٥، ١٥٣) عن ابن أبي نعم قال: شهدت ابن عمر وسأله رجل من أهل العراق عن محرم قتل ذبابا فقال: يا أهل العراق تسألوني عن محرم قتل ذبابا وقد قتلتم ابن بنت رسول الله ﷺ، وقد قال رسول الله ﷺ: «هما ريحانتي في الدنيا» !

وإن من تلك الفتن طعن الشيعة في كبار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كالسيدة عائشة الصديقة بنت الصديق التي نزلت براءتها من السماء، فقد عقد عبد الحسين الشيعي المتعصب في كتابه (المراجعات) (ص ٢٣٧) فصولا عدة في الطعن فيها وتكذيبها في حديثها، ورميها بكل واقعة، بكل جرأة وقلة حياء، مستندا في ذلك إلى الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وقد بينت قسما منها في (الضعيفة) (٤٩٦٣ - ٤٩٧٠) مع تحريفه للأحاديث الصحيحة، وتحميلها من المعاني ما لا تتحمل كهذا الحديث الصحيح، فإنه حملة - فض فوه وشلت يده - على السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زاعما أنها هي الفتنة المذكورة في الحديث، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [سورة الكهف: ٥].

معتمدا في ذلك على الروايتين المتقدمتين: الأولى: رواية البخاري: فأشار نحو مسكن عائشة ... والأخرى: رواية مسلم: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال: رأس الكفر من ههنا... فأوهم الخبيث القراء الكرام بأن الإشارة الكريمة إنما هي إلى مسكن عائشة ذاته وأن المقصود بالفتنة هي عائشة نفسها !

والجواب: أن هذا هو صنيع اليهود الذين يحرفون الكلم من بعد مواضعه، فإن قوله في الرواية الأولى: (فأشار نحو مسكن عائشة)، قد فهمه الشيعي كما لو كان النص بلفظ: (فأشار إلى مسكن عائشة) ! فقوله: (نحو) دون (إلى) نص قاطع في إبطال مقصوده الباطل، ولا سيما أن أكثر الروايات صرحت بأنه أشار إلى المشرق وفي بعضها العراق، والواقع التاريخي يشهد لذلك.

وأما رواية عكرمة فهي شاذة كما سبق، ولو قيل بصحتها فهي مختصرة جدًا اختصارًا مخلا، استغله الشيعة استغلالًا مرا، كما يدل عليه مجموع روايات الحديث، فالمعنى: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فصلى الفجر، ثم قام خطيبًا إلى جنب المنبر (وفي رواية: عند باب عائشة) فاستقبل مطلع الشمس، فأشار بيده، نحو المشرق. (وفي رواية للبخاري: نحو مسكن عائشة) وفي أخرى لأحمد: يشير بيده يؤم العراق.

فإذا أمعن المنصف المتجرد عن الهوى في هذا المجموع قطع ببطلان ما رمى إليه الشيعة من الطعن في السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. عامله الله بما يستحق. انتهى.

(وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ) حروب بين المسلمين.

(وَإِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطَأً، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾) فكيف بمن يتعمد قتل النفس المعصومة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعْبُدَ دَوْسٌ ذَا الْخَلَصَةِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥١ - (٢٩٠٦) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرَّ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ»، وَكَانَتْ صَنَمًا تَعْبُدُهَا دَوْسٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِتِبَالَةٍ^(١).

وهذا من أمارات الساعة، وستكون، وفيه أن عبادة الأصنام والشرك يعود إلى جزيرة العرب في آخر الزمان.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧١١٦).

وفي هذا رد على الصوفية الذين يستدلون بقول النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَبَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ بِالْتَّحْرِيشِ»، وقد تقدم بيان هذا الحديث، وهذا الحديث يرد عليه.

الإلية هي مؤخرة الرجل والمرأة.

(تَضَطَّرَبَ) يجتمعن ويجلسن حول الصنم يتبركن به، ويعظمينه.

وأما تبالة: موضع باليمن.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٢ - (٢٩٠٧) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ، وَأَبُو مَعْنٍ زَيْدُ بْنُ يَزِيدَ الرَّقَاشِيُّ وَاللَّفْظُ لِأَبِي مَعْنٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى».

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كُنْتُ لَا أَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة: ٣٣] أَنَّ ذَلِكَ تَأَمَّا. قَالَ: إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفِّي كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ».

٥٢ - (٢٩٠٧) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ، وَهُوَ الْحَنْفِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

(لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى) وأول ما سيكون من هذا الشأن ليس العودة إلى الشرك مباشرة، لكن ما ترون الآن من الاهتمام بما يسمى بالآثار، وتعظيم شأن هذه الأصنام، وتعظيم شأن هذه الرموز، ثم بعد ذلك تقع لها العبادة، نسأل الله السلامة والعافية، فيتدرج الناس في الشر تدرجا.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ (الهدى): العلم النافع،
(ودين الحق): العمل الصالح.

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: يعليه على جميع الأديان.

(أَنَّ ذَلِكَ تَأَمَّنًا) وهذا قد كان والحمد لله، كما وعد الله.

(ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رَيْحًا طَيِّبَةً) من قبل اليمن، وجاء أنها من قبل الشام، ولا يبعد أنها تأتي
من هاهنا ومن هاهنا.

(فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ) كما تقدم في كتاب الإيمان (فلا
تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته).

(فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ) شرار الخلق، على ما يأتي عن النواس إن شاء الله.

(فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ) وهذا معنى حديث أنس الذي تقدم في كتاب الإيمان:
«لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول: الله الله».

وفي هذا الحديث العذر بالجهل، فإن هؤلاء أناس عاشوا حتى بقي في قلوب بعضهم
حبة خردل من إيمان، ومعلوم أن هؤلاء عندهم من القصور العلمي والعملية ما الله به
عليم، ومع ذلك ماتوا على حالة طيبة، وعلى إيمان خالص، ينفعهم والله عز وجل به، كما
في حديث حذيفة: "يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدري ما صيام،
ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة، فلا يبقى في
الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا
على هذه الكلمة، لا إله إلا الله، فنحن نقولها" فقال له صلة: ما تغني عنهم: لا إله إلا
الله، وهم لا يدرون ما صلاة، ولا صيام، ولا نسك، ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة،
ثم ردها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: «يا صلة،
تنجيهم من النار» ثلاثاً، فإن كانوا قد جهلوا مثل هذه الأمور الظاهرة فكيف بغيرها،
ومع ذلك تنفعهم لا إله إلا الله.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٣ - (١٥٧) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ»^(١).

٥٤ - (١٥٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرَّفَاعِيُّ وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبَانَ، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغَ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ».

(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ) من شدة الفتن

وكثرتها وتنوعها.

(فَيَتَمَرَّغَ عَلَيْهِ) يعني يتمرغ كما تمرغ الدابة رغبة في أن يكون صاحب ذلك القبر، ومعلوم أن الإنسان لا يتمنى الموت إلا لشدة الفتن والمصائب والمعائب اللاحقة به. **(وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ)** أي لا يتمنى الموت من أجل أنه ضيق عليه في دينه، وإنما هم الدنيا وضيقتها والله المستعان، إلى ما يصل إليه الناس في آخر الزمان.

(إِلَّا الْبَلَاءُ): الفتن التي نزلت به، ما يتمنى الموت من أجل أن يسلم دينه، إنما يتمنى الموت؛ لعدم صبره؛ لكثرة القتل والقتال.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧١١٥).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٥ - (٢٩٠٨) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ، عَنْ يَزِيدَ، وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ».

٥٦ - (٢٩٠٨) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمرَ بْنِ أَبَانَ، وَوَأَصِلُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ»، فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «الْهَرَجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبَانَ قَالَ: هُوَ يَزِيدُ بْنُ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ، لَمْ يَذْكُرِ الْأَسْلَمِيَّ.

(وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ) لكثرة التجاوز، وقلة الدين، وضعف العلم والعمل، وكثرة القتل والقتال، حتى أن الناس يقع منهم استجراء هذا القتل، نسأل الله السلامة والعافية.

وهذا حاصل الآن، ربما يقتل أحدهم لا يدري فِيمَ قتل، والقاتل عند المحاققة لا يدري على أَيِّ شَيْءٍ قتل.

(الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ) إن كانوا من المسلمين فهم يستحقون النار، وإن كانوا من الكافرين سيكون دخولهم النار دخول خلود، نسأل الله السلامة والعافية.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٧ - (٢٩٠٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يُحْرَبُ الْكَعْبَةُ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ»^(١).

٥٩ - (٢٩٠٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، يَعْنِي الدَّرَاوَرْدِيَّ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي الْعَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ يُحْرَبُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ».

هذا في آخر الزمان، ويطاف بالكعبة، ويحج ويعتمر بعد هذا التخريب، وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ، يخربها ويأخذها حجرا حجرا، ويلقيها في بحر جدة؛ لشدة غيظه على الإسلام وأهله.

ذكر بعض أهل العلم في الحكمة التي من أجلها دفع الله ﷻ أبرهة الأشرم عن الكعبة ولم يدفع عنها ذا السويقتين فقليل: دفع أبرهة الأشرم؛ لما علم من حصول بعث نبي يقيم الله به الملة، وتعظم هذه الكعبة، وكانت معظمة عند أهلها حتى الكفار كانوا يعظمون شأنها، وأما في آخر الزمان ويسلط عليها ذو السويقتين؛ لأن الناس تركوا تعظيمها، واستباحوا حرمتها، وجأهروا بالبلایا فيها، نسأل الله السلامة والعافية.

وفي البخاري (١٥٩٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: (كأنني به أسود أفجع يقلعها حجراً حجراً).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٥٩١).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٠ - (٢٩١٠) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانٍ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ»^(١).

هو الجَهْجَهَاء كما يأتي في الحديث الثاني.

قال الحافظ في "فتح الباري" (٦/ ٥٤٦): قوله يسوق الناس بعصاه هو كناية عن الملك شبهه بالراعي وشبه الناس بالغنم ونكتة التشبيه التصرف الذي يملكه الراعي في الغنم وهذا الحديث يدخل في علامات النبوة من جملة ما أخبر به ﷺ قبل وقوعه ولم يقع بعد وقد روى نعيم بن حماد في الفتن من طريق أرطاة بن المنذر أحد التابعين من أهل الشام أن القحطاني يخرج بعد المهدي ويسير على سيرة المهدي وأخرج أيضا من طريق عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدي عن أبيه عن جده مرفوعا يكون بعد المهدي القحطاني والذي بعثني بالحق ما هو دونه وهذا الثاني مع كونه مرفوعا ضعيف الإسناد والأول مع كونه موقوفا أصح إسنادا منه فإن ثبت ذلك فهو في زمن عيسى بن مريم لما تقدم أن عيسى عليه السلام إذا نزل يجد المهدي إمام المسلمين وفي رواية أرطاة بن المنذر أن القحطاني يعيش في الملك عشرين سنة واستشكل ذلك كيف يكون في زمن عيسى يسوق الناس بعصاه والأمر إنما هو لعيسى ويجب أن يجاوز أن يقيمه عيسى نائبا عنه في أمور مهمة عامة. اهـ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥١٧).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٦١ - (٢٩١١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْكَبِيرِ بْنُ عَبْدِ الْمَحِيدِ أَبُو بَكْرٍ الْحَنْفِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْوَلِيدِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَذْهَبُ الْآيَاتُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: **الْبَهْجَاءُ**».

قَالَ مُسْلِمٌ: هُمْ أَرْبَعَةُ إِخْوَةٍ: شَرِيكٌ، وَعُبَيْدُ اللهِ، وَعُمَيْرٌ، وَعَبْدُ الْكَبِيرِ، بَنُو عَبْدِ الْمَحِيدِ

والإشكال: أن كثيرا من الناس كلما حصلت فتنة أو أمر أنزلوا هذا القحطاني بفلان وفلان من الناس، وينبغي أن لا يفعلوا ذلك، وإنما نؤمن بالأحاديث على وجهها، وإذا قد جاء الشأن هو سيُعرف، أما أن ننزله على فلان ثم بعد ذلك يظهر أنه ليس هو، ثم يأتي مرة أخرى وينزل على فلان، نزلوا على صدام حسين، نزلوا على علي عبد الله صالح، نزلوا ربما على بعض الحكام العرب، إلى غير ذلك، ثم بعد ذلك يلتبس عليهم الأمر، ويصبح الكلام في الأحاديث بالظن.

ومعنى **(يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ)** أي: أنهم ينقادون لحكمه، ويتسلط عليهم، بحيث أنه يحكم فيهم ولا يتجاوزونه.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٦٢ - (٢٩١٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي عُمَرَ، قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٩٢٨).

٦٣ - (٢٩١٢) وَحَدَّثَنِي حَزْمَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلَكُمْ أُمَّةٌ يَتَتَعِلُونَ الشَّعْرَ، وَجُوهُهُمْ مِثْلُ الْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ».

٦٤ - (٢٩١٢) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يُبْلَغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا صِغَارُ الْأَعْيُنِ، ذُلْفَ الْأَنْفِ».

٦٥ - (٢٩١٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ، قَوْمًا وَجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ، يَلْبَسُونَ الشَّعْرَ، وَيَمْشُونَ فِي الشَّعْرِ».

٦٦ - (٢٩١٢) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، وَأَبُو أُسَامَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُقَاتِلُونَ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ، كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، حُمْرُ الْوُجُوهِ صِغَارُ الْأَعْيُنِ».

(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا) وهم الترك، هذا قد وقع في أول الزمان، وسيقع

في آخر الزمان.

ومعنى (وَجُوهُهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ) أي أن أنوفهم ملتصقة بوجوههم، بخلاف

العرب التي تكون قائمة، وهكذا عيونهم يعني يأتي فيها من الأوصاف بعض شيء.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَمَّا (الْمَجَانُّ) فَبِفَتْحِ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِ التَّوْنِ جَمْعُ مِجَنٍّ بِكَسْرِ الْمِيمِ، وَهُوَ التُّرْسُ.

وَأَمَّا (الْمُطْرَقَةُ) فَيَاسْكَنِ الطَّاءِ وَتَخْفِيفِ الرَّاءِ، هَذَا هُوَ الْفَصِيحُ الْمَشْهُورُ فِي الرِّوَايَةِ، وَفِي كُتُبِ اللُّغَةِ وَالْغَرِيبِ، وَحِكْيِ فَتْحِ الطَّاءِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ، وَالْمَعْرُوفُ الْأَوَّلُ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: هِيَ الَّتِي أَلْبَسَتِ الْعَقَبُ، وَأَطْرَقَتْ بِهِ طَاقَةٌ فَوْقَ طَاقَةٍ.

قَالُوا: وَمَعْنَاهُ تَشْبِيهُهُ وَجْهَ التُّرْكِ فِي عَرْضِهَا وَتَنَوُّرِ وَجَنَاتِهَا بِالتَّرْسَةِ الْمُطْرَقَةِ.

(ذُلْفُ الْأَنْفِ) هُوَ بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ وَالْمُهْمَلَةِ، لُغَتَانِ... غَلَطَ فِي أَرْبَعَةِ الْأَنْفِ، وَقِيلَ تَطَاوُنٌ فِيهَا، وَكُلُّهُ مُتَقَارِبٌ.

(نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ) يَعْنِي أَنَّهُمْ يَصْنَعُونَ نِعَالَهُمْ مِنْ جُلُودِ الْحَيَوَانِ. اهـ

(حُمُرُ الْوُجُوهِ صِغَارُ الْأَعْيُنِ) وَهَذِهِ صِفَةُ أَصْحَابِ شَرْقِ آسِيَا وَمِنْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَصْحَابِ تَرْكِيَا وَمِنْ إِلَيْهَا.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذِهِ كُلُّهَا مُعْجَزَاتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ وُجِدَ قِتَالُ هَؤُلَاءِ التُّرْكِ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِمُ الَّتِي ذَكَرَهَا ﷺ: صِغَارُ الْأَعْيُنِ، حُمُرُ الْوُجُوهِ، ذُلْفُ الْأَنْفِ، عِرَاضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وَجُوهُهُمْ الْمَجَانُ الْمُطْرَقَةُ، يَتَنَعَّلُونَ الشَّعْرَ فَوُجِدُوا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ كُلِّهَا فِي زَمَانِنَا، وَقَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مَرَّاتٍ، وَقَاتَلَهُمُ الْآنَ، وَنَسَّأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ إِحْسَانَ الْعَاقِبَةِ لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَمْرِهِمْ وَأَمْرِ غَيْرِهِمْ، وَسَائِرِ أَحْوَالِهِمْ، وَإِدَامَةِ اللَّطْفِ بِهِمْ وَالْحِمَايَةِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٧ - (٢٩١٣) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ وَاللَّفْظُ لِرُزْهَيْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: يَوْشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجَبِيَ إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ، يَمْنَعُونَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: يَوْشِكُ أَهْلُ الشَّامِ أَنْ لَا يُجَبِيَ إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدِّيٌّ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيْئَةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْيِي الْمَالَ حَتَّى لَا يَبْعُدَهُ عَدَدًا».

قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي نَضْرَةَ، وَأَبِي الْعَلَاءِ: أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ فَقَالَا: لَا.
٦٧ - (٢٩١٣) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، يَعْنِي
الْجُرَيْرِيَّ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

٦٨ - (٢٩١٤) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا بِشْرٌ، يَعْنِي ابْنَ الْمُفَضَّلِ (ح)
وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، يَعْنِي ابْنَ عَلِيَّةَ، كِلَاهُمَا عَنْ سَعِيدِ
بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ خُلَفَائِكُمْ
خَلِيفَةٌ يَحْتُو الْمَالَ حَتَّى لَا يَعُدَّهُ عَدَدًا».

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ حُجْرٍ: «يَحْتِي الْمَالَ».
٦٩ - (٢٩١٣) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا
أَبِي، حَدَّثَنَا دَاوُدُ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَا: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ وَلَا يَعُدُّهُ».

٦٩ - (٢٩١٣) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي
هِنْدٍ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

(يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ....) وهذا قد وقع حين دخل التتر وقضوا على خلافة بني
العباس.

(يُوشِكُ أَهْلُ الشَّامِ....) وهذا قد حصل مع الغزو الصليبي للمنطقة.

(يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ) على منهاج النبوة.

(يَحْتِي الْمَالَ حَتَّى) أي يعطي الناس بدون عد.

وهذا دليل أنه بعد الشدة يفتح الله على المسلمين فتحا عظيما، حتى تكثر الأموال
والغنائم، حتى لا يحتاج الناس إليه بكثرة، والخليفة لا يبالي به؛ لأن عد المال إنما يأتي
من قبل القلة، وأما إذا كثرت الأموال بحيث تطغى في زيادتها لا تحتاج إلى عد يحثوه
حتيا، ويناول مناولة.

لكثرته وكرمه.

وهذا دليل على أنه من أهل الطاعة وأهل القربة، ولذلك سمي بالخليفة، واتصف بالكرم العظيم.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٧٠ - (٢٩١٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَمَارٍ حِينَ جَعَلَ يَخْفِرُ الْخَنْدَقَ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ: «بُؤْسَ ابْنِ سُمَيَّةَ، تَقْتُلُكَ فِتْنَةٌ بَاغِيَّةٌ»^(١).

٧١ - (٢٩١٥) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاذٍ بْنُ عَبَّادٍ الْعَنْبَرِيُّ، وَهَرِيمُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَا: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَمَحْمُودُ بْنُ عَيْلَانَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالُوا: أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ النَّضْرِ: أَخْبَرَنِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو قَتَادَةَ، وَفِي حَدِيثِ خَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: أَرَاهُ يَعْنِي أَبَا قَتَادَةَ، وَفِي حَدِيثِ خَالِدٍ وَيَقُولُ: «وَيْسَ»، أَوْ يَقُولُ: «يَا وَيْسَ ابْنَ سُمَيَّةَ».

قُتِلَ فِي الْحَرْبِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ عَلِيٍّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وَبَيْنَ مُعَاوِيَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وَقَدْ تَأَوَّلَ مُعَاوِيَةُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** تَأَوَّلًا لَا يَقْبَلُ مِنْهُ، قَالَ: إِنَّمَا قَتَلَهُ الَّذِي جَاءَ بِهِ إِلَيْنَا وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ قَتَلَهُ طَائِفَةٌ مُعَاوِيَةَ، وَكَانَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ، وَعَلِيٌّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** الْفِتْنَةُ الْمَصِيبَةُ، وَمَعَ ذَلِكَ مَذْهَبُنَا: تَرَكَ الْخَوْضَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمُ، وَالتَّرَضَى عَنْهُمْ، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٤٧).

لَنَا وَإِلَّاخَوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿سورة الحشر: ١٠﴾.

وابن سمية المراد به عمار بن ياسر، حيث قُتل في صفين، وكان آخر ما تناوله ما بشره به النبي ﷺ أنه يشرب مضغعة لبن.
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢ - (٢٩١٦) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَبَلَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعَمِّيُّ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ قَالَ عُقْبَةُ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْبَرَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ خَالِدًا يُحَدِّثُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، عَنْ أُمِّهِ ^(١)، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعِمَّارٍ: «تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ».

٧٢ - (٢٩١٦) وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا خَالِدُ الْحَدَّاءُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، وَالْحَسَنِ، عَنْ أُمِّهِمَا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

٧٣ - (٢٩١٦) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ».

٧٤ - (٢٩١٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُهْلِكُ أُمَّتِي هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ»، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَرَلَوْهُمْ» ^(٢).

٧٤ - (٢٩١٧) وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ النَّوْفَلِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ فِي مَعْنَاهُ.

(١) خَيْرَةٌ.

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦٠٤).

وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ، وما يقع في آخر الزمان من الاقتتال، سواء في آخر زمن الصحابة، أو في آخر الأمة، نسأل الله السلامة والعافية.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥ - (٢٩١٨) حَدَّثَنَا عُمَرُو النَّاقِدُ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي عُمَرَ، قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ مَاتَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

٧٥ - (٢٩١٨) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ (ح) وَحَدَّثَنِي ابْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِإِسْنَادِ سُفْيَانَ وَمَعْنَى حَدِيثِهِ.

٧٦ - (٢٩١٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلَكَ كِسْرَى، ثُمَّ لَا يَكُونُ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَقَيْصَرٌ لِيَهْلِكَ، ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ، وَلَتَنْقَسَمَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

٧٧ - (٢٩١٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ»، فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ سَوَاءً.

وهذا دليل على أنه لن تقوم للفرس دولة قائمة، بحيث تستأصل أهل الإسلام وتقوم عليهم، وإن كنا رأينا أنه وقع منهم شيء من التسلط، لا سيما بعد تولي الرافضة على

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٠٢٧).

تلك البلاد، نسأل الله أن يرحم المسلمين، وقد وقع ما بشر به رسول الله ﷺ من فتح فارس والروم وقسمة كنوزها في سبيل الله عز وجل غنائم للمجاهدين.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٧٨ - (٢٩١٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَتَفْتَحَنَّ عِصَابَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَنْزَ آلِ كِسْرَى الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ»، قَالَ قُتَيْبَةُ: مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَشْكُ.

٧٨ - (٢٩١٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ.

(الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ) الحيرة، كانت تسمى القصر الأبيض، وقد فتحت هذه الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ووُزعت الأموال في سبيل الله سبحانه وتعالى بين المسلمين غنيمة، وما زال الإسلام ظاهراً عزيزاً في تلك البلاد حتى تولى فيها الروافض، وإلا فقد قال النبي ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الجمعة: ٣]: «هم قوم هذا» وأشار إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٧٨ - (٢٩٢٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ ثَوْرٍ، وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ الدَّيْلِيُّ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةِ جَانِبِ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبِ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ»؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزَوْهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاؤُوهَا نَزَلُوا فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدٌ

جَانِبَيْهَا»، قَالَ ثَوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: «الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّلَاثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَفْرَجَ لَهُمْ فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ».

٧٨ - (٢٩٢٠) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ عُمَرَ الزَّهْرَانِيُّ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ زَيْدٍ الدَّيْلِيُّ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ بِمِثْلِهِ.

(سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةِ جَانِبٍ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٍ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ) القسطنطينية.

(مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ) قَالَ النُّوَيْ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَعْرُوفُ الْمَحْفُوظُ مِنْ (بَنِي إِسْمَاعِيلَ)، وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ وَسِيَّاقُهُ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ الْعَرَبَ، وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ هِيَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ.

(قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا) كَأَنَّهُمْ يَتَهَيَّيُونَ مِنْ كَثَرَةِ مَنْ جَاءَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَفْتَحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ بِالذِّكْرِ.

وهذا دليل على أن هذا في آخر الزمان، ودليل على أن القسطنطينية ستخرج من حكم الإسلام، والروم الذين هم الأوروبيون حريصون على قسطنطينية. وفيه أن بعض الفتن أشد من بعض، وربما أنستك الأموال والأهل، فانظر حين يسمعون بخروج الدجال لا يفرحون بالغنائم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٩ - (٢٩٢١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَتَقَاتِلَنَّ الْيَهُودَ فَلَتَقْتُلَنَّهُمْ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٩٢٥).

٧٩ - (٢٩٢١) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بِهِذَا الْإِسْنَادِ وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي».

٨٠ - (٢٩٢١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ حَمْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ سَالِمًا يَقُولُ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَقْتُلُونَ أَنْتُمْ وَيَهُودُ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ».

٨١ - (٢٩٢١) حَدَّثَنَا حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ فَتُسَلِّطُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ».

٨٢ - (٢٩٢٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولَ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»^(١).

الذي يبدأ بهذه الحرب هم اليهود، (تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ فَتُسَلِّطُونَ عَلَيْهِمْ) وهذا دليل على شدة بغيتهم وظلمهم، وبعد ذلك يدمم الله عليهم، حتى أن الشجر والحجر ينادي عليهم بالقتل، وذلك لعظيم ظلمهم الذي قد حصل منهم.

(إِلَّا الْغَرْقَدَ) نَوْعٌ مِنْ شَجَرِ السَّوْكِ مَعْرُوفٌ بِبِلَادِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَهُنَاكَ يَكُونُ قَتْلُ الدَّجَالِ وَالْيَهُودِ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينَوْرِيُّ: إِذَا عَظُمَتِ الْعُوسَجَةُ صَارَتْ غَرْقَدَةً. وكأنهم يتعنون زراعتها.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٩٢٦).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٣ - (٢٩٢٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، كِلَاهُمَا عَنْ سِمَاكِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَابِينَ»، وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي الْأَحْوَصِ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ.

٨٣ - (٢٩٢٣) وَحَدَّثَنِي ابْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ. قَالَ سِمَاكِ: وَسَمِعْتُ أَخِي يَقُولُ: قَالَ جَابِرٌ: «فَاخْذَرُوهُمْ».

٨٤ - (١٥٧) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَهُوَ ابْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ»^(١).

٨٤ - (١٥٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنْبِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «يُنْبَعَثُ».

«إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَابِينَ» كُثُرٌ، أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ، وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثِينَ هُمْ رُؤُوسُ الْكُذْبِ، وَإِلَّا فَالْكَذَّابُونَ كَثُرُوا، يَدْعُونَ الْمَهْدُويَّةَ، وَيَدْعُونَ الرِّسَالَةَ، وَيَدْعُونَ الْفُضِيلَةَ وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ وَالرَّذِيلَةِ، وَيَجِدُونَ مَنْ يَتَابِعُهُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ دَجَالٌ صَنْعَاءُ نَاصِرُ الْيَمَانِيِّ، لَوْ يَنْظُرُ إِلَى قَنَوَاتِهِ فِي الْيُوتُوبِ وَفِي الْفَيْسُوبِ وَفِي غَيْرِهَا يَتَابِعُهُ الْآلَافُ وَالْأَلْفُ يَضَعُ لَهُ خَمْسَةَ نَجُومٍ، بَيْنَمَا رُبَّمَا الْعَالَمُ لَا يَتَابِعُهُ إِلَّا النُّزْرُ الْقَلِيلُ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦٠٩).

فالدجالون يصدقون ممن هو قليل العلم، قليل الفهم، سيء الحال، سيء الفعال، إذا كانوا يصدقون الشياطين والسحرة مع كثرة كذبهم فكذلك الدجال، وهو من هذه الأصناف الرديّة.

وهذا من علامات الساعة، كثرة الكذابين بين يدي الساعة، حتى أن النبي ﷺ قال: «إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَاعَةٍ، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْضَةُ»^(١).
(فَاَحْذَرُوهُمْ) أي كونوا على نباهة منهم؛ حتى لا تصابون بفتنتهم، وتعرضون لضررهم.

قد تقدم الكلام عليه في كتاب الإيمان بما يغني عن الإعادة.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ ذِكْرِ ابْنِ صَيَّادٍ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٥ - (٢٩٢٤) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَاللَّفْظُ لِعُثْمَانَ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَرَرْنَا بِصَبْيَانٍ فِيهِمَا ابْنُ صَيَّادٍ، فَفَرَّ الصَّبْيَانُ وَجَلَسَ ابْنُ صَيَّادٍ، فَكَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَرِهَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «تَرَبَّتْ يَدَاكَ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» فَقَالَ: لَا، بَلْ تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ذَرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ يَكُنِ الَّذِي تَرَى فَلَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ».

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٨٤٥٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٨٦ - (٢٩٢٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِسْرَاهِيمَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ، قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا نَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَرَّ بِابْنِ صَيَّادٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبَاءً» فَقَالَ: دُخٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِخْسَاءٌ، فَلَنْ تَعْدَوْ قَدْرَكَ».

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُهُ، فَإِنْ يَكُنِ الَّذِي تَخَافُ لَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ».

(عبد الله) بن مسعود.

هذا من عجيب شأن الدجاجة، حتى وهو صغير السن، لا يرجى خيره، يقول له النبي ﷺ: (أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَقَالَ: لَا، بَلْ تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟)، ويُعرف الإنسان بقرينة الحال، فلا بد من العمل بالقرائن والتفطن لها، فالبقية فروا من رسول الله ﷺ، إما لعلمهم بفضيلته، أو لتهيئهم منه، وهذا الخبيث أجلسه الشيطان؛ لِيُسمع النبي ﷺ ما يكره.

(فَقَالَ: دُخٌّ) تكلم بكلام الشياطين في تقطيع الكلمات.

(إِخْسَاءٌ، فَلَنْ تَعْدَوْ قَدْرَكَ) ما أنت إلا دجال، وإن دعيت غير ذلك ما أنت إلا دجال.

وهذه الخرجة خرج النبي ﷺ؛ لاختباره كما سيأتي.

وفي هذا دليل أن صاحب الباطل لا يتجاوز الباطل وإن هُمِّلَجَ له، أو رُفِعَ فوق منزلته، فلن يعدو قدره ومنزلته الخسيسية التي وضع فيها، وإنما يرفع الإنسان بقدر تمسكه بالسنة.

وفيه غيرة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على دين الله، وعلى رسول الله ﷺ.

وفيه أن القدر لا بد أن يمضي، لا يستطيع الإنسان وإن حرص على تغيير القدر أن يغيره.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٧ - (٢٩٢٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا سَالِمُ بْنُ نُوحٍ، عَنِ الْجَرِيرِيِّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: لَقِيَهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» فَقَالَ هُوَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ، مَا تَرَى؟» قَالَ: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَرَى عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ، وَمَا تَرَى؟» قَالَ: أَرَى صَادِقِينَ وَكَاذِبًا، أَوْ كَاذِبِينَ وَصَادِقًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ عَلَيْهِ دَعْوَةٌ».

٨٨ - (٢٩٢٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَا: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَضْرَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَقِيَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ ابْنُ صَائِدٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَابْنُ صَائِدٍ مَعَ الْعِلْمَانِ، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ الْجَرِيرِيِّ.

(أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ) لأن المجازاة لأهل الباطل ما ينفع، حتى وإن أردت تأديبه، أردت ضربه أردت إهانته إنما تستجريه إلى زيادة الجراحة.

(ما ترى قال: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ) (تَرَى عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ) وقد تقدم الحديث: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَرْسُلُ سَرَايَاهُ».

(لَيْسَ عَلَيْهِ دَعْوَةٌ) يعني لبس عليه شأن الجن الذين يراهم، حتى أنه التبس عليه الصادق بالكاذب، وبسبب هذه الأقوال التي صدرت منه سيأتي أن عمر بن الخطاب كان يقسم أنه الدجال، وهكذا جابر بن عبد الله كان يرى أنه الدجال.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٩ - (٢٩٢٧) حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا دَاوُدُ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: صَحِبْتُ ابْنَ صَائِدٍ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ لِي: أَمَا قَدْ لَقِيتُ مِنَ النَّاسِ يَزْعُمُونَ أَنِّي الدَّجَالُ؟ ^(١) أَلَسْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُوَلَّدُ لَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ بَلَى. قَالَ: فَقَدْ وُلِدَ لِي. أَوَلَيْسَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: فَقَدْ وُلِدْتُ بِالْمَدِينَةِ، وَهَذَا أَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي فِي آخِرِ قَوْلِهِ: أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَا عِلْمَ مَوْلِدِهِ وَمَكَانَهُ وَأَيْنَ هُوَ. قَالَ: فَلَبَسَنِي ^(٢).

٩٠ - (٢٩٢٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَا: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ صَائِدٍ، وَأَخَذَنِي مِنْهُ ذِمَامَةٌ: هَذَا عَذَرْتُ النَّاسَ، مَا لِي وَلَكُمْ يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، أَلَمْ يَقُلْ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهُ يَهُودِيٌّ؟ وَقَدْ أَسْلَمْتُ، قَالَ: وَلَا يُوَلَّدُ لَهُ وَقَدْ وُلِدَ لِي، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِ مَكَّةَ، وَقَدْ حَجَجْتُ، قَالَ: فَمَا زَالَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَأْخُذَ فِي قَوْلِهِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ: أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَا عِلْمَ الْآنَ حَيْثُ هُوَ، وَأَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: وَقِيلَ لَهُ: أَيْسُرُكَ أَنَّكَ ذَاكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: فَقَالَ: لَوْ عُرِضَ عَلَيَّ مَا كَرِهْتُ.

٩١ - (٢٩٢٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا سَالِمُ بْنُ نُوحٍ، أَخْبَرَنِي الْجَرِيرِيُّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا حُجَّاجًا أَوْ عُمَرَاءَ، وَمَعَنَا ابْنُ صَائِدٍ، قَالَ: فَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَبَقِيَ أَنَا وَهُوَ، فَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ وَخَشَةً شَدِيدَةً مِمَّا يُقَالُ عَلَيْهِ، قَالَ: وَجَاءَ بِمَتَاعِهِ فَوَضَعَهُ مَعَ مَتَاعِي، فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ، فَلَوْ وَضَعْتُهُ تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَفَعَلَ، قَالَ: فَرَفَعْتُ لَنَا غَنَمًا، فَانْطَلَقَ فَجَاءَ

(١) يعني يتألم.

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٨٨٢).

بِعُسٍّ فَقَالَ: اشْرَبْ أَبَا سَعِيدٍ، فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَرَ شَدِيدٌ وَاللَّبَنُ حَارٌّ، مَا بِي إِلَّا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشْرَبَ عَنْ يَدِهِ، أَوْ قَالَ: أَخَذَ عَنْ يَدِهِ، فَقَالَ: أَبَا سَعِيدٍ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَخَذَ حَبْلًا فَأَعْلَقَهُ بِشَجَرَةٍ، ثُمَّ أَخْتَنِقَ مِمَّا يَقُولُ لِي النَّاسُ يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مَعَشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَسْتَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هُوَ كَافِرٌ، وَأَنَا مُسْلِمٌ، أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هُوَ عَقِيمٌ لَا يُولَدُ لَهُ، وَقَدْ تَرَكْتُ وَلَدِي بِالْمَدِينَةِ، أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ، وَقَدْ أَقْبَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: حَتَّى كَذْتُ أَنْ أَعْذِرَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ، وَأَعْرِفُ مَوْلَدَهُ، وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: تَبَّ لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ.

(صَحِبْتُ ابْنَ صَائِدٍ إِلَى مَكَّةَ) صحبه إلى مكة وسيأتي ما حصل معه، فبعض السيئين قد يظهر الخير، لكن يأبى الله عز وجل إلا أن يفضحه، ما أسر رجل سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، ذكر هذا الأثر ابن كثير عند قول الله عز وجل: ﴿أَمْرٌ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَانَهُمْ﴾ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَاعْرِفْتُهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ [سورة محمد: ٢٩-٣٠].

(لَوْ عُرِضَ عَلَيَّ مَا كَرِهْتُ) دجال، يحب الدجل والباطل.

(فَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ وَحَشَةً شَدِيدَةً مِمَّا يُقَالُ عَلَيْهِ) يتخوف الإنسان مما يسمع لو قالوا

لك: هذا بجانبك جاسوس، تبقى محتاطا منه، فكيف إذا قيل: هذا دجال؟

(بِعُسٍّ): القدح الكبير من اللبن.

(فَقَالَ: اشْرَبْ أَبَا سَعِيدٍ. فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَرَ شَدِيدٌ وَاللَّبَنُ حَارٌّ) يريد يتخلص منه.

(لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَخَذَ حَبْلًا فَأَعْلَقَهُ بِشَجَرَةٍ، ثُمَّ أَخْتَنِقَ مِمَّا يَقُولُ لِي النَّاسُ) وهنا تأتي

الركة، قام يتشكى، وهذا حال أهل البدع، يتشكون، يقولون: أهل السنة يتكلمون فينا،

ويحذرون منا، وعقيدتنا واحدة، وكتبنا واحدة، وشيخنا واحد، حتى يلبسون على العامي الذي لا يعقل.

(يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ) لأنه يعلم كثرة حديث أبي سعيد.

(وَقَدْ تَرَكْتُ وَلَدِي بِالْمَدِينَةِ) وولده رجل صالح، ليس بدجال، اسمه عبد الله بن الصائد.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٢ - (٢٩٢٨) حَدَّثَنَا نَضْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا بِشْرٌ، يَعْنِي ابْنَ مُفَضَّلٍ، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِابْنِ صَائِدٍ: «مَا تُرَبُّهُ الْجَنَّةُ؟» قَالَ: دَرَمَكَةُ بَيْضَاءُ، مِسْكٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: «صَدَقْتَ».

٩٣ - (٢٩٢٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الْجَرِيرِيِّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: أَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ فَقَالَ: دَرَمَكَةُ بَيْضَاءُ مِسْكٌ خَالِصٌ.

دليل على أنه يأتيه بعض علم.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ فِي تُرْبَةِ الْجَنَّةِ: (هِيَ دَرَمَكَةُ بَيْضَاءُ مِسْكٌ خَالِصٌ) قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ أَنَّهَا فِي الْبَيَاضِ دَرَمَكَةُ، وَفِي الطَّيِّبِ مِسْكٌ، وَالْدَرَمُ هُوَ الدَّقِيقُ الْحَوَارِيُّ الْخَالِصُ الْبَيَاضُ، وَذَكَرَ مُسْلِمٌ الرَّوَاتَيْنِ فِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ ابْنَ صَيَّادٍ عَنْ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ، أَوْ ابْنَ صَيَّادٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ. قَالَ الْقَاضِي: قَالَ بَعْضُ أَهْلِ النَّظَرِ: الرَّوَايَةُ الثَّانِيَةُ أَظْهَرُ.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٩٤ - (٢٩٢٩) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُكَدِّرِ قَالَ: رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّ ابْنَ صَائِدِ الدَّجَالِ، فَقُلْتُ: أَتَحْلِفُ بِاللَّهِ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُكْرِهْهُ النَّبِيُّ ﷺ ^(١).

٩٥ - (٢٩٣١) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَرْمَلَةَ بْنِ عِمْرَانَ التَّجِيبِيُّ، أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ ^(٢)، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ^(٣)، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ انْطَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ قَبْلَ ابْنِ صَيَّادٍ، حَتَّى وَجَدَهُ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبْيَانِ عِنْدَ أُطَمٍ بَنِي مَعَالَةَ، وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ يَوْمَئِذٍ الْحُلُمَ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَابْنِ صَيَّادٍ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَرَفَضَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ».

ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَاذَا تَرَى؟» قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُلِّطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ»، ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا»، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اِخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ»، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ذَرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٣٥٥).

(٢) أربعتهم مصريون.

(٣) شامي.

٩٥ - (٢٩٣١) وَقَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: انْطَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبِي بْنُ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى النَّخْلِ الَّتِي فِيهَا ابْنُ صَيَّادٍ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّخْلَ، طَفِقَ يَتَّقِي بِجُدُوعِ النَّخْلِ، وَهُوَ يَخْتَلُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ ابْنُ صَيَّادٍ، فَرَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشٍ فِي قُطَيْفَةٍ، لَهُ فِيهَا زَمْزَمَةٌ، فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَتَّقِي بِجُدُوعِ النَّخْلِ، فَقَالَتْ لِابْنِ صَيَّادٍ: يَا صَافٍ وَهُوَ اسْمُ ابْنِ صَيَّادٍ هَذَا مُحَمَّدٌ، فَتَارَ ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ تَرَكَتُهُ بَيْنَ».

قَالَ سَالِمٌ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمْوهُ، مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمُهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعَلَّمُوا أَنَّهُ أَغَوْرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَغَوْرٍ»^(١).

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ وَأَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَّهُ أَخْبَرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ حَذَرِ النَّاسِ الدَّجَالَ: «إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرُؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ، أَوْ يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ» وَقَالَ: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ».

(أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ انْطَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ) مرافقة العالم، وولي الأمر في خروجه ودخوله.

(أُطِمَ بَنِي مَعَالَةَ) حصن وقصر.

(فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ) أثناه على غرة.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٣٥٤).

(أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ) يعني رسول العرب، وهذا كقول بعض النصارى وبعض اليهود، يؤمنون أن محمداً رسولاً، لكن إلى العرب، وهذا الإيمان منهم لا يدخلهم في الإسلام؛ لأن الرسول ﷺ بُعث إلى الخلق كافة.

(إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا) حتى يختبره هل كلامه كلام الأبرار أم كلام الفجار؟ (وَهُوَ يَخْتَلُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئًا) يعني يرجو أن يسمع منه شيئاً يعرف به كذبه وتليسه، ولعل شأن ابن الصياد كان قد شاع في المدينة، لا سيما وهو أعور، وفيه بعض صفات الدجال الظاهرة.

قَوْلُهُ: (إِنَّهُ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا زَمْزَمَةٌ) الْقَطِيفَةُ كِسَاءٌ مُخْمَلٌ سَبَقَ بَيَانُهَا مَرَّاتٍ، وَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فِي مُعْظَمِ نُسَخِ مُسْلِمٍ (زَمْزَمَةٌ) بِزَاءَيْنِ مُعْجَمَتَيْنِ، وَفِي بَعْضِهَا بِرَاءَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ، وَوَقَعَ فِي الْبُخَارِيِّ بِالْوَجْهِينِ، وَنَقَلَ الْقَاضِي عَنْ جُمْهُورِ رِوَاةٍ مُسْلِمٍ أَنَّهُ بِالْمُعْجَمَتَيْنِ، وَأَنَّهُ فِي بَعْضِهَا (زَمْزَمَةٌ) بِرَاءٍ أَوَّلًا وَزَايٍ آخِرًا وَحَذَفِ الْمِيمِ الثَّانِيَةِ، وَهُوَ صَوْتُ خَفِيٍّ لَا يَكَادُ يُفْهَمُ، أَوْ لَا يُفْهَمُ. اهـ

كلام اليهود وصنيع اليهود في الرممة والزمزمة.

(يَا صَافٍ) ترخيم.

(لَوْ تَرَكَتَهُ بَيِّنٌ) لله الحكمة في عدم تركها له.

(إِنِّي لَأَنْذِرُكُمْوه) أي الدجال الأكبر.

(مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمُهُ) وهذا لعظيم فتنته.

(وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرٍ) فيه إثبات صفة العين لله عَزَّجَلَّ، على ما يليق بجلال

وجهه وعظيم سلطانه.

(تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدًا مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ) هذه الرواية ما أكثر ما

يحتاجها الطالب وربما لا يهتدي لموطنها! والحديث عند البزار من غير هذه الطريق.

وقوله: (تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ) رد على الصوفية، لا سيما الغلاة، منهم الذين يجوزون رؤية الله عَزَّجَلَّ في الدنيا، فالصحيح أن النبي ﷺ مع علو منزلة لم ير ربه رؤيا عين، وقد تقدم الكلام في كتاب الإيمان عن هذه المسألة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٦ - (٢٩٣٠) حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، حَتَّى وَجَدَ ابْنَ صَيَّادٍ غُلَامًا قَدْ نَاهَزَ الْحُلُمَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ عِنْدَ أُطَمِ بَنِي مُعَاوِيَةَ.

وَسَاقِ الْحَدِيثِ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ، إِلَى مُتَنَاهَى حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ ثَابِتٍ. وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ يَعْقُوبَ قَالَ: قَالَ أَبِي، يَعْنِي فِي قَوْلِهِ: «لَوْ تَرَكَتُهُ بَيْنَ»، قَالَ: «لَوْ تَرَكَتُهُ أُمُّهُ بَيْنَ أُمَرَأَ».

٩٧ - (٢٩٣٠) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَسَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِابْنِ صَيَّادٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ عِنْدَ أُطَمِ بَنِي مَغَالَةَ وَهُوَ غُلَامٌ، بِمَعْنَى حَدِيثِ يُونُسَ، وَصَالِحٍ، غَيْرَ أَنَّ عَبْدَ بْنَ حُمَيْدٍ لَمْ يَذْكُرْ حَدِيثَ ابْنِ عُمَرَ فِي انْطِلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ أَبِي بْنِ كَعْبٍ إِلَى النَّخْلِ.

(لَوْ تَرَكَتُهُ أُمُّهُ بَيْنَ أُمَرَأَ) يعني وظهر، هل هو الدجال الكبير الأعور أم هو دجال من

الدجاجلة؟

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٩٨ - (٢٩٣٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ قَالَ: لَقِيَ ابْنُ عُمَرَ، ابْنَ صَائِدٍ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ قَوْلًا أَغْضَبَهُ، فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلَأَ السَّكَّةَ، فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَغَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، مَا أَرَدْتَ مِنْ ابْنِ صَائِدٍ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضَبِي يَغْضِبُهَا؟».

٩٩ - (٢٩٣٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ، يَعْنِي ابْنَ حَسَنِ بْنِ يَسَارٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ نَافِعٌ يَقُولُ: ابْنُ صَيَّادٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَقِيتُهُ مَرَّتَيْنِ، قَالَ: فَلَقِيتُهُ فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ: هَلْ تَحَدَّثُونَ أَنَّهُ هُوَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، قَالَ قُلْتُ: كَذَبْتَنِي وَاللَّهِ، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بَعْضُكُمْ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَكُونَ أَكْثَرُكُمْ مَالًا وَوَلَدًا، فَكَذَلِكَ هُوَ زَعَمُوا الْيَوْمَ، قَالَ: فَتَحَدَّثْنَا ثُمَّ فَارَقْتُهُ، قَالَ: فَلَقِيتُهُ لَقِيَةً أُخْرَى وَقَدْ نَفَرْتُ عَيْنُهُ، قَالَ قُلْتُ: مَتَى فَعَلْتَ عَيْنُكَ مَا أَرَى؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، قَالَ قُلْتُ: لَا تَدْرِي وَهِيَ فِي رَأْسِكَ؟ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ خَلَقَهَا فِي عَصَاكَ هَذِهِ، قَالَ: فَتَخَرَّكَ كَأَشَدِّ نَخِيرِ حِمَارٍ سَمِعْتُ، قَالَ: فَزَعَمَ بَعْضُ أَصْحَابِي أَنِّي ضَرَبْتُهُ بِعَصَا كَانَتْ مَعِيَ حَتَّى تَكَسَّرَتْ، وَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ، قَالَ: وَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَحَدَّثَهَا فَقَالَتْ: مَا تُرِيدُ إِلَيْهِ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يَبْعَثُهُ عَلَى النَّاسِ غَضَبٌ يَغْضِبُهُ».

(فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلَأَ السَّكَّةَ) أي طريق.

(مَا أَرَدْتَ مِنْ ابْنِ صَائِدٍ؟) يعني ما شأنك وشأنه؟

سياقي في الرواية الأخرى أنه ضربه ولم يعلم أنه ضربه.

(وَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ) من شدة الغضب.

تكلم الحافظ ابن حجر **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى في (فتح الباري) بكلام كثير، لاسيما والخلاف في ابن صائد كثير، وقد نقلت في كتابي (تحذير العقال من فتنة المسيح

الدجال) شيئاً من كلام أهل العلم في ذلك بما ملخصه أنه ليس بالدجال الأكبر الذي يكون آخر الزمان.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَقَصَّتْهُ مُشْكِلَةٌ، وَأَمْرُهُ مُشْتَبِهٌ فِي أَنَّهُ هَلْ هُوَ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ الْمَشْهُورُ أَمْ غَيْرُهُ؟ وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ دَجَالٌ مِنَ الدَّجَاجِلَةِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَظَاهِرُ الْأَحَادِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ، وَلَا غَيْرُهُ، وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ بِصِفَاتِ الدَّجَالِ، وَكَانَ فِي ابْنِ صَيَّادٍ قَرَأْنٌ مُحْتَمِلَةٌ، فَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَقْطَعُ بِأَنَّهُ الدَّجَالُ وَلَا غَيْرُهُ، وَلِهَذَا قَالَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنْ يَكُنْ هُوَ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ».

وَأَمَّا احْتِجَاجُهُ هُوَ بِأَنَّهُ مُسْلِمٌ وَالدَّجَالُ كَافِرٌ، وَبِأَنَّهُ لَا يُولَدُ لِلدَّجَالِ وَقَدْ وُلِدَ لَهُ هُوَ، وَأَنَّ لَا يَدْخُلُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَأَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، وَهُوَ مُتَوَجِّهٌُ إِلَى مَكَّةَ، فَلَا دَلَالَةَ لَهُ فِيهِ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ صِفَاتِهِ وَقَتِ فِتْنَتِهِ وَخُرُوجِهِ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ اشْتِبَاهِ قِصَّتِهِ وَكَوْنِهِ أَحَدَ الدَّجَاجِلَةِ الْكَذَّابِينَ.

قَوْلُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: (أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟) وَدَعَاؤُهُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، وَأَنَّهُ يَرَى عَرْشًا فَوْقَ الْمَاءِ، وَأَنَّهُ لَا يَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الدَّجَالُ، وَأَنَّهُ يَعْرِفُ مَوْضِعَهُ، وَقَوْلُهُ: إِنِّي لَا أَعْرِفُهُ، وَأَعْرِفُ مَوْلَدَهُ، وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ وَانْتِفَاحُهُ حَتَّى مَلَأَ السُّكَّةَ، وَأَمَّا إِظْهَارُهُ الْإِسْلَامَ وَحُجَّتُهُ وَجِهَادُهُ وَإِقْلَاعُهُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ فَلَيْسَ بِصَرِيحٍ فِي أَنَّهُ غَيْرُ الدَّجَالِ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَاخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي أَمْرِهِ بَعْدَ كِبَرِهِ، فَرُويَ عَنْهُ أَنَّهُ تَابَ مِنْ ذَلِكَ الْقَوْلِ، وَمَاتَ بِالْمَدِينَةِ، وَأَنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ كَشَفُوا عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى رَأَاهُ النَّاسُ، وَقِيلَ لَهُمْ: اشْهَدُوا. قَالَ: وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ وَجَابِرٌ فِيمَا رُويَ عَنْهُمَا يَحْلِفَانِ أَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ هُوَ الدَّجَالُ لَا يَشْكَا فِيهِ، فَقِيلَ لِحَابِرٍ: إِنَّهُ أَسْلَمَ، فَقَالَ: وَإِنْ أَسْلَمَ، فَقِيلَ: إِنَّهُ دَخَلَ مَكَّةَ، وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: وَإِنْ دَخَلَ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: فَقَدْنَا ابْنَ صَيَّادٍ يَوْمَ الْحَرَّةِ، وَهَذَا يُعْطَلُ رِوَايَةً مَنْ رَوَى أَنَّهُ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ.

وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ: أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ حَلَفَ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ هُوَ الدَّجَالُ، وَأَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَشْكُ أَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ هُوَ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِهِ (الْبُعْثُ وَالتَّنْشُورُ): اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي أَمْرِ ابْنِ صَيَّادٍ اخْتِلَافًا كَثِيرًا هَلْ هُوَ الدَّجَالُ؟ وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ غَيْرُهُ احْتَجَّ بِحَدِيثِ تَمِيمِ الدَّارِيِّ فِي قِصَّةِ الْجَسَّاسَةِ الَّتِي ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ بَعْدَ هَذَا، قَالَ: وَيَجُوزُ أَنْ تُوَافِقَ صِفَةَ ابْنِ صَيَّادٍ صِفَةَ الدَّجَالِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ أَشْبَهَ النَّاسِ بِالدَّجَالِ عَبْدُ الْعُزَّى بْنُ قَطَنِ، وَلَيْسَ كَمَا قَالَ، وَكَانَ أَمْرُ ابْنِ صَيَّادٍ فِتْنَةً ابْتَلَى اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عِبَادَهُ، فَعَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا الْمُسْلِمِينَ وَوَقَاهُمْ شَرَّهَا.

قَالَ: وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ أَكْثَرُ مِنْ سُكُوتِ النَّبِيِّ ﷺ لِقَوْلِ عُمَرَ، فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ ﷺ كَانَ كَالْمُتَوَقِّفِ فِي أَمْرِهِ، ثُمَّ جَاءَهُ الْبَيَانُ أَنَّهُ غَيْرُهُ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي حَدِيثِ تَمِيمٍ. هَذَا كَلَامُ الْبَيْهَقِيِّ، وَقَدْ اخْتَارَ أَنَّهُ غَيْرُهُ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ صَحَّ عَنْ عُمَرَ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ وَجَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُ الدَّجَالُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ لَمْ يَقْتُلْهُ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ أَنَّهُ ادَّعَى بِحَضْرَتِهِ النَّبُوَّةَ؟ فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ ذَكَرَهُمَا الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ كَانَ غَيْرَ بَالِغٍ، وَاخْتَارَ الْفَاضِلُ عِيَاضُ هَذَا الْجَوَابَ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ كَانَ فِي أَيَّامِ مُهَادَنَةِ الْيَهُودِ وَحُلَفَائِهِمْ، وَجَزَمَ الْخَطَّابِيُّ فِي مَعَالِمِ السَّنَنِ بِهَذَا الْجَوَابِ الثَّانِي، قَالَ: لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ كَتَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْيَهُودِ كِتَابَ صَلَاحٍ عَلَى أَنْ لَا يُهَاجُوا، وَيُتْرَكُوا عَلَى أَمْرِهِمْ، وَكَانَ ابْنُ صَيَّادٍ مِنْهُمْ أَوْ دَخِيلًا فِيهِمْ. **قَالَ الْخَطَّابِيُّ:** وَأَمَّا امْتِحَانُ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا خَبَّأَهُ لَهُ مِنْ آيَةِ الدُّخَانِ فَلَاَنَّهُ كَانَ يَبْلُغُهُ مَا يَدَّعِيهِ مِنَ الْكُهَانَةِ، وَيَتَعَاطَاهُ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْغَيْبِ، فَاِمْتَحَنَهُ لِيَعْلَمَ حَقِيقَةَ حَالِهِ، وَيُظْهِرُ إِبْطَالَ حَالِهِ لِلصَّحَابَةِ، وَأَنَّهُ كَاهِنٌ سَاحِرٌ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيُلْقِي عَلَى لِسَانِهِ مَا يُلْقِيهِ الشَّيَاطِينُ إِلَى الْكُهَنَةِ، فَاِمْتَحَنَهُ بِإِضْمَارِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [سورة الدخان: ١٠] وَقَالَ: «خَبَّأْتُ لَكَ خَبِيئًا» فَقَالَ: هُوَ الدُّخَانُ. اهـ

المهم هذا الكلام منقول من شرح النووي مع شروح كثيرة نقلتها في ذلك الكتاب، وبيننا أنه ليس بالدجال الأكبر، بحمد الله.

انتهينا من أحاديث ابن صائد، أو ابن صياد، أو صاف، قل فيه ما شئت من الأسماء؛ لأن كل ذلك قد ثبت.

وأظن إظهار إسلامه بعد موت النبي ﷺ، أما في ذلك اليوم لم يسلم، أما أنه الدجال فدجال بلا شك، لكن ليس بالأكبر، يعني يتمنى يكون الدجال، نعوذ بالله. ومن ينكر أحاديث الدجال دجال، كائنا من كان.

لأن من معنى الدجل: الكذب، والتليس، والمكر، والتمويه، ولذلك كان شيخنا مقبل إذا جرح أحدا من أهل البدع الكبار قال: دجال من الدجاجلة، أي: ملبس ومن هذه الأشياء.

قال رحمه الله:

بَابُ ذِكْرِ الدَّجَالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٠٠ - (١٦٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ الدَّجَالَ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِئَةٌ»^(١).

١٠٠ - (١٦٩) حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ، وَأَبُو كَامِلٍ قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا حَاتِمٌ، يَعْنِي ابْنَ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، كِلَاهُمَا عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

(ذَكَرَ الدَّجَالَ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ) فِي خُطْبَةٍ أَوْ فِي مَجْلِسٍ يَحْذَرُهُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ.

(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ) هُوَ الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، السُّبُّوحُ، الْمُنْتَزَهُ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ

وَنَقْصٍ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى) وَالْيَسْرَى كَذَلِكَ.

(كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِئَةٌ) هَذِهِ الْيُمْنَى، وَالْيَسْرَى مَمْسُوحَةٌ، فَكَانَ عَيْبُهُ فِي جَمِيعِ عَيْنَيْهِ،

وَلَوْ كَانَ إِلَهًا كَمَا يَزْعُمُ؛ لِأَصْلَحِ نَفْسِهِ، لَكِنْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي صِفَةِ ذَمِيمَةٍ يَرْكَبُ

الْحِمَارَ، كَمَا قَالَ حَزِيفَةُ بْنُ أَسِيدٍ: رَجَسَ عَلَى رَجَسٍ، وَخَلَقْتُهُ فِيهَا مِنَ الْقَبْحِ مَا يُؤْدِي

إِلَى نَفَرَةِ الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ عَنْهُ، وَلَكِنَّهُ لَتَمُويْهِهِ وَدَجَلُهُ يَتَّبِعُهُ الْكَثِيرُ.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(١) وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، حَدِيثُ رَقْمٍ: (٣٤٣٩).

١٠١ - (٢٩٣٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، إِلَّا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: (ك ف ر)»^(١).

١٠٢ - (٢٩٣٣) حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الدَّجَالُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: (ك ف ر)» أَي: كَافِرٌ.

١٠٣ - (٢٩٣٣) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ الْحَبَّابِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدَّجَالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ»، ثُمَّ تَهَجَّاهَا: «(ك ف ر) يَقْرَأُ كُلُّ مُسْلِمٍ».

(أَنْذَرَ): حذر، فالنذارة بمعنى: تحذير، والبشارة بمعنى: التبشير بالخير.

(وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ) هذه من الصفات السلبية، والصفة السلبية لا بد أن تتضمن

كمال الضد، وضد العور السلامة من العيب، فالله هو السلام.

(يَقْرَأُ كُلُّ مُسْلِمٍ) أما الكافر لا يتفطن لها.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠٤ - (٢٩٣٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدَّجَالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، جُفَأَ الشَّعْرَ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧١٣١).

١٠٥ - (٢٩٣٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ: أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضٌ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأْجِجُ، فَإِذَا أَدْرَكَ أَحَدُ فَلَيَاتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُعْمَضُ ثُمَّ لِيُطَاطِئَ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَأُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»^(١).

١٠٦ - (٢٩٣٤) حَدَّثَنَا عُبيدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الدَّجَالِ: «إِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا فَنَارُهُ مَاءٌ بَارِدٌ وَمَاؤُهُ نَارٌ، فَلَا تَهْلِكُوا». قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: وَأَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(جُفَاءَ الشَّعْرِ) الجفال: الكثير من كل شيء.

(مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ) وسيأتي كيفية التعامل مع هذه الجنة والنار.

(أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضٌ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأْجِجُ) أي أن التحول في رأي

العين، وفي الواقع كل ذلك خلافه.

(وَلْيُعْمَضُ) حتى لا يتخوف؛ لأنه حين يرى النار لا يستطيع أن يشرب منها.

(وَإِنَّ الدَّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ) هذه العين اليمنى، وأما اليسرى عوراء.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧١٣٠).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠٧ - (٢٩٣٤ / ٢٩٣٥) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ صَفْوَانَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرِو أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: انْطَلَقْتُ مَعَهُ إِلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ فَقَالَ لَهُ عُقْبَةُ: حَدَّثَنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الدَّجَالِ، قَالَ: «إِنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ، وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَقْتَعْ فِي الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ» ^(١).

فَقَالَ عُقْبَةُ: وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ. تَصْدِيقًا لِحُذَيْفَةَ.

١٠٨ - (٢٩٣٤ / ٢٩٣٥) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ حُجْرٍ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ ابْنُ حُجْرٍ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ نَعِيمِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ قَالَ: اجْتَمَعَ حُذَيْفَةُ، وَأَبُو مَسْعُودٍ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: لَأَنَا بِمَا مَعَ الدَّجَالِ أَعْلَمُ مِنْهُ، إِنَّ مَعَهُ نَهْرًا مِنْ مَاءٍ وَنَهْرًا مِنْ نَارٍ، فَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ نَارٌ، مَاءٌ، وَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ مَاءٌ، نَارٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأَرَادَ الْمَاءَ فَلْيَشْرَبْ مِنَ الَّذِي يَرَاهُ أَنَّهُ نَارٌ، فَإِنَّهُ سَيَحِدُهُ مَاءٌ. قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: هَكَذَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ أَنَّ هَذِهِ الْكِتَابَةَ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَأَنَّهَا كِتَابَةٌ حَقِيقَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ آيَةً وَعَلَامَةً مِنْ جُمْلَةِ الْعَلَامَاتِ الْقَاطِعَةِ بِكُفْرِهِ وَكَذِبِهِ وَإِبْطَالِهِ، وَيُظْهِرُهَا اللَّهُ تَعَالَى لِكُلِّ مُسْلِمٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ، وَيُخْفِيهَا عَمَّنْ أَرَادَ شَقَاوَتَهُ وَفِتْنَتَهُ، وَلَا امْتِنَاعَ فِي ذَلِكَ، وَذَكَرَ الْقَاضِي فِيهِ خِلَافًا: مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: هِيَ كِتَابَةٌ حَقِيقَةٌ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٤٥٠).

كَمَا ذَكَرْنَا. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: هِيَ مَجَازٌ وَإِشَارَةٌ إِلَى سِمَاتِ الْحُدُوثِ عَلَيْهِ، وَاحْتِجَّ بِقَوْلِهِ: «يَقْرَأُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»، وَهَذَا مَذْهَبٌ ضَعِيفٌ. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠٩ - (٢٩٣٦) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الدَّجَالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ؟ إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ»^(١).

الحمد لله قد استوعبت ما يتعلق بالدجال ومخرجه وصفاته وما تيسر من جميع شأنه في كتابي (تحذير العقال من فتنة المسيح الدجال).

وهكذا الشيخ الألباني له مؤلف بعنوان (قصة الدجال)، إلا أن الشيخ الألباني ساقه مساقعة الحديث الواحد، حيث ذكر حديث أبي أمامة عند ابن ماجه، وفيه ضعف، وهو من حيث الطول أطول من حديث النواس بن سمعان، وجعل يسوق شواهده الكثيرة، من الصحيحين ومن (مسند أحمد)، ومن غير ذلك من الشواهد.

وقد أنكر الدجال قديما وحديثا أناس من العقلانيين والمنحرفين، فربما قالوا: هو رمز خرافة وليس بحقيقة، والصحيح أنه رجل من بني آدم، يهودي، يبدأ بادعاء النبوة، ثم يدعي الربوبية، يمكث في الأرض أربعين يوما، يوما كسنة، ويوما كشهر، ويوما كأسبوع، وبقية الأيام كأيام الدنيا الآن.

وأحاديثه أحاديث غيب، والواجب علينا تجاه الغيب: أن نمرها، مع فهم معانيها، لكن لا نستبعد ما ذكر في هذه الأحاديث الثوابت، التي لا مطعن فيها سنداً وهكذا متناً؛ لتلقي العلماء لها بالقبول، وما فيها من إشكال قد بينه أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧١٣١).

والنبي ﷺ كان يستعيذ بالله من فتنة المسيح الدجال، كما في حديث أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وغير واحد من الأحاديث، وحديث زيد بن ثابت وقد تقدم. وأما معنى كلمة (دجال) قال القرطبي في (التذكرة): قال ابن دحية قال العلماء: الدجال في اللغة يطلق على عشرة وجوه:

الأول: الدجال مأخوذ من الكذب.

الوجه الثاني: أن الدجال مأخوذ من الدجل، وهو طلاء البعير بالقطران سمي بذلك لأنه يغطي الحق ويستره بسحره وكذبه.

الوجه الثالث: إنما سمي بذلك؛ لضربه في نواحيه الأرض وقطعه لها يقال: دجل الرجل إذا فعل ذلك.

الوجه الرابع: أنه من التغطية؛ لأنه يغطي الأرض بمجموعه، كل شيء غطيته فقد دجلته. قاله ابن دريد.

الوجه الخامس: سمي دجالاً؛ لقطعه الأرض، والدجالة الدفقة العظيمة.

الوجه السادس: سمي دجالاً، لأنه يغر الناس بشره.

الوجه السابع: الدجال: المخرق.

الوجه الثامن: الدجال: المموه قاله ثعلب.

الوجه التاسع: الدجال: ماء الذهب الذي يطلى به الشيء فيحسن باطله وداخله خزف.

قلت - أي في كتابي (تحذير العقال) -: وكل هذه تصلح أن تكون وصفاً للدجال لعنه الله عز وجل.

ثم ذكرنا قضية الحكمة في عدم ذكره في القرآن، حيث ذكر بعض أهل العلم: أنه لم يذكر في القرآن من الأشرار المستقبلين، ثم رُد عليهم بذكر يأجوج ومأجوج، وقال بعضهم: لم يذكر؛ لحقارته، قد ذكر فرعون وهو ادعى الربوبية.

وقال بعضهم وهو اختيار البغوي: هو مذكور في قول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [سورة غافر: ٥٧]، قالوا: بالناس لفظ عام يراد به الخصوص، إلى غير ذلك من الأوجه، والله مستعان.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١١٠ - (٢٩٣٦) حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ الطَّائِيُّ قَاضِي حِمَصٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ الْحَضْرَمِيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّوَاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ (ح)، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَهْرَانَ الرَّازِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الطَّائِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ، عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ عَدَاةٍ فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَالَ عَدَاةً، فَخَفَضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَاْمُرُوا حَاجِبَ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَائِفَةٌ كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعَزَّى بْنِ قَطَنِ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةَ بَيْنِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَابْتُئُوا».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَهُ، وَيَوْمٌ كَشَهَرٌ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَهُ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، افْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتُهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ،

وَالْأَرْضَ فَتْنِيَتْ، فَتَرَوْحَ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ دُرًّا، وَأَسْبَعَهُ ضُرُوعًا،
وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ،
فَيَضْبِحُونَ مُمَجِّلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا:
أَخْرَجِي كُنُوزَكَ، فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِنًا شَبَابًا،
فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ، رَمِيَّةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبَلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ
يَضْحَكُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ
دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَينِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسُهُ قَطَرَ، وَإِذَا
رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَحْدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ
يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيُطْلَبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بَابٌ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ.

ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ
بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ
عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرَّرُ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ.

وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى
بَحِيرَةِ طَبْرِئَةٍ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ،
وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ
دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغْفَ فِي
رِقَابِهِمْ، فَيَضْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ
إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ
نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُحْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ
فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ
الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرَكَهَا كَالزَّلْفَةِ، ثُمَّ يَقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِئِي ثَمَرَتَكَ، وَرُدِّي بَرَكَتَكَ،

فَيَوْمَئِذٍ نَأْكُلُ الْعِصَابَةَ مِنَ الرَّمَانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارِكُ فِي الرَّسْلِ، حَتَّى أَنْ
الْلَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِيَ الْفُئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَالْلَّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِيَ الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ،
وَالْلَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِيَ الْفَخْدَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً،
فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ
يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارَجَ الْحُمْرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ.

١١١ - (٢٩٣٧) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ ابْنُ حُجْرٍ: دَخَلَ حَدِيثُ أَحَدِهِمَا فِي حَدِيثِ
الْآخَرِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَمَا ذَكَرْنَا، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ:
«لَقَدْ كَانَ بِهِذِهِ مَرَّةً مَاءٌ ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمْرِ، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ
الْمَقْدِسِ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ
بُنُشَابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نُشَابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا».
وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ حُجْرٍ: «فَإِنِّي قَدْ أَنْزَلْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدِي لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ».

هذا أصح ما يكون في استيعاب قصة المسيح الدجال، وكما أسلفت حديث أبي
إمامه أوسع من هذا الحديث، وأطول، أخرجه ابن ماجه (١٠٧٧) من طريق إسماعيل بن
رافع أبي رافع، عن أبي زرعة السيباني يحيى بن أبي عمرو، عن عمرو بن عبد الله، عن
أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن
الدجال، وحذرناه، فكان من قوله أن قال: "إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية
آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء،
وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيبي
لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل
مسلم، وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق، فيعيث يمينا، ويعيث شمالا، يا عباد الله
فاثبتوا، فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي؛ إنه يبدأ فيقول: أنا نبي. ولا نبي

بعدي، ثم يثني فيقول: أنا ربكم. ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه: كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب، وإن من فتنته أن معه جنة ونارا، فناره جنة، وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليستغث بالله، وليقرأ فواتح الكهف، فتكون عليه بردا وسلاما، كما كانت النار على إبراهيم، وإن من فتنته أن يقول لأعرابي: أرايت إن بعثت لك أباك وأمك، أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني، اتبعه؛ فإنه ربك. وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها، وينشرها بالمنشار حتى يلقي شقتين، ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا، فإني أبعثه الآن، ثم يزعم أن له ربا غيري. فيبعثه الله، ويقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي الله، وأنت عدو الله، أنت الدجال، والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم".

قال أبو الحسن الطنافسي: فحدثنا المحاربي، حدثنا عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن عطية، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: "ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة". قال: قال أبو سعيد: والله ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله. قال المحاربي: ثم رجعنا إلى حديث أبي رافع قال: "وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه، فلا تبقى لهم سائمة إلا هلك، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه، وأمدّه خواصر، وأدره ضروعا، وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه، إلا مكة والمدينة، لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة، حتى ينزل عند الطريب الأحمر عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفى الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص".

فقال أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله، فأين العرب يومئذ؟ قال: "هم يومئذ قليل، وجلهم بيت المقدس، وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقري؛ ليتقدم عيسى يصلي بالناس، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصل، فإنها لك أقيمت. فيصلي بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام: افتحوا الباب. فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هاربا، ويقول عيسى عليه السلام: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها. فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله، فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء؛ لا حجر، ولا شجر، ولا حائط، ولا دابة - إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق - إلا قال: يا عبد الله المسلم، هذا يهودي فتعال اقتله".

قال رسول الله ﷺ: "وإن أيامه أربعون سنة، السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وآخر أيامه كالشررة، يصبح أحدكم على باب المدينة، فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي". فقليل له: يا رسول الله، كيف نصلي في تلك الأيام القصار؟ قال: "تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال، ثم صلوا". قال رسول الله ﷺ: "فيكون عيسى ابن مريم عليه السلام في أمتي حكما عدلا، وإماما مقسطا، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمة كل ذات حمة، حتى يدخل الوليد يده في في الحية فلا تضره، وتفر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور الفضة، تنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر

على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، وتكون الفرس بالدرهمات".

قالوا: يا رسول الله، وما يرخص الفرس؟ قال: "لا تركب لحرب أبدا".
 قيل له: فما يغلي الثور؟ قال: "تحرث الأرض كلها، وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة، فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله، فلا تنبت خضراء، فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت، إلا ما شاء الله".

قيل: فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: "التهيل والتكبير والتسبيح والتحميد، ويجرى ذلك عليهم مجرى الطعام".

قال أبو عبد الله: سمعت أبا الحسن الطنافسي يقول: سمعت عبد الرحمن المحاربي يقول: ينبغي أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب.
 وعمر بن عبد الله السياني مجهول حال، وهناك أحاديث مثل حديث ابن عمر، إلا أن فيه كلام، أخرجه أحمد، وحديث جابر طويل، فيه كلام، أخرجه أحمد، لكن مجموع هذه الروايات مع ما في الصحيحين إن شاء الله ترتقي إلى الاحتجاج.
 ونؤمن بهذا الحديث على ما دل عليه، ولا يحتاج إلى تأويلات، فيثبت نفس عيسى أنه النفس المعهود، ليس بمعنى التنفيس، بل النفس المعهود، جعله الله **عَزَّوَجَلَّ** لا يشمه أحد إلا مات من الكافرين.

وهكذا نؤمن بجنّته، ونؤمن بناره، ونؤمن بأن معه جبال الخبز وجبال الماء، أمور يفتن بها أهل الفتنة، نسأل الله السلامة والعافية، وأما المسلم فكما قال النبي **ﷺ**: «**وَاللَّهُ**

لَا يَضُرُّ مُسْلِمًا^(١)، وهكذا من سلم من الفتن التي قبله يسلم من فتنته، كما قال النبي ﷺ: «ما من فتنة إلا وهي تهية لفتنة الدجال، فمن سلم منها سلم من فتنة الدجال».

ومما يُسَلَّمُ بعد توفيق من فتنة الدجال: قراءة فواتح سورة الكهف، جاء عن أبي الدرداء في بعض الروايات قراءة خواتم سورة الكهف لكنها شاذة، شذ بها شعبة.

وهكذا مما يُسَلَّمُ من فتنة الدجال: الفرار منه في البوادي، وإغلاق الأبواب على النساء، من أمهات وأخوات وبنات، حتى لا يتبعن الدجال، كما جاء في حديث ابن عمر عند أحمد، وفي سنده ضعف، لكن له شواهد.

ومما يُسَلَّمُ منه: الدعاء، فقد أمرنا النبي ﷺ أن نستعيز بالله من فتنة الدجال، في كل صلاة وهكذا من رآه فليقل: حسبي الله ونعم الوكيل، وما ثبت من ذلك ويسلمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومما يسلم من فتنته: سكنى مكة والمدينة، وجاء في بعضها أيضا بيت المقدس وجبل الطور، لكن سكنى مكة والمدينة أحاديثها في الصحيحين، وبيت المقدس وجبل الطور حديثه خارج الصحيح، وهو في (الصحيح المسند) لشيخنا مقبل رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وبعض أهل العلم يتكلم على هذه الزيادة، لكن كما مرَّ أن عيسى بن مريم يحرز المؤمنين إلى الطور من فتنة يأجوج ومأجوج.

ويأتي عيسى بن مريم إلى المسلمين وهم في بيت المقدس قد سلموا من فتنة الدجال، يصلي بهم، أو يصلي معهم، كما هو مذكور في غير ما موطن.

(فَيَرْمُونَ بِنَشَابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نَشَابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا) نؤمن بهذا أيضا، أنه نشاب حقيقي، وأنه من السهام والحربة التي يرمى بها، لا تحتاج إلى تأويلات على أن هذه من الأسلحة الحديثة أو نحو ذلك، هل نحتاج أن نؤمن بالأحاديث كما جاءت.

(١) أخرجه البزار في (مسنده)، حديث رقم: (٢٨٠٧)، عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو في (الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين) حديث رقم: (٣٠٦).

وفي الأحاديث: أن عيسى بعد ذلك يموت، ويصلي عليه المسلمون وتحصل أمانة في عهده، حتى يلعب الأطفال بالحيات، ويرعى الأسد مع الإبل، والنمر مع البقر، والذئب مع الغنم، وهذا من بركة التوحيد، فبركة التوحيد لا بركة مثلها، فأمانة الدنيا وأمانة الآخرة بالتوحيد.

حين ينزل عيسى بن مريم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ويحقق الناس التوحيد ولا يقبل منهم سوى ذلك تخرج الأرض بركتها، سواء ما تعطيه الأنعام من اللحم واللبن، أو ما يخرج من ثمار الأرض، فبركة التوحيد هي البركة التي تصلح بها الدنيا والآخرة، ويصلح بها الحال والمال، ولكن أكثر الناس لا يفقهون.

وشؤم الشرك يقع معه كل بلية، إذا وقع الشرك في بلد حصل في هذا البلد أغلب الكبائر، أغلب أمور الجاهلية، وهكذا طوائف المشركين ضررهم بعظيم شركهم وفتنة الرافضة والباطنية ومن إليهم على المسلمين، بسبب ما هم عليهم من الشرك. وأبو جهل أحسن منهم حالا، حيث كان يشرك في الرخاء ويوحد في الشدة، أما هؤلاء في الشدة والرخاء وهم يدعون الحسين من دون الله، بل كثير منهم لا يعرفون: يا لله، فاعتادت ألسنتهم اللهج بدعاء الحسين، فلذلك في أي شيء: يا حسين، حتى مرض كورونا تساقطوا في وحله وكانوا يتزاحمون حول القبر: يا حسين، يطلبون السلامة.

فهم يعتقدون أن: الحسين يعلم الغيب، ويرد الغائب، ويخلق، ويفعل ويفعل، فلا أسوء منهم حالا، ولا أسوء منهم مآلا، إلا من كان مثلهم وعلى شاكلتهم، ينطبق عليهم قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [سورة عبس: ٤٢]، وفي الآخرة: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٤٥].

وهم أعوان الدجال وأتباعه، حتى أن الدجال يخرج معه سبعون ألفا من يهود أصفهان.

يؤذون أهل السنة، ويضيقون عليهم ويوسعون على اليهود ويكرمونهم، وبين اليهود كثير من التجارات والمصالح فلا تصدق هذه الدعايات التي تظهر بأنهم ضد اليهود وضد أمريكا التي يسمونها بالشيطان الأكبر، ما مكن لهم بعد تقدير الله **عَزَّوَجَلَّ** وما سلكه أهل السنة من القصور في الاستقامة إلا اليهود والنصارى، هم الذين جاؤوا بهم، وهم الذين يدفعون عنهم، وهم الذين يقومون عليهم.

ومما يعصم من الدجال أيضا: العلم؛ لما يأتي من حديث الشاب الذين قال: أنت الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ، وهكذا البعد عن الفتن، والمبادرة بالأعمال الصالحات، ونحو ذلك من القربات، وملازمة أهل الصلاح.

قال النووي في شرح الحديث:

قوله: (سمع النواس بن سمعان) بفتح السين وكسرها.

قوله: (ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل) هو بتشديد الفاء فيهما، وفي معناه قولان:

أحدهما: أن خفض بمعنى حقر، وقوله: "رفع" أي: عظمه وفخمه، فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى عوره، ومنه قوله ﷺ: "هو أهون على الله من ذلك"، وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل، ثم يعجز عنه، وأنه يضمحل أمره، ويقتل بعد ذلك هو وأتباعه، ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة، وأنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه.

والوجه الثاني: أنه خفض من صوته في حال الكثرة فيما تكلم فيه، فخفض بعد طول الكلام والتعب ليستريح، ثم رفع ليلغ صوته كل أحد.

قوله ﷺ: (غير الدجال أخوفني عليكم) هكذا هو في جميع نسخ بلادنا: (أخوفني) بنون بعد الفاء، وكذا نقله القاضي عن رواية الأكثرين، قال: ورواه بعضهم بحذف النون، وهما لغتان صحيحتان، ومعناهما واحد.

قال شيخنا الإمام أبو عبد الله بن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: الحاجة داعية إلى الكلام في لفظ الحديث ومعناه، فأما لفظه لكونه تضمن ما لا يعتاد من إضافة "أخوف" إلى ياء المتكلم مقرونة بنون الوقاية، وهذا الاستعمال إنما يكون مع الأفعال المتعدية، والجواب أنه كان الأصل إثباتها، ولكنه أصل متروك، فنبه عليه في قليل من كلامهم، وأنشد فيه أبياتا منها ما أنشده الفراء:

فما أدري فظني كل ظن أمسلمتي إلى قومي شراحي
يعني: شراويل، فرخمه في غير النداء للضرورة، وأنشد غيره:
وليس الموافيني ليرفد خائباً فإن له أضعاف ما كان أملاً

ولأفعل التفضيل أيضاً شبه بالفعل، وخصوصاً بفعل التعجب، فجاز أن تلحقه النون المذكورة في الحديث كما لحقت في الأبيات المذكورة، هذا هو الأظهر في هذه النون هنا، ويحتمل أن يكون معناه: أخوف لي فأبدلت النون من اللام كما أبدلت في "لعن وعن" بمعنى "لعل وعل"، وأما معنى الحديث ففيه أوجه؛ أظهرها: أنه من أفعل التفضيل، وتقديره: غير الدجال أخوف مخوفاتي عليكم، ثم حذف المضاف إلى الياء، ومنه: أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون، معناه: أن الأشياء التي أخافها على أمتي أحقها بأن تخاف الأئمة المضلون.

والثاني: بأن يكون أخوف من أخاف بمعنى خوف، ومعناه: غير الدجال أشد موجبات خوفي عليكم.

والثالث: أن يكون من باب وصف المعاني بما يوصف به الأعيان على سبيل المبالغة، كقولهم في الشعر الفصيح: شعر شاعر، وخوف فلان أخوف من خوفك، وتقديره: خوف غير الدجال أخوف خوفي عليكم، ثم حذف المضاف الأول، ثم الثاني، هذا آخر كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله عليه السلام: (إنه شاب ققط) هو بفتح القاف والطاء أي: شديد جعودة الشعر، مبادئ للجعودة المحبوبة.

قوله عليه السلام: (إنه خارج خلة بين الشام والعراق) هكذا في نسخ بلادنا: "خلة" - بفتح الخاء المعجمة واللام وتنوين الهاء - وقال القاضي: المشهور فيه "حلة" - بالحاء المهملة، ونصب التاء - يعني: غير منونة، قيل: معناه: سمت ذلك وقبالتة، وفي كتاب العين: الحلة: موضع حزن وصخور، قال: ورواه بعضهم "حله" بضم اللام وبهاء الضمير، أي: نزوله وحلوله، قال: وكذا ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين.

قال: وذكره الهروي "خلة" - بالخاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحتين - وفسره بأنه ما بين البلدين، هذا آخر ما ذكره القاضي، وهذا الذي ذكره عن الهروي هو الموجود في نسخ بلادنا، وفي الجمع بين الصحيحين أيضا ببلادنا، وهو الذي رجحه صاحب نهاية الغريب، وفسره بالطريق بينهما.

قوله: (فعاث يمينا وعاث شمالا) هو بعين مهملة وطاء مثلثة مفتوحة، وهو فعل ماضٍ، والعيث: الفساد، أو: أشد الفساد والإسراع فيه، يقال منه: عاث يعيث، وحكى القاضي أنه رواه بعضهم: "فعاث" - بكسر التاء منونة - اسم فاعل، وهو بمعنى الأول.

قوله عليه السلام: (يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم) قال العلماء: هذا الحديث على ظاهره، وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث يدل عليه قوله عليه السلام: "وسائر أيامه كأيامكم".

وأما قولهم: (يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره) فقال القاضي وغيره: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع. قالوا: ولولا هذا الحديث، ووكلنا إلى اجتهدنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام.

ومعنى: " اقدروا له قدره ": أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح، ثم الظهر، ثم العصر، ثم المغرب، وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات ستة فرائض، كلها مؤداة في وقتها، وأما الثاني الذي كشره، والثالث الذي كجمعة، فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كالיום الأول على ما ذكرناه، والله أعلم.

قوله عليه السلام: (فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا، وأسبغه ضروعا، وأمدّه خواصر)، أما " تروح " فمعناه: ترجع آخر النهار، و " السارحة " هي الماشية التي تسرح، أي: تذهب أول النهار إلى المرعى، وأما " الذرى " فبضم الذال المعجمة وهي الأعالي، و " الأسنة " جمع ذروة - بضم الذال وكسرها - وقوله: " وأسبغه " بالسين المهملة والغين المعجمة، أي: أطوله لكثرة اللبن، وكذا " أمدّه خواصر " لكثرة امتلائها من الشبع.

قوله عليه السلام: (فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل) هي ذكور النحل، هكذا فسرّه ابن قتيبة وآخرون، قال القاضي: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرها؛ لأنه متى طار تبعته جماعته، والله أعلم.

قوله عليه السلام: (فيقطعه جزلتين رمية الغرض) بفتح الجيم على المشهور، وحكى ابن دريد كسرهما، أي: قطعتين. ومعنى " رمية الغرض ": أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته، هذا هو الظاهر المشهور، وحكى القاضي هذا، ثم قال: وعندي أن فيه تقدّما وتأخيرا، وتقديره: فيصيبه إصابة رمية الغرض، فيقطعه جزلتين، والصحيح الأول.

قوله: (فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين) أما " المنارة " فبفتح الميم، وهذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق، و " دمشق " بكسر الدال وفتح الميم،

وهذا هو المشهور، وحكى صاحب المطالع كسر الميم، وهذا الحديث من فضائل دمشق. وفي "عند" ثلاث لغات: كسر العين وضمها وفتحها، والمشهور الكسر، وأما "المهرودتان" فروي بالبدال المهملة، والذال المعجمة، والمهملة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم، وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة كما هو المشهور، ومعناه: لابس مهرودتين، أي: ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران، وقيل: هما شقتان، والشقة: نصف الملاعة.

قوله عَلَيْهِ السَّلَام: "تحدر منه جمان كاللؤلؤ" الجمان - بضم الجيم وتخفيف الميم - هي حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد: يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، فسمي الماء جمانا لشبهه به في الصفاء.

قوله عَلَيْهِ السَّلَام: (فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات) هكذا الرواية: "فلا يحل" بكسر الحاء، و"نفسه" بفتح الفاء، ومعنى "لا يحل": لا يمكن ولا يقع، وقال القاضي: معناه عندي: حق وواجب، قال: ورواه بعضهم بضم الحاء، وهو وهم وغلط. قوله عَلَيْهِ السَّلَام: (يدركه بباب لد) هو بضم اللام وتشديد الدال، مصروف، وهو بلدة قريبة من بيت المقدس.

قوله عَلَيْهِ السَّلَام: (ثم يأتي عيسى عَلَيْهِ السَّلَام قوما قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم) قال القاضي: يحتمل أن هذا المسح حقيقة على ظاهره، فيمسح على وجوههم تبركا وبراء، ويحتمل أنه إشارة إلى كشف ما هم فيه من الشدة والخوف.

قوله تعالى: (أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور) فقوله: "لا يدان" - بكسر النون - تشية "يد"، قال العلماء: معناه: لا قدرة ولا طاقة، يقال: ما لي بهذا الأمر يد، وما لي به يدان؛ لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد، وكأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه، ومعنى "حرزهم إلى الطور" أي: ضمهم واجعله لهم حرزا، يقال: أحرزت الشيء أحرزه إحرازا؛ إذا حفظته وضممته إليك، وصنته عن

الأخذ، وقع في بعض النسخ: "حزب" بالحاء والزاي والباء أي: اجمعهم. قال القاضي: وروي: "حوز" بالواو والزاي، ومعناه: نحهم وأزلهم عن طريقهم إلى الطور.

قوله: (وهم من كل حذب ينسلون) "الحذب" النشز، و"ينسلون": يمشون مسرعين.

قوله وَعَلَيْهِ السَّلَامُ: (فيرسل الله تعالى عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى) "النغف" - بنون وغيث معجمة مفتوحين ثم فاء - وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة: نغفة، و"الفرسى" - بفتح الفاء - مقصور أي: قتلى، واحدهم فريس.

قوله وَعَلَيْهِ السَّلَامُ: (ملأه زهمهم ومنتهم) هو بفتح الهاء أي: دسمهم ورائحتهم الكريهة. قوله وَعَلَيْهِ السَّلَامُ: (لا يكن منه بيت مدر) أي: لا يمنع من نزول الماء بيت، "المدر" - بفتح الميم والبدال - وهو الطين الصلب.

قوله وَعَلَيْهِ السَّلَامُ: (فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة) روي بفتح الزاي واللام والقاف، وروي "الزلفة" - بضم الزاء وإسكان اللام وبالفاء - وروي "الزلفة" - بفتح الزاي واللام وبالفاء - وقال القاضي: روي بالفاء والقاف، ويفتح اللام ويأسكانها، وكلها صحيحة، قال في المشارق: والزاي مفتوحة، واختلفوا في معناه، فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون: معناه: كالمرآة، وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضا، شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها، وقيل: كمصانع الماء أي: إن الماء يستنقع فيها حتى يصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء، وقال أبو عبيد: معناه: كالإجانة الخضراء، وقيل: كالصحفة، وقيل: كالروضة.

قوله وَعَلَيْهِ السَّلَامُ: (تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها) "العصابة": الجماعة، و"قحفها" - بكسر القاف - هو مقعر قشرها، شبهها بقحف الرأس وهو الذي فوق الدماغ، وقيل: ما انفلق من جمجمته وانفصل.

قوله ﷺ: (ويبارك في الرسل، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس) "الرسل" - بكسر الراء وإسكان السين - هو اللبن، و"اللقحة" - بكسر اللام وفتحها - لغتان مشهورتان، والكسر أشهر، وهي القرية العهد بالولادة، وجمعها "لقح" - بكسر اللام وفتح القاف - كبركة وبرك، واللقوح: ذات اللبن، وجمعها: لقاح، والفئام - بكسر الفاء وبعدها همزة ممدودة - وهي الجماعة الكثيرة، هذا هو المشهور والمعروف في اللغة وكتب الغريب، ورواية الحديث أنه بكسر الفاء وبالهَمْز، قال القاضي: ومنهم من لا يجيز الهمز، بل يقوله بالياء. وقال في المشارق: وحكاة الخليل بفتح الفاء، وهي رواية القاسبي.

قال: وذكره صاحب العين غير مهموز، فأدخله في حرف الياء، وحكى الخطابي أن بعضهم ذكره بفتح الفاء وتشديد الياء، وهو غلط فاحش.

قوله ﷺ: (لتكفي الفخذ من الناس) قال أهل اللغة: الفخذ: الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة، قال القاضي: قال ابن فارس: الفخذ هنا بإسكان الخاء لا غير، فلا يقال إلا بإسكانها، بخلاف الفخذ التي هي العضو؛ فإنها تكسر وتسكن.

قوله ﷺ: (فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم) هكذا هو في جميع نسخ مسلم: "وكل مسلم" بالواو.

قوله ﷺ: (يتهاجون تهارج الحمر) أي: يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكثر ثون لذلك، و"الهرج" - بإسكان الراء - الجماع، يقال: هرج زوجته أي: جامعها؛ يهرجها، بفتح الراء وضمها وكسرها.

قوله ﷺ: (يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر) هو بخاء معجمة وميم مفتوحتين، والخمر: الشجر الملتف الذي يستر من فيه، وقد فسر به في الحديث بأنه جبل بيت المقدس.

قال رحمه الله:

بَابُ فِي صِفَةِ الدَّجَالِ وَتَحْرِيمِ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ وَقَتْلِهِ الْمُؤْمِنِ وَآخِيائِهِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١١٢ - (٢٩٣٨) حَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ، وَالْحَسَنُ الْحُلَوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَالْفَاظُ هُمْ مُتَّفَارِبَةٌ، وَالسِّيَاقُ لِعَبْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ: أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلًا عَنْ الدَّجَالِ، فَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا قَالَ: «يَأْتِي وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السَّبَاحِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمِيذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ»، أَوْ «مِنْ خَيْرِ النَّاسِ» فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، أَتَشْكُونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فَيْكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْآنَ، قَالَ: فَيُرِيدُ الدَّجَالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ».

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: يُقَالُ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١).

١١٢ - (٢٩٣٨) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ بِمِثْلِهِ.

(السَّبَاحُ): الأماكن التي لا زرع فيها، أرض سبخة.

(فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمِيذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ) إيماناً وعِلماً، حتى أن بعضهم قال الخضر،

وهذا قول شاذ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٨٨٢).

(أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثُهُ) ومعناه: حدث عنك، وإنما تلقى هذا الشاب العلم عن أهل الحديث، وفي هذا فضيلة أهل الحديث، وفضيلة العلم، إذ بالعلم تُعرف الفتن وأرباب الفتن، وبالعلم تعرف طرق السلامة، فكلما كان الإنسان أقرب إلى العلم كان أقرب إلى الهدى، وكلما كان أبعد من العلم كان أقرب إلى الردى.

وفي هذا فضيلة الإسناد من قوله: **(حَدَّثَنَا)**، وقد تقدم في المقدمة بيان منزلة هذا العلم، وأنه مما اختصت به هذه الأمة دون غيرها من الأمم.

(أَتَشْكُونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا)؛ لجهلهم، يلتبس عليهم الأمر، وللفتنة التي قد انغمسوا فيها.

(فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ) يقتله قتلاً حقيقياً، كما سيأتي أنه يضربه بالسيف رمية الغرض حتى يكون جزلتين، ويمر بينهما، ثم يقول له: قم، فيقوم.

(وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْآنَ)؛ لعلمه بحقيقة الحال، وهذا دليل على أن المستقيم وصاحب العلم لا تزيده الشبه إلا ثباتاً على العقيدة الصحيحة، بينما الجاهل كلما زادت الشبه أبعدته عن الواقع والحال.

(يُقَالُ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) هذا قول غير صحيح، الخضر قد مات في حينه، وفي دهره الذي كان فيه، قال الله **عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾** [سورة الأنبياء: ٣٤]، ومن يذهب إلى حياة الخضر من الطرقية وغيرهم لا دليل لهم من كتاب ولا سنة.

ولا يدخل هذا في حديث **«من سمع بالدجال فليأمن عنه»**؛ لأن هذا قد علم من حال نفسه القوة الإيمانية والعلمية، وإذا كان النبي ﷺ قد سئل عن أفضل الجهاد قال: **«كلمة حق عند سلطان جائر»** فكيف بكلمة حق عند الدجال؟

ولذلك قال عنه رسول الله ﷺ: (أفضل الشهداء عند رب العالمين) على ما يأتي.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١٣ - (٢٩٣٨) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَهْرَازٍ مِنْ أَهْلِ مَرَوْ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ وَهَبٍ، عَنْ أَبِي الْوَدَّاءِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبْلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ، مَسَالِحُ الدَّجَالِ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ. قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِرَبَّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبَّنَا خَفَاءً. فَيَقُولُونَ: افْتُلُوهُ. فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُم رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ؟ قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَالِ، فَإِذَا رَأَاهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا الدَّجَالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَالُ بِهِ فَيُسَبِّحُ فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشَجُّوهُ، فَيُوسِعُ ظَهْرَهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِشَارِ مِنْ مَفْرَقِهِ حَتَّى يَفْرُقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ. فَيَسْتَوِي قَائِمًا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَنْتُمْ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَرَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوتِهِ نُحَاسًا فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّهَا قَذْفُهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

(فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ، مَسَالِحُ الدَّجَالِ): جنوده وأعدائه.

(فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟) أي: تريد.

(فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ) تحقيرا له.

(فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِرَبَّنَا؟) يريدون الدجال.

(فَيَقُولُ: مَا بَرَّيْنَا خَفَاءً) يريد الله عَزَّوَجَلَّ، أن في الآيات الشرعية والآيات الكونية ما تدل على عظيم صفاته؛ حتى لا يلتبس شأنه بدجال من الدجالين، وكذاب من الكذابين.

(فَيَأْمُرُ الدَّجَالَ بِهِ فَيُشْبَحُ) يعني: يضرب.

(فَيُوسِعُ ظَهْرَهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا) شديدا مبرحا، حتى لربما سالت منه الدماء.

(فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ) وهو صابر محتسب ما أعظم أثر الإيمان على أهله !

(مَا أَرَدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً) يعني علم بهذه الفعلة التي قد فعلها أنه الأعور الكذاب.

(ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ) عنده علم من الكتاب والسنة، من خبر النبي ﷺ.

(فَيُجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوتِهِ نُحَاسًا) فيعجز عن ذبحه.

وهذا حديث عظيم، ومن دلائل نبوة النبي الكريم ﷺ، ومن أحاديث فضل العقيدة الصحيحة، ومن أحاديث فضل العلم، ومن أحاديث فضل الثبات على العلم، ومن أحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أحاديث الجهاد، ومن أحاديث الفضائل، إذ أن أهل الشهادة يتفاضلون، ومن أحاديث الصبر على البلاء، ومن أحاديث الفرج بعد الشدة، ومن كرامات الأولياء، إلى غير ذلك من المعاني الذي حواه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي الدَّجَالِ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١٤ - (٢٩٣٩) حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ عَبَّادٍ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ الرَّوَّاسِيُّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: مَا سَأَلَ أَحَدُ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الدَّجَالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُ، قَالَ: «وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ؟ إِنَّهُ لَا

يَضُرُّكَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ وَالْأَنْهَارَ، قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ» ^(١).

١١٥ - (٢٩٣٩) حَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: مَا سَأَلَ أَحَدُ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الدَّجَالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ، قَالَ: «وَمَا سَوَالُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ، وَنَهْرٌ مِنْ مَاءٍ! قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ».

١١٥ - (٢٩٣٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ كُلُّهُمْ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حُمَيْدٍ. وَزَادَ فِي حَدِيثِ يَزِيدَ: فَقَالَ لِي: «أَيُّ بَنِي».

(مَا سَأَلَ أَحَدُ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الدَّجَالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُ؟)؛ لتخوفه من فتنته، إذ أنهم سمعوا النبي ﷺ يحذر منه الخاص والعام، ويقرب من شأنه حتى ظنوه في طائفة النخل.

(وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ؟): ما يخيفك ويتعبك من أمره؟

(إِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ) وهذه شهادة للمغيرة من أنه لن يدركه، وإن أدركه لن يضره.

(هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ) قَالَ الْقَاضِي مَعْنَاهُ هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدِهِ مُضِلًّا لِلْمُؤْمِنِينَ وَمُشَكِّكًا لِقُلُوبِهِمْ، بَلْ إِنَّمَا جَعَلَهُ لَهُ لِيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا، وَيُثَبِّتَ الْحُجَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَنَحْوِهِمْ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. اهـ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧١٢٢).

وهذا الحديث قد جعل بعضهم ينكر كثيرا من الحقائق التي جاءت بها الأدلة في شأن الدجال، ومنها أمره للسماء فتمطر، والأرض فتنبت، ويدعو الأرض فتخرج كنوزها، إلى غير ذلك مما تقدم في حديث النواس، وما يأتي في غيره.

والصحيح: أن الدجال معه من ذلك جنة ونار، وله أعوان وأتباع، وله خوارق جعلها الله **عَزَّوَجَلَّ** على يديه، ينطلي شأنها على المنافقين والكافرين، ويسلم منها المؤمنون والموحدون، لقول رسول الله **ﷺ**: (والله لا يضر مسلماً).

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ فِي خُرُوجِ الدَّجَالِ وَمَكْنِهِ فِي الْأَرْضِ وَنُزُولِ عِيسَى وَقَتْلِهِ إِيَّاهُ وَذَهَابِ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ وَبَقَاءِ شِرَارِ النَّاسِ وَعِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانِ وَالنَّفْخِ فِي الصُّورِ وَبَعْثِ مَنْ فِي الْقُبُورِ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١١٦ - (٢٩٤٠) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ يَعْقُوبَ بْنَ عَاصِمٍ بْنَ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟ تَقُولُ: إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا، إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا يُحَرِّقُ الْبَيْتَ وَيَكُونُ وَيَكُونُ.

ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «يُخْرِجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمُكُّهُ أَرْبَعِينَ لَا أُدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، «فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمُكُّ النَّاسَ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عِدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قَبْلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ

مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ تَقْبِضَهُ».

قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «فَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَحْيُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رَزَقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَىٰ لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا».

قَالَ: «وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبْلِهِ»، قَالَ: «فَيَضَعُ وَيَضَعُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ» أَوْ قَالَ: «يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظَّلُّ - نِعْمَانُ الشَّاكُ - فَتَنْبِتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [سورة الصافات: ٢٤]».

قَالَ: «ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ»، قَالَ: «فَذَلِكَ يَوْمٌ ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [سورة المزمل: ١٧] وَذَلِكَ يَوْمٌ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴿[سورة القلم: ٤٢]».

١١٧ - (٢٩٤٠) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ يَعْقُوبَ بْنَ عَاصِمٍ بْنَ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: إِنَّكَ تَقُولُ: إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَىٰ كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَكُمْ بِشَيْءٍ، إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ تَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا، فَكَانَ حَرِيقَ الْبَيْتِ.

قَالَ شُعْبَةُ هَذَا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمْتِي»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ مُعَاذٍ، وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «فَلَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ»، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ: حَدَّثَنِي شُعْبَةُ بِهَذَا الْحَدِيثِ مَرَّاتٍ وَعَرَضْتُهُ عَلَيْهِ.

(مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟) إذ أن عبد الله بن عمرو من علماء المسلمين يحدث بكثير من أمور الدين، وفيه أن الإنسان عدو ما جهل، وربما أنكر الثوابت. (سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا) كالتعجب، أو كالإنكار على فهم من فهم فهما سقيما.

(لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا)؛ لأنه يحدث ويُضاف إليه ما لم يقل. (يُحَرِّقُ الْبَيْتُ) تهدم الكعبة، يهدمها ذو السويقتين. (وَيَكُونُ وَيَكُونُ) يعني من أشراط الساعة. (يُخْرِجُ الدَّجَالَ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ) أي الدجال الأكبر الذي يكون في آخر الزمان.

(لَا أَذْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا) قد وضح هذا المعنى حديث النواس بن سمعان، فلا أشكال فيه من أنه يمكث أربعين يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهرا، ويوم كأسبوع، وبقية الأيام كأيامنا. (فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ) أي ينزله من السماء، كما في الأحاديث الأخرى. (كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ) في الشبه. (فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ) ينزل عند المنارة البيضاء بدمشق، ويلحقه في باب لد في فلسطين، فيقتله بحريته.

(ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ) وفي بعضها أربعين سنة، فإن صح الحديث تكون الامنة سبع، والبقية فيها ما فيها. (لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ) وإنما هو الإيمان الخالص، والإقبال على الطاعة والعبادة، وحين ترفع العداوة بين الناس وترفع العداوة من الحيوان لغيره من الحيوان، كما تقدم الإشارة إلى ذلك.

(ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأَمِ) تقدم في حديث النواس الإطلاق فيها ولم تحدد بجهة، وفي حديث أبي هريرة أنها من قبل اليمن، ولا مانع أنها تأتي من هاهنا ومن هاهنا ومن هاهنا.

(فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ) وهذا الدليل على أن الإيمان باق إلى أن يرسل الله هذه الريح، مهما مكر الماكرون وتربص المتربصون، ومهما ضعف العلم وظهر الجهل.

(فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ) كما قال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول: الله الله»، وقد تقدم في كتاب الإيمان.

(فِي خِفَةِ الطَّيْرِ) يعني بعدم ثباتهم وكثرة اضطرابهم، وسرعتهم إلى الباطل.

(وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ) يعني الحليم منهم كحلم الأسد أو النمر، فيهم شدة وغلظة، وسفه وطيش، ومسارعة إلى الباطل، وبعد عن الحق، فهذا من أسوأ ما يكون من الوصف، في خفة الطير، لا سكينه لهم، ولا روية، ولا انتظار، ولا ثبات وأحلام السباع في غلظة القلوب، وسوء الحال، والظلم والظلمات التي يعيشونها.

(لَا يَعْرِفُونَ مَعْرِوفاً)؛ لأنهم لا يعرفون المعروف أصلاً؛ لجهلهم به، ولتعمق الشر فيهم.

(وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا)؛ لشدة حبهم له، ووصولهم إليه، وقد اشربته قلوبهم، كما في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد تقدم في كتاب الإيمان.

(وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رِزْقُهُمْ) يعني أحسن ما يكون من حال الرزق مع شدة كفرهم وبعدهم.

(حَسَنٌ عَيْشُهُمْ) رعدة.

(ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) نفخة الصعق، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [سورة

الزمر: ٦٨]، والصحيح أن النفخ في الصور يكون في مرتين، وذهب بعض أهل العلم أنه ثلاث مرات، لكن هذا هو الصحيح.

(فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا) يعني يصغي للصوت ويرفع رأسه.
(وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ) يصلح الحوض الذي تشرب منه ابله، أي أنه (فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ) بعد فلا يبقى منهم أحد يعمل في دنياه.
(ثم يرسل أو ينزل مطراً) بمعناه.
(كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظِّلُّ) غلط.

(فَتَنَبَّأَتْ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ) من عجب الذنب، على ما تقدم في حديث أبي هريرة: «فإن الله حرم على الأرض أن تأكل عجب الذنب، منه يركب الخلق يوم القيامة».
(ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) هذه النفخة الثانية، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [سورة يس: ٥١]. ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾.
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ): احشروا وأقبلوا إلى خالقكم ومالككم.
(﴿وَقَفُّهُمْ﴾ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) عن أعمالهم.

(ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارِ) هذا يقوله الله لآدم، كما في حديث ابن مسعود وحديث أبي سعيد، وقد تقدم في آخر كتاب الإيمان.

(فَذَٰكَ يَوْمٌ ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا) [سورة المزمل: ١٨]، من شدته وأهواله وسوء أحواله، كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ١ يَوْمَ تَرْوَنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ الصحيح في هذه اللفظة: أن الله يكشف عن ساقه، فهي العلامة التي جعلها بينه وبين المؤمنين، وقد جاء مصرحاً بها في حديث أبي سعيد في رواية للبخاري: «يكشف الله عن ساقه».

وأما تفسير ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [سورة القلم: ٤٢] وأنه عن الشدة أولاً: التفسير لا يثبت عن ابن عباس، وإن قدر أن تفسير هذه الآية على ما ذكر فالساق ثابت من أدلة أخرى، وهو من الصفات الخيرية التي تليق بالله عز وجل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١].

قال النووي رحمه الله: قوله: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال العلماء: معناه ومعنى ما في القرآن ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [سورة القلم: ٤٢] يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ شِدَّةٍ وَهَوْلٍ عَظِيمٍ أَيْ يَظْهَرُ ذَلِكَ. يُقَالُ: كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا إِذَا اشْتَدَّتْ، وَأَصْلُهُ أَنَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِهِ كَشَفَ عَنْ سَاقِهِ مُسْتَمِرًّا فِي الْخَفَّةِ وَالنَّشَاطِ لَهُ. انتهى قلنا لكم بأن الساق ثابت لله سبحانه وتعالى وهو صفة ذاتية خيرية، وكلام النووي غير مستقيم.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١١٨ - (٢٩٤١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ آيَاتِ خُرُوجِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى، وَابْتِهَامَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِنْتَرَاهَا قَرِيبًا».

١١٨ - (٢٩٤١) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ قَالَ: جَلَسَ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالْمَدِينَةِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،

فَسَمِعُوهُ وَهُوَ يَحْدُثُ عَنِ الْآيَاتِ: أَنَّ أَوَّلَهَا خُرُوجًا الدَّجَالُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: لَمْ يَقُلْ مَرْوَانُ شَيْئًا، قَدْ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ.

١١٨ - (٢٩٤١) وَحَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ قَالَ: تَذَاكُرُوا السَّاعَةَ عِنْدَ مَرْوَانَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، بِمِثْلِ حَدِيثِهِمَا، وَلَمْ يَذْكُرْ ضَحَى.

(إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ) العلامات الكبرى للساعة.

(طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا) وهي أولى العلامات العلوية.

(وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ) التي تختتم الناس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

والذي يظهر أن هذا الحديث يدل على أن طلوع الشمس من مغربها قبل خروج الدابة؛ لأن الدابة تخرج ضحى، وهذا يكون بعد طلوع الشمس من مغربها، وكلاهما من أشراط الساعة الكبرى، والله المستعان.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

باب قصة الجساسة

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١٩ - (٢٩٤٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ، وَاللَّفْظُ لِعَبْدِ الْوَارِثِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ ذَكْوَانَ، حَدَّثَنَا ابْنُ بُرَيْدَةَ، حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ شَرَّاحِيلَ الشَّعْبِيُّ، شَعْبُ هَمْدَانَ: أَنَّهُ سَأَلَ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ أُخْتَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأَوَّلِ فَقَالَ: حَدَّثَنِي حَدِيثًا سَمِعْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا تُسْنِدِيهِ

إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ، فَقَالَتْ: لَيْنَ شِئْتَ لَا فَعَلَنْ، فَقَالَ لَهَا: أَجَلُ حَدَّثَنِي فَقَالَتْ: نَكَحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةِ وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ يَوْمِيذٍ، فَأُصِيبَ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطْبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخَطْبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكُنْتُ قَدْ حَدَّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ»، فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ، فَقَالَ: «انْتَقِلِي إِلَيَّ أُمَّ شَرِيكِ».

وَأُمُّ شَرِيكِ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، عَظِيمَةُ الثَّقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضَّيْفَانُ، فَقُلْتُ: سَافِعُلٌ، فَقَالَ: «لَا تَفْعَلِي، إِنَّ أُمَّ شَرِيكِ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضَّيْفَانِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكَ خِمَارُكِ أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ سَاقِيكِ، فَبَرَى الْقَوْمُ مِنْكَ بَعْضُ مَا تَكْرَهُينَ، وَلَكِنْ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ»، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَهْرٍ، فَهَرٍ قُرَيْشٍ، وَهُوَ مِنَ الْبَطْنِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ، فَانْتَقَلْتُ إِلَيْهِ.

فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُتَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «لَيَلْزَمَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَالِ، حَدَّثَنِي: أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ وَجُذَامٍ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَعُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ السَّفِينَةِ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟

فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ، انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبْرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ.

قَالَ: لَمَّا سَمِعْتُ لَنَا رَجُلًا، فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدُّهُ وَثَاقًا مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَبِئْسَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبْرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أَنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بِحَرِيرَةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ، فَلَعَبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرِبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِينَا دَابَّةً أَهْلَبَ كَثِيرَ الشَّعْرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ، فَقُلْنَا: وَبِئْسَ مَا أَنْتَ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: ااعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبْرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً.

فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَّا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبْرِيتَةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَّا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُعَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَّا إِنْ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ.

وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي: إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجُ، فَأَسِيرُ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ،

فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي
مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلَاتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا.
قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَعَنَ بِمُخَصَّرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ،
هَذِهِ طَيْبَةٌ»، يَعْنِي الْمَدِينَةَ، «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ
أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ
فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا، بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ
مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ»، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ.

قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

١٢٠ - (٢٩٤٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ الْهَجَمِيُّ
أَبُو عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا قُرَّةُ، حَدَّثَنَا سَيَّارُ أَبُو الْحَكَمِ، حَدَّثَنَا الشَّعْبِيُّ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى
فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، فَاتَّحَفْتَنَا بِرُطْبٍ يُقَالُ لَهُ رُطْبُ ابْنِ طَابٍ، وَأَسْقَتْنَا سَوِيقَ سُلْتٍ،
فَسَأَلْتُهَا عَنِ الْمُطْلَقَةِ ثَلَاثًا أَيْنَ تَعْتَدُ؟ قَالَتْ: طَلَّقَنِي بَعْلِي ثَلَاثًا، فَأَذِنَ لِي النَّبِيُّ ﷺ
أَنْ أَعْتَدَ فِي أَهْلِي قَالَتْ: فَنُودِيَ فِي النَّاسِ إِنَّ الصَّلَاةَ جَامِعَةٌ قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ فِيمَنْ
انْطَلَقَ مِنَ النَّاسِ، قَالَتْ: فَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ مِنَ النِّسَاءِ وَهُوَ يَلِي الْمُؤَخَّرَ مِنَ
الرِّجَالِ، قَالَتْ: فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ فَقَالَ: «إِنَّ بَنِي عَمِّ تَمِيمٍ
الدَّارِيَّ رَكِبُوا فِي الْبَحْرِ»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ وَزَادَ فِيهِ: قَالَتْ: فَكَأَنَّمَا أَنْظَرُ إِلَى النَّبِيِّ
ﷺ وَأَهْوَى بِمُخَصَّرَتِهِ إِلَى الْأَرْضِ وَقَالَ: «هَذِهِ طَيْبَةٌ»، يَعْنِي الْمَدِينَةَ.

١٢١ - (٢٩٤٢) وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ النَّوْفَلِيُّ قَالَا:
حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ غِيلَانَ بْنَ جَرِيرٍ يُحَدِّثُ عَنِ الشَّعْبِيِّ،
عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ قَالَتْ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَمِيمُ الدَّارِيَّ، فَأَخْبَرَ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ رَكِبَ الْبَحْرَ فَتَاهَتْ بِهِ سَفِينَتُهُ، فَسَقَطَ إِلَى جَزِيرَةٍ فَخَرَجَ إِلَيْهَا يَلْتَمِسُ
الْمَاءَ، فَلَقِيَ إِنْسَانًا يَجْرُ شَعْرَهُ، وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ. وَقَالَ فِيهِ: ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ لَوْ قَدْ

أَدْنَى لِي فِي الْخُرُوجِ، قَدْ وَطِئْتُ الْبِلَادَ كُلَّهَا غَيْرَ طَيْبَةٍ، فَأَخْرَجَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى النَّاسِ فَحَدَّثْتُهُمْ، قَالَ: «هَذِهِ طَيْبَةٌ، وَذَاكَ الدَّجَالُ».

١٢٢ - (٢٩٤٢) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ، يَعْنِي الْحِزَامِيَّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَعَدَ عَلَى الْمُنْبَرِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، حَدَّثَنِي تَمِيمُ الدَّارِيُّ: أَنَّ أَنَاسًا مِنْ قَوْمِهِ كَانُوا فِي الْبَحْرِ فِي سَفِينَةٍ لَهُمْ فَانْكَسَرَتْ بِهِمْ، فَكَبَّ بَعْضُهُمْ عَلَى لَوْحٍ مِنَ الْأَوْحِ السَّفِينَةِ فَخَرَجُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ.

(ابن المغيرة) أبو حفص.

(فَأَصِيبَ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) قتل شهيدا.

(عبد الرحمن بن عوف) من العشرة المبشرين بالجنة.

(مَوْلَاهُ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ) مولاه مع أن أباه قد عُتِقَ، لكن «الولاء لمن أعتق».

(مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيَحِبَّ أَسَامَةَ) فيه فضيلة لأسامة بن زيد عظيمة، ومع ذلك الرفض

يطعنون في أسامة بن زيد كغيره من الصحابة.

(فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكَ خِمَارُكَ) دليل على وجوب الحجاب.

(وَلَكِنْ أَنْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ) هذا مع أمن الفتنة.

(الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ) قالوا: الصلاة جامع، والصلاة جامعة، هذا لجمع الناس لا لصلاة

وإنما لخطبة ونحوها، وأيضا جاء في الكسوف.

(فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلَقًا) يعني كبير الخلق.

(أَمَّا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمَرَ) هذا من دلائل قرب الساعة.

(أَخْبَرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ) يعني النبي ﷺ.

(أَمَّا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ)؛ لعلمه أنه من دعاة الهدى، وأنه رسول الله.

والحديث ثابت، وإن طعن فيه بعض أهل العلم، إلا أنه الصحيح بثبوته من جهة الإسناد، ومن جهة المتن، وقد نقلنا ما ذكره الحافظ ابن حجر في (الأجوبة المصرية) في الدفاع على هذا الحديث، وكذلك زدنا ما يسره الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَاب "تحذير العقال من فتنة المسيح الدجال"**.

ويقول الشيخ الألباني: وحديث الجساسة حديث صحيح، وليس فيه ما يخالف الأحاديث الصحيحة إطلاقاً، وإنما فيه تفاصيل ستقع يوماً مما لم يرد ذكره في بعض الأحاديث الصحيحة، وبعضها وقع، وكما رواه تميم الداري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وإنما الناس اليوم يريدون أن يطبقوا الأحاديث الغيبية على عقولهم الصغيرة، وهذا ليس من الإيمان في شيء؛ لأن الله **عَزَّ وَجَلَّ** يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْحَقُوا بِهِ جُنُودٌ يَا وَيْلَهُ قُلُوا لَهُمْ هَذِهِ السَّاعَةُ وَالْحَالَةُ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١-٣] **﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾** [٧٩] **﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾** [سورة الصافات: ٧٩-٨٠]، فواجب على كل مسلم إذا ما جاء حديث عن النبي **ﷺ** سواء كان الحديث يتعلق بالعقائد أو بالأحكام أو بأشراط الساعة أو بأي حكم يتعلق بالمغيبات فواجب على المسلم أمام هذا الحديث أو ذاك: شيئان اثنتان:

الشيء الأول: أن يسأل أهل العلم بالحديث أصحح هو أم لا؟ فإذا قالوا له: بأنه صحيح، وجب

الأمر الثاني: وهو أن يخضع عقله وفكره وثقافته التي نشأ عليها إلى الإيمان بهذا الحديث؛ لأنه من أمور الغيب، وقد علمنا أن أول صفة للمؤمنين حقاً هو ما قاله الله **عَزَّ وَجَلَّ** أنفاً في الآية آية البقرة: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [سورة البقرة: ٣] فالإيمان بالغيب أمر هام جداً، يمتحن الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** عباده بمثل هذه الأحاديث الصحيحة، وحديث الجساسة لا شك في صحته لسببين اثنين:

الأول: أنه رواه مسلم في صحيحه.

والآخر: أننا لم نجد في إسناده مغمزاً أو مطعنًا، ولذلك فلا يجوز للمسلم أن يتفلسف عليه، وأن يقول: معقول أو غير معقول أو ما شابه هذا الكلام الذي لا يخرج ممن آمن بالغيب حقًا، هذا جواب حديث الجساسة.

ويقال مثلاً: يتعارض مع حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «لا يأتي على رأس مائة سنة ممن هو على ظهر الأرض الآن» قيل: بأن الدجال مستثنى من هذا الحديث، وقيل: بأن وجود الدجال كان بعد قول النبي ﷺ هذا الحديث، وقيل غير ذلك.

وفي هذا الحديث في بعض طرقه أنها استشارته في معاوية وفي أبي الجهم، قال: «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو الجهم فإنه لا يضع العصا عن عاتقه»، وفي هذا دليل لما يذكره أهل العلم من الجرح والتعديل، وأن هذا من الدين، وكذلك النصيحة ليست من الغيبة في شيء، أما معنى صعلوك أي: قليل المال، ليس فيها مطعن في معاوية رضي الله عنه.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٢٣ - (٢٩٤٣) حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍو، يَعْنِي الْأَوْزَاعِيَّ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيْطُونُهُ الدَّجَالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقَبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِينَ تَحْرُسُهَا، فَيَنْزِلُ بِالسَّبْحَةِ فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»^(١).

١٢٣ - (٢٩٤٣) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٨٨١).

فَذَكَرَ نَحْوَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَيَأْتِي سَبْخَةُ الْجُرْفِ فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ. وَقَالَ: فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ».

قد جاء حديث عند أحمد^(١): «يَوْمُ الْخَلَاصِ وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ، يَوْمُ الْخَلَاصِ وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ»، ثلاثاً، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ؟ فذكر لهم النبي صل الله عليه وسلم: «يجيء الدجال، فيصعد أحدًا، فيطلع فينظر إلى المدينة، فيقول لأصحابه: ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد، ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب من نقابها ملكًا مصلنًا، فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه، فتخلص المدينة، وذلك يوم الخلاص»، الحديث في (الصحيح المسند)^(٢).
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي بَقِيَّةِ مِنْ أَحَادِيثِ الدَّجَالِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢٤ - (٢٩٤٤) حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ، عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَمِّهِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَّبِعُ الدَّجَالُ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا، عَلَيْهِمُ الطِّيَالِسَةُ».

(يَتَّبِعُ الدَّجَالُ) حين خروجه لفتنته.

(من يهود أصبهان) في إيران، وهم موجودون ومتوافرون، وسيكونون من أشد الناس نصرة للدجال، بأنفسهم وأحوالهم.
(عَلَيْهِمُ الطِّيَالِسَةُ) نوع من الأكسية تجعل على العمام.

(١) عند أحمد، حديث رقم: (١٨٩٧٥)، عن محجن بن الأدرع رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حديث رقم: (١١٠١).

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٢٥ - (٢٩٤٥) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، حَدَّثَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي أُمُّ شَرِيكِ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيَفْرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ فِي الْجَبَالِ»، قَالَتْ أُمُّ شَرِيكِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «هُمْ قَلِيلٌ».

١٢٥ - (٢٩٤٥) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

(لَيَفْرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ فِي الْجَبَالِ) خوف من الفتنة وخوف بطشه لمن ثبت على دينه.

(هُمْ قَلِيلٌ) قللتهم الحروب والفتن، وكثرة الأعداء، وكثرة المتربصين، نسأل الله السلامة والعافية.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٢٦ - (٢٩٤٦) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْخَضْرَمِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، يَعْنِي ابْنَ الْمُخْتَارِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ رَهْطٍ مِنْهُمْ أَبُو الدَّهْمَاءِ، وَأَبُو قَتَادَةَ قَالُوا: كُنَّا نَمُرُّ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ نَأْتِي عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: إِنَّكُمْ لَتَجَاوِزُونِي إِلَى رَجَالٍ مَا كَانُوا بِأَحْضَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِحَدِيثِهِ مِنِّي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ».

١٢٧ - (٢٩٤٦) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّقِّيُّ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ ثَلَاثَةِ رَهْطٍ مِنْ قَوْمِهِ فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ قَالُوا: كُنَّا نَمُرُّ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، إِلَى عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ. بِمِثْلِ حَدِيثِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُخْتَارِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ».

(إِنَّكُمْ لَتَجَاوِرُونِي إِلَى رَجَالٍ مَا كَانُوا بِأَحْضَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِحَدِيثِهِ مِنِّي) فيه أن الإنسان أحيانا قد يبين للناس فضيلته ومنزلته من أجل أن يأخذوا العلم منه، أو يستفيدوا منه، لا سيما إذا شعر منهم زهدا فيه، وهو من أصحاب الخير والعلم.

(مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ) يعني فتنة أكبر من الدجال، نسأل الله السلامة والعافية، وذلك أن فتنته ليست بالسهلة، لا يسلم منها إلا خالص أهل الإيمان، وفي حديث حذيفة: **«مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلْيُنْأَ عَنْهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ، وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَمَا يَزَالُ بِهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ مِمَّا يَبْعَثُ مَعَهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ»**^(١).

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٢٨ - (٢٩٤٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ»**.

١٢٩ - (٢٩٤٧) حَدَّثَنَا أُمِيَّةُ بْنُ بَسْطَامَ الْعَيْشِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ زِيَادِ بْنِ رِيَّاحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوصَّةَ أَحَدِكُمْ»**.

١٢٩ - (٢٩٤٧) وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

(بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ) سارعوا بها الفتن.

(سِتًّا) ليست على الحصر ولكنها أشدها.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٩٨٧٥)، عن عمران بن حصين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(الدَّجَالُ) وقد تقدم ذكر شأنه.

(والدُّخَانُ) الذي يأخذ بالمشرّكين.

(والدَّابَّةُ) وقد تقدم ذكرها.

(وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا) وهي من آخر العلامات.

(خَاصَّةً أَحَدِكُمْ): الموت، (أَوْ أَمْرُ الْعَامَّةِ): القيامة.

يعني بادروا بالأعمال قبل أن تأتي هذه الأمور العظام، فمن أسباب السلامة من فتنة الدجال: المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن يأتي الدجال بفتنته العظيمة المدلهمة السيئة، التي لا يسلم منها إلا من سلمها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ فَضْلِ الْعِبَادَةِ فِي الْهَرَجِ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٣٠ - (٢٩٤٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (ح) وَحَدَّثَنَاهُ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ الْمُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ رَدَّهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ رَدَّهُ إِلَى مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، رَدَّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ».

١٣٠ - (٢٩٤٨) وَحَدَّثَنِيهِ أَبُو كَامِلٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

(الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ) يعني العبادة في شدة الفتن كهجرة إلى النبي ﷺ، وذلك لكثرة المؤذيات والملهيات، والمبعدات، فيجاهد المرء ربه في السلامة من ذلك كله، فمن أسباب السلامة من الفتن كثرة العبادة، ومن أسباب الربط على القلوب كثرة العبادة، ومن أسباب الاحتساب كثرة العبادة، فإن الله **عَزَّ وَجَلَّ** مع العبد إذا دعاه ورجاه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ قُرْبِ السَّاعَةِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣١ - (٢٩٤٩) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، يَعْنِي ابْنَ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْأَقْمَرِ، عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شَرَارِ النَّاسِ» ^(١).

تقدم في كتاب الإيمان حديث أنس: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ»، أي تقوم على الكفار، الذي مع كفرهم، يتسافدون تسافد الحمر، وهم شر الخلق كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣٢ - (٢٩٥٠) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، (ح) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ: أَنَّهُ سَمِعَ سَهْلًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ وَالْوُسْطَى - وَهُوَ يَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا» ^(٢).

(يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ): السبابة.

هذا دليل على أن بعث النبي ﷺ من علامات الساعة الصغرى.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٠٦٦).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٩٣٦).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٣٣ - (٢٩٥١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» ^(١).

قَالَ شُعْبَةُ وَسَمِعْتُ قَتَادَةَ يَقُولُ فِي قَصَصِهِ: كَفَضَلِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، فَلَا أَذْرِي أَذَكَرَهُ عَنْ أَنَسٍ، أَوْ قَالَ قَتَادَةُ.

١٣٤ - (٢٩٥١) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، (يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ، وَأَبَا التَّيَّاحِ يُحَدِّثَانِ: أَنَّهُمَا سَمِعَا أَنَسًا يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا»، وَقَرَنَ شُعْبَةُ بَيْنَ إِضْبَعَيْهِ الْمُسَبَّحَةِ وَالْوُسْطَى يَحْكِيهِ.

١٣٤ - (٢٩٥١) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهِذَا.

١٣٤ - (٢٩٥١) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ حَمْزَةَ، يَعْنِي الضَّبِّيَّ، وَأَبِي التَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِهِمْ.

١٣٥ - (٢٩٥١) وَحَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ الْمُسَمَعِيُّ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَعْبُدٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» قَالَ: وَضَمَّ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى.

يعني أنه وقت متقارب، ومع ذلك كم قد مضى من مبعث النبي ﷺ إلى يومنا هذا

قريب ١٤٦٠ وأنا أكتب في ذلك في سنة ١٤٤٦ من الهجرة

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٠٤).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣٦ - (٢٩٥٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ الْأَعْرَابُ إِذَا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ، مَتَى السَّاعَةُ؟ فَتَنَظَّرَ إِلَى أَحَدِثِ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ فَقَالَ: «إِنْ يَعْشُ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ، قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ»^(١).

١٣٧ - (٢٩٥٣) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ وَعِنْدَهُ غُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ يَعْشُ هَذَا الْغُلَامُ، فَعَسَى أَنْ لَا يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٢).

١٣٨ - (٢٩٥٣) وَحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ، (يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ)، حَدَّثَنَا مَعْبُدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَنْزِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُنَيْهَةً، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى غُلَامٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ فَقَالَ: «إِنْ عُمَرَ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، قَالَ: قَالَ أَنَسٌ: ذَاكَ الْغُلَامُ مِنْ أَتْرَابِي يَوْمَئِذٍ.

١٣٩ - (٢٩٥٣) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَكَانَ مِنْ أَقْرَابِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ يُوَخَّرَ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥١١).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦١٦٧).

(سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ) بعضهم يسأل لإرادة العلم، وأما الذين عند النبي ﷺ قد علموا أن الله غيبها، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۚ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ۚ﴾ (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا ۚ﴾ [سورة النازعات: ٤٢-٤٥].

(إِنْ يَعْشُ هَذَا لَمْ يَذَرِكُهُ الْهَرَمُ) لطفل فيهم.

(قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ) أي: موتكم أنتم، ليس معناه أنها الساعة التي هي القيامة الكبرى التي يحشر إليها الناس جميعا؛ لأن هذه الساعة قد أخبر النبي ﷺ عن أمارات لها تحتاج إلى عمر مديد.
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٠ - (٢٩٥٤) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يُبْلَغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ اللَّقْحَةَ، فَمَا يَصِلُ الْإِنَاءُ إِلَىٰ فِيهِ حَتَّىٰ تَقُومَ، وَالرَّجُلَانِ يَتَبَايَعَانِ الثُّوبَ فَمَا يَتَبَايَعَانِهِ حَتَّىٰ تَقُومَ، وَالرَّجُلُ يَلْطُ فِي حَوْضِهِ فَمَا يَصْدُرُ حَتَّىٰ تَقُومَ»^(١).

(يَحْلُبُ اللَّقْحَةَ) يعني من الإبل، أو من البقر، أو من الغنم.

(فَمَا يَصِلُ الْإِنَاءُ إِلَىٰ فِيهِ حَتَّىٰ تَقُومَ) أي لسرعتها.

وتقوم وهم أشد الناس اختلافا، وأشد الناس حرصا على الدنيا، يخصمون ويختلفون، كما قال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿﴾ [يس: ٤٩-٥٠].

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٠٦).

قال رحمه الله:

بَابُ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٤١ - (٢٩٥٥) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ «ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ»، قَالَ: «وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

١٤٢ - (٢٩٥٥) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ، يَعْنِي الْجَزَامِيَّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنْبِ، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ».

١٤٣ - (٢٩٥٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنْبِهِ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا، فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالُوا: أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «عَجْبُ الذَّنْبِ».

(مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ) ولم يحدد ما هي.

(أَبَيْتُ) أبى أن يحدثكم، لعله ليس عنده علم.

(ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ) تقدم من حديث عبد الله بن عمرو.

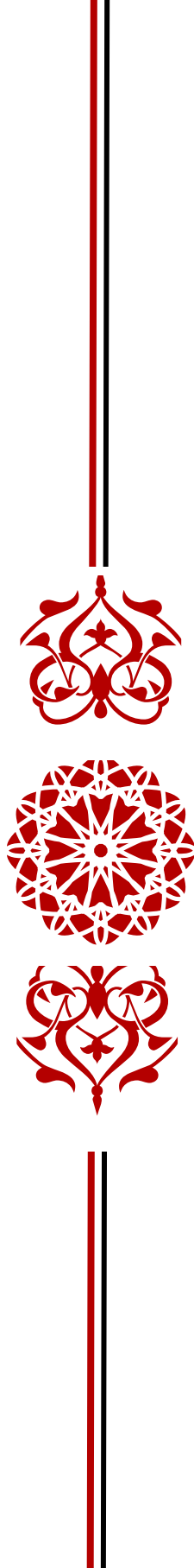
عمرو.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٨١٤).

هذا على الغالب، وإلا فإن هناك أناس لا تأكلهم الأرض، منهم الأنبياء، «فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»، وهناك شهداء قد علم بالنظر أن الأرض لم تأكلهم، إلى غير ذلك، ومع ذلك هذا عام مخصوص؛ لما أشرنا إليه.

انتهيت في الثالث عشر من شهر ذي القعدة لعام خمسة وأربعين وأربعمائة وألف من كتاب الفتن وأشراط الساعة من صحيح الإمام مسلم ويليه كتاب الزهد والرقاق، والحمد لله رب العالمين.



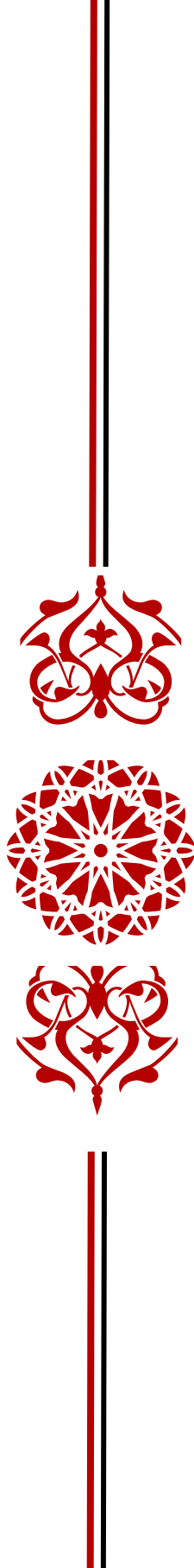


كتاب الزهد والرفاق

الإمام

شرح

صحيح مسلم بن الحجاج



كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ

أي هذا كتاب فيه شيء مما يزهد الإنسان في هذه الحياة، ويرغبه في الحياة الآخرة، والزهد هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، قال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل. وقد ألف العلماء في الزهد كتباً مستقلة ومطولات، جمع فيها من أحاديث النبي ﷺ، ومن أقوال السلف، وسيرهم، الخير الكثير، ومن ذلك: (الزهد) لأحمد بن حنبل، و(الزهد) لوكيع، و(الزهد) لابن المبارك، وهناك كتب أخرى في هذا الباب. وهكذا الرقائق الأحاديث والآيات التي ترقي القلوب؛ لأن فساد القلب بالقسوة ويخوف القلب بأدلة التخويف، ويبشر بأدلة الرجاء، فإذا حصل له الرقة انقاد للنصائح والتوجيهات.

وكتاب الرقاق في صحيح البخاري بدأه بحديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثيرا من الناس: الصحة والفراغ»، وتكلم بأحاديث كثيرة طيبة. ومن أحسن كتب الرقاق والزهد كتاب (رياض الصالحين)، وما في بابه من الكتب المطولة والمختصرة.

و(الرقاق)؛ قال الحافظ في "الفتح" (١١/ ٢٢٩): الرقاق والرقائق جمع رقيقة وسميت هذه الأحاديث بذلك لأن في كل منها ما يحدث في القلب رقة قال أهل اللغة الرقة الرحمة وضد الغلظ ويقال للكثير الحياء رق وجهه استحياء وقال الراغب متى كانت الرقة في جسم فضدها الصفاقة كثوب رقيق وثوب صفيق ومتى كانت في نفس فضدها القسوة كرقيق القلب وقاسي القلب وقال الجوهري وترقيق الكلام تحسينه. اهـ ويحتاج الإنسان إلى دراسة هذه الكتب؛ لترقيق قلبه، ولإصلاح نفسه، فإن القلب يقسو، ويغفل ويلهو، ويطول أمله، ويقل عمله، فإذا قرأ الزهديات زاد إيمانه وخوفه، وعظم رجاءه، وحصل له الخير العظيم، فإن الزهد في الدنيا مفتاح كل خير، والرغبة في الدنيا مفتاح كل شر وضير.

ولذلك حذر الله **عَزَّوَجَلَّ** في آيات كثيرات وحذر النبي **ﷺ** في أحاديث بليغات من فتنة الدنيا: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ [سورة آل عمران: ١٤]، ذكر في هذه الآية مجموعة فتنة الدنيا، المراكب، والمناكب، والأموال، والمساكن، والأبناء، ونحو ذلك، ﴿ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ [سورة آل عمران: ١٤] لمن اتقاه، ورجاه، وأصلح حاله معه، حيث قال: ﴿قُلْ أُوْنِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْعُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١ - (٢٩٥٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي الدَّرَاوَرْدِيَّ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ».

ومفهوم الحديث: أن الآخرة سجن الكافر وجنة المؤمن، ومهما حصّل الإنسان في هذه الدنيا من كثرة وسعة فالمؤمن في سجن بالنسبة إلى ما ينتظره في الآخرة من خير ونعيم، ومهما ضُيق على الكافرين في هذه الدنيا فهو في جنة بالنسبة إلى الآخرة، وما فيها من عذاب أليم، حتى القبر بالنسبة إلى الآخرة يروونه أهون، ولذلك حين يُضعون في قبورهم وتتخالف أضلاعهم ويأتيهم من حر النار ويرونها يقولون: رب لا تقم الساعة، مع ما هم فيه من سوء الحال.

وقد سأل رجل من اليهود الحافظ ابن حجر **رَحِمَهُ اللهُ** وقال: أنتم تقولون: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ألم تر ما أنا فيه من ضيق الحال؟ فأني جنة أنا فيها؟ فقال له: أنت الآن بالنسبة للآخرة كأنك في الجنة، وذكر له نحو ما ذكرت آنفا، فما كان منه إلا أن دخل في الإسلام.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: مَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ مَسْجُونٌ مَمْنُوعٌ فِي الدُّنْيَا مِنَ الشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَةِ، مُكَلَّفٌ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ الشَّاقَّةِ، فَإِذَا مَاتَ اسْتَرَاحَ مِنْ هَذَا، وَانْقَلَبَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ النَّعِيمِ الدَّائِمِ، وَالرَّاحَةِ الْخَالِصَةِ مِنَ التَّقْصَانِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّمَا لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا حَصَلَ فِي الدُّنْيَا مَعَ قَلْبِهِ وَتَكْدِيرِهِ بِالْمُنْغَصَّاتِ، فَإِذَا مَاتَ صَارَ إِلَى الْعَذَابِ الدَّائِمِ، وَشَقَاءِ الْأَبَدِ. اهـ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللهُ:**

٢ - (٢٩٥٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، يَعْنِي ابْنَ بِلَالٍ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسِ كَثْفِهِ، فَمَرَّ بِجَدِي أَسْكَ مَيْتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدَرَاهِمٍ؟**» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «**أَتَحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَسْكَ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيْتٌ؟ فَقَالَ: «**فَوَاللَّهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**».

٢ - (٢٩٥٧) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنْزِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَزْرَةَ السَّامِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، يَعْنِيانِ الثَّقَفِيُّ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ الثَّقَفِيِّ: فَلَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ هَذَا السَّكُّ بِهِ عَيْبًا.

(جعفر) بن محمد بن علي بن الحسين، الملقب بالباقر، وأبوه محمد الملقب بالصادق، والرافضة ذموا البخاري: لماذا لم يخرج للصادق؟ حتى قال قائلهم: قضية أشبه بالمرزئوة هذا البخاري إمام الفئة

بالصادق المصدق ما احتج في صحيحه واحتج بالمرجئة
قُلامَة من ظفر إبهامه تعدل من مثل البخاري مائة
والبخاري ليس بمكلف بالإخراج لكل ثقة، وإلا فالرجل ثقة، من أهل السنة وليس
من الشيعة في سرد ولا ورد.

(وَالنَّاسُ كَنَفِيَّةٌ) يعني يحيطون به.

(فَمَرَّ بِجَدِّي أَسَكَّ) أي صغير الأذنين.

وهذا السبيل الذي سلكوه مع النبي ﷺ من أحسن ما يسلك مع كبير يُمشى معه؛
حتى لا يضطر إلى الالتفات هاهنا وهاهنا، ويتعد هذا عن سماعه وهذا عن سماعه.
(فَتَنَّاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ) دليل على طهارته.

(مَا نَحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشْيَةٍ) ميت، وأيضا ليس بذاك في خلقته.

(قَالَ: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟) أي مجان.

(فَوَاللَّهِ، لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ) ومع ذلك يتنافس الناس فيها
ويتقاتلون، ويتهاجرون، ويتقاطعون، ويتدابرون من أجلها.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣ - (٢٩٥٨) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ
أَبِيهِ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَكُمُ الشَّكَاوَةُ﴾ [سورة التكاثر: ١] قَالَ: «يَقُولُ
ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي»، قَالَ: «وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ
لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ».

٣ - (٢٩٥٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ،
حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، وَقَالَا جَمِيعًا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى،

حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا أَبِي كُلُّهُمْ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ هَمَّامٍ.

(وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿الْهَكْمُ الْكَاثِرُ﴾) سورة التكاثر، ﴿الْهَكْمُ الْكَاثِرُ﴾ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْمَلُونَ عَمَلًا يَتَّقِينَ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتَسْكُنَنَّ يَوْمَئِذٍ النَّارَ ⑧ [سورة التكاثر: ١-٨].

(يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي) بلسان المقال أو الحال يقول ذلك، متبجحاً مستكثراً.

(إِلَّا مَا أَكَلْتُ فَأَفْنَيْتُ) ما أكلت من الطعام فخرج عذرة لا يستفاد منه.

(أَوْ لَبَسْتُ فَأَبْلَيْتُ) صار مقطوعاً قليل الفائدة.

(أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتُ) إلى الله عزَّ وجلَّ والدار الآخرة، وهذا هو القليل الذي يتصدق

ويقرب لنفسه، وقد تقدم حديث عائشة فيما تصدقت به من الشاة فقال "بقيت كلها إلا كتفها".

والدنيا قد لعنها الله، «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما ولاةا، وعالم أو

متعلم»^(١)، وفي الحديث: «لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر عليها شربة ماء»^(٢).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤ - (٢٩٥٩) حَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مِيسَرَةَ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَأَقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكٌ لِلنَّاسِ».

(١) أخرجه الترمذي: (٢٣٢٢).

(٢) وأخرجه الترمذي: (٢٣٢٠).

٤ - (٢٩٥٩) وَحَدَّثَنِيهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِسْحَاقَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

(إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَقْنَى) يعني هذا في حينه.

(أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى) أخلق وأفسد وصار لا نفع فيه.

(أَوْ أَعْطَى فَأَقْتَنَى) من الصدقات ونحوها، هذا هو الذي ينفعه في آخره.

(وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ) لهم غرمه وعليه جرمه، إلا إذا كان قد

نصح لهم، وأخذه من حلال، والله المستعان، فالمال به يرفع الإنسان إلى أعالي الجنان، وبه يهوي إلى مهاوي النيران، فإذا أنفق في طاعة الله وأخذه من حله رُفع، قال فقراء المهاجرون: يا رسول الله سبق أهل الدثور بالأجور، بالدرجات العلا، والنعيم المقيم، أي أصحاب الأموال، وقد تقدم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥ - (٢٩٦٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، كِلَاهُمَا عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: يَحْيَى، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»^(١).

(يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ) حين يوجه إلى القبر (ثَلَاثَةٌ): أهله، يشيعونه، (وَمَالُهُ): خدمه وحشمه،

يودعونه، (وَعَمَلُهُ) إن كان صالحاً أو سيئاً، يبقى معه، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله يحاسب عليه ويجازى به، فإن كان من المؤمنين لقي الثواب العظيم، وجالسه رجل حسن المنظر والريح، يقول: من أنت؟ قال: أنا عمك الصالح، وإن كان من أهل

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥١٤).

الطلاح لقي رجلا سيء المنظر سيء الريح ويقول: أنا عملك السيء، كما في حديث البراء في قصة الاحتضار، أخرجه أحمد وغيره.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٦ - (٢٩٦١) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، يَعْنِي ابْنَ حَرْمَلَةَ بْنِ عِمْرَانَ التَّجِيبِيَّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّ الْمُسَوَّرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَمْرُو بْنَ عَوْفٍ وَهُوَ حَلِيفُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤْيٍ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِحَزْبَيْهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالِحَ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْصَرَفَ فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْنُكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟» فَقَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَبَشِّرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتُهُمْ»^(١).

٦ - (٢٩٦١) حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ جَمِيعًا عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِإِسْنَادِ يُونُسَ وَمِثْلِ حَدِيثِهِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ صَالِحٍ: «وَتُلْهِيكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ».

(حرملة بن يحيى بن عبد الله التجيبي) مصري.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣١٥٨).

(ابن وهب) مصري.

(يونس) مصري.

(أبو عبيدة بن الجراح) عامر بن الجراح، أحد العشرة المبشرين بالجنة.

(الْبَحْرَيْنِ) شرق الجزيرة، قطر الآن وما حولها من البلدان.

(فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ) أي كثير، وهذا من الفتوح العظيمة.

(فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) يطمعون أن يحصلوا شيئاً من هذا الرزق

الحلال الطيب، ويعلمون بأن النبي ﷺ كان كريماً باذلاً في وجهه.

(فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْصَرَفَ) أي سلم من صلاته.

(فَتَعَرَّضُوا لَهُ) بدون أن يكلموه بمرادهم، لكنه فهم.

(فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُمْ) علم مرادهم بالقرينة.

(أَبْشَرُوا) بحسن العطاء من هذا الذي جاء وغيره.

(وَأَمَّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ) يعني سَتُعْطُونَ منه، ولن يكتم عنكم، ولن يغيب عنكم، وهكذا

كان النبي ﷺ يقسمه في المسجد.

(فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ) فقد يكون معه السلامة والثبات على الدين وعدم

الانشغال بالدنيا.

(وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ) وفعلاً بسطت بعد ذلك في زمن عمر

بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث كثرت الفتوح، وسيقت إلى مدينة النبي ﷺ بيضاء الفرس

وصفراء الروم، وكثرت الأراضي والعبيد والإماء والأموال.

(كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) مثل فارس والروم، واليهود والنصارى.

(فَتَنَافَسُوهَا): تتنافسون في الدنيا (كَمَا تَنَافَسُوهَا) الذين من قبلكم.

(وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ) إما بالحروب فيما بينكم، وإما بقطيعة الأرحام وحصول

الفساد العريض، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ: «وَاتَّقُوا الشُّحَّ

فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»،
وفعلا كم من أناس بينهم الصحبة والألفة والمحبة والتعاون فإذا بسطت عليهم الدنيا
وإذا بهم يتهاجرون ويتقاطعون ويتدابرون، وربما تقاتلوا وقتلوا وقتلوا.
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧ - (٢٩٦٢) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ سَوَّادٍ الْعَامِرِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي
عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ: أَنَّ بَكْرَ بْنَ سَوَادَةَ حَدَّثَهُ: أَنَّ يَزِيدَ بْنَ رَبَاحٍ، هُوَ أَبُو فِرَاسٍ، مَوْلَى
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟»، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ
تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَبَاغِضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ
الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ».

(إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ) دليل من دلائل نبوة النبي ﷺ.
(أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟) يعني هل ستكونون كما كنتم معي أم يتغير حالكم؟
(عبد الرحمن بن عوف) وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، زهري.
(نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ) يعني نشكر الله ونحمده على نعمه العظيمة، وآلائه الكثيرة
الجسيمة.

(أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ) يكون منكم، يعني غير ما أمرتم به، وهو أنكم (تَتَنَافَسُونَ) في هذه
الدنيا، وظاهر التنافس أنه لكسب الأموال وتحصيلها من وجهها، لكن الواقع أنه يصل
بهم الحال إلى غير ذلك.

(ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ): يتمنى بعضكم زوال نعمة أخيه.
(ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ)؛ لأن بعد الحسد التدابر، فيبدأ الإنسان يضيق صدره على أخيه، فإذا
رآه ضاق، وإذا تحصل نعمة ضاق، فيحصل التدابر، والحال كما قال الشاعر:

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجه كسرها لا يجبرُ
بيداً تنافر الأبدان بتدابير القلوب.

(ثُمَّ تَبَاغُضُونَ) وكأن التدابر بعد التباغض؛ لأن البغض في القلب، ثم يقع التدابر
بالأبدان والأجسام، أو نحو ذلك.

(ثُمَّ) بعد هذه البلايا والرزايا التي تقع عليكم (تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ)
بالسيف، ونحوه، (فَتَجْعَلُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ) قتلاً.

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان شأنهم شأن خير، ومع ذلك الحديث دال على ما يكون
من الأمة أجمع، ليس فقط من الصحابة، وفعلاً حصلت حروب، وحصلت أمور يندى
لها الجبين وتسلط الكفار على المسلمين بسبب ذلك.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨ - (٢٩٦٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ قُتَيْبَةُ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ
يَحْيَى: أَخْبَرَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَزَامِيُّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ
وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ مِمَّنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ» ^(١).

٨ - (٢٩٦٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ
بْنِ مُنْبِهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي الزِّنَادِ سَوَاءً.

٩ - (٢٩٦٣) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ،
حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ،
وَوَكَيْعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٤٩٠).

«انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ»، قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: «عَلَيْكُمْ».

(إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ) من كثرة المال أو الجمال. (فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ مِمَّنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ) لأنه إذا نظر إلى من فوقه ازدري النعمة، وإذا نظر إلى من تحته عرف أنه في نعمة عظيمة، فمثلاً تجد كثيراً من طلاب العلم ربما ما عندهم كثير من المال والنقود ونحو ذلك، ويعانون من أشياء، لكن لو نظروا إلى غيرهم يحمدون الله، أنهم يسكنون بيوتا، ويأكلون ما تيسر، ويجعل الله في بركة، فهكذا في جميع الجوانب، انظر إلى من دونك، لا سيما في أمور الدنيا. أما في أمور الآخر انظر إلى من فوقك، أين أنت من قيام الليل وصيام النهار وحفظ القرآن والعمل بالعلم والدعوة إلى الخير؟

فالنظر إلى من فوقك في أمور الطاعات يجرك إلى الطاعات، والنظر إلى من فوقك في أمور الدنيا يجرك إلى التسخط، والنظر إلى من دونك في أمور الطاعات يجرك إلى الكسل والتواني والفتور تقول: لا زلت أحسن من فلان، فلان ما يصلي وأنا أصلي، ولكن ما تبالي بنوع القصور، والنظر إلى من دونك في أمور الدنيا يجعلك حامدا شاكرا لله.

فهذا دواء عظيم، من نبي كريم، أن الإنسان إذا أراد أن يرتاح من التطلعات في الدنيا فلينظر إلى من دونه، وإذا أراد أن يشمر إلى الآخرة فلينظر إلى من فوقه، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَتَذَكَّرُ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤]، ﴿وَإِنْ نَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤].

والواقع أن ما منا من أحد إلا ويرى عظيم نعمة الله عليه، لكن الإشكال: أن الكثير يريد أن يؤتيه الله الشيء الذي يطلبه في الوقت الذي يطلبه، وقد تقتضي الحكمة الإلهية عدم ذلك، فكم من امرأة يتنافس فيها خمسة ! وكل يسجد ويقول: يا رب زوجني

فلانة، لو حقق لكل واحد ما أراد كيف سيكون الحال؟ ولكن الله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، تسأله زوجة ييسر لك بزوجة غيرها، قد تكون تريد بنت فلان ييسر لك بنت فلان غيرها؛ لعلمه أنها تصلح لك، وهكذا في باب الرزق، وهكذا في باب المعاش، وكثير من الأمور.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٠ - (٢٩٦٤) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّبِلَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَآتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْ نُحَسِّنُ، وَجِلْدُ حَسَنٍ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ»، قَالَ: «فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ» أَوْ قَالَ: «الْبَقَرُ»، شَكََّ إِسْحَاقُ، «إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ أَوْ الْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ، وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عَشْرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: «فَآتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقْرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا».

قَالَ: «فَآتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ»، قَالَ: «فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُتِيَ هَذَانِ وَلَدَ هَذَا»، قَالَ: «فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ».

قَالَ: «ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مُسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ

الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحَقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدُرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَيَّ مَا كُنْتَ». قَالَ: «وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلُ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلُ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَيَّ مَا كُنْتَ».

قَالَ: «وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ شَاءَ أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلَيْتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»^(١).

هذا حديث عظيم، من قصص بني إسرائيل، وقد تكلمنا عليه بتوسع في شرحنا على رياض الصالحين، وهكذا في شرحنا لكتاب الأنبياء من صحيح الإمام البخاري، **وقلت** في كتابي فتح الوهاب شرح كتاب التوحيد:

قَوْلُهُ (إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ): بنو إسرائيل هم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -.

قَوْلُهُ (أَبْرَصَ): الأبرص هو الذي فيه البرص، وهو مرض يظهر في الجلد يؤدي إلى خروجه عن المعهود ببياض شديد يتأثر من الحر وغيره.

قَوْلُهُ (وَأَقْرَعَ): هو الذي تساقط شعر رأسه، وهذا فيه دليل على أن لون الجلد الطيب، والشعر من نعم الله العظيمة.

قَوْلُهُ (وَأَعْمَى): هو الذي ذهب بصره.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٦٣٥).

قَوْلُهُ (فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ): أي: يختبرهم، كما **قَالَ نِسَائِي:** ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] أي: يختبركم أيكم أحسن عملاً، و**قَالَ نِسَائِي:** ﴿اللَّهُ ۖ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢].

قَوْلُهُ (فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا): في صورة رجل؛ لأنه أوقع، **قَالَ نِسَائِي:** ﴿وَلَوْ جَعَلَنَّهُ مَلَكًا لَجَعَلَنَّهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩].

قَوْلُهُ (فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْ نُحَسِّنُ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَدَّرَنِي النَّاسُ بِهِ): انظروا إلى هذه النعم التي تتمتع بها؛ الألوان الحسنة والجلود الحسنة، ومع ذلك ربما لا نشكر الله عليها، نسأل الله أن يوفقنا لشكره وذكره وحسن عبادته.

قَوْلُهُ (قَالَ: فَمَسَحَهُ): أي: الملك مسح المريض.

قَوْلُهُ (فَذَهَبَ عَنْهُ قَدْرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا): أي: شفاه الله تعالى.

وَقَوْلُهُ (قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ - أَوْ الْبَقَرُ): هو الإبل، يأتي في السياقة.

قَوْلُهُ (شَكَ إِسْحَاقُ): أي: أحد رواة الحديث، وهو إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري.

قَوْلُهُ (فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشْرَاءَ): أي: حامل.

قَوْلُهُ (وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا): فيه: سؤال الله البركة، وفي حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، في دعاء الاستخارة: «اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الْأَمْرَ - ثُمَّ تُسَمِّيهِ بِعَيْنِهِ - خَيْرًا لِي فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - قَالَ: أَوْ فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - فَأَقْدَرُهُ لِي وَيَسِّرُهُ لِي، ثُمَّ بَارَكَ لِي فِيهِ»، أخرجه البخاري (٧٣٩٠)، فإذا أعطى الله البركة في الشيء نما وترعرع وزاد، والبركة هي وضع الخير الإلهي في الشيء.

قَوْلُهُ (قَالَ: فَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي

هَذَا الَّذِي قَدَرَنِي النَّاسُ بِهِ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأَعْطِي شَعْرًا حَسَنًا، فَقَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقْرُ - أَوْ الْإِبِلُ - فَأَعْطِي بَقْرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا: النوق يقال للحامل منها عشاء، وللبقرة يقال لها حامل.

قَوْلُهُ (فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ): وهذه نعمة عظيمة نسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يحفظ علينا أبصارنا، وكم من مبصر أعمى عن سبيل الله، وأعمى عن الإسلام، وكم من أعمى العيون مبصر القلب، فالشيخ ابن باز مثلاً، وقبله الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وغيرهم كثير ممن نفع الله **عَزَّوَجَلَّ** بعلومهم، وأعلى منارهم، ونفع بهم الإسلام والمسلمين وكانا فاقدين للعيون المبصرة، فالأعمى حقاً هو أعمى البصيرة، والمبصر حقاً هو الموفق للإسلام والإيمان، لكن مع ذلك ضعف البصر قد يؤدي إلى حرمان المرء من خيرات عظيمة، ولهذا جاء في الحديث: «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبِرَ، عَوَّضْتُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ»، يُرِيدُ: عَيْنَيْهِ. أخرجه البخاري (٥٦٥٣)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

قَوْلُهُ (فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ): فيه أن الشفاء والعافية بيد الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكان من دعاء النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي»، أخرجه أبي داود (٥٠٧٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**. ومنه: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا». أخرجه البخاري (٥٧٤٣)، عَنْ عَائِشَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**.

قَوْلُهُ (قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ. فَأَعْطِي شَاةً وَالِدًا، فَأُتِيَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ): وهذا من فضل الله العظيم، وللبركة التي وضعها في هذه النعم.

قَوْلُهُ (قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ): وهذا بعد زمن ليختبرهم فيما

مضى، من شأنهم.

قَوْلُهُ (فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، قَدْ انْقَطَعَتْ بَيْنَ الْجِبَالِ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أَسْأَلُكَ -بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبْلُغُ بِهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ لَهُ: الْحَقُّوقُ كَثِيرَةٌ): فيه: وجوب إعطاء ابن السبيل، ولهذا جعل الله **عَزَّوَجَلَّ** من مصارف الزكاة إعطاء ابن السبيل، وهو الذي ينقطع به المال في طريقه، واختلفوا في معناه، حتى قيل: نسب إلى ابن السبيل لكثرة سفره.

ومما يستدل به العلماء في هذا الباب:

إِنْ تَسْأَلُونِي عَنِ الْهَوَىٰ فَأَنَا الْهَوَىٰ وَابْنُ الْهَوَىٰ وَأَخُو الْهَوَىٰ وَأَبُوهُ

وبعضهم يقول: أنا ابن الحرب ربنتي صغيراً.

فقوله: وابن السبيل إضافة إلى كثرة أسفاره.

قَوْلُهُ (فَقَالَ لَهُ: الْحَقُّوقُ كَثِيرَةٌ): وهذا شأن البخلاء بحق الله **عَزَّوَجَلَّ**.

قَوْلُهُ (فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذُرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ** الْمَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ): انظر كيف كفر نعمة الله، وأضاف النعمة إلى نفسه وإلى آبائه وأجداده.

قَوْلُهُ (فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا، فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَيَّ مَا كُنْتُ): وتقدير الكلام أنه عاد إلى ما كان، وأصبح فقيراً، حقيراً.

قَوْلُهُ (قَالَ: وَآتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَيَّ مَا كُنْتُ. قَالَ: وَآتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بَيْنَ الْجِبَالِ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ شَاءَ أَتَبْلُغُ بِهَا فِي سَفَرِي) فيه: أنك تقول: إلا بالله، ثم بك، لا تقل: إلا بالله، وبك، ولا تقل: لا بلاغ لي إلا بك، فالأمر

يضاف إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، ثم إذا أردت أن تعطف على الله **عَزَّوَجَلَّ** غيره، يكون بحرف العطف (ثم) الذي يقتضي المغايرة.

قَوْلُهُ (فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي): فيه بيان لفضيلة هذا الرجل الصالح، حيث اعترف بنفسه كيف كانت حالته، فقبل أن يبادره الملك أنه يعرفه كيف كان، قال: كنت أعمى فرد الله علي بصري، فما زال يشكر نعمة الله عليه.

قَوْلُهُ (فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ) سبحانه الله! الموفق من وفقه الله، والمخذول من خذله الله، فانظر إلى هذا الموفق؟ **(خُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ)**، وهذا قد لا يوفق إليه الكرام فضلاً عن غيرهم من اللئام والبخلاء، فالكريم إذا جتته قد يعطيك، ويقول: خذ هذا استعن به، أما هذا لشدة معرفته بنعمة الله عليه، ولتوسيع الله عليه، قال: **(خُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ)**، كما يقول بعض الناس: المال مالك.

قَوْلُهُ (أَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ. أَخْرَجَاهُ): فيه إثبات صفة الرضا لله **عَزَّوَجَلَّ**، وهي من الصفات الفعلية، خلافاً لما تزعمه الأشاعرة والمعتزلة أن الله لا يُوصف بالرضا، وفيه إثبات صفة السخط لله **عَزَّوَجَلَّ**، وهو من الصفات أيضاً الفعلية المتعلقة بمشيئة الله **عَزَّوَجَلَّ**، فهو سخط يليق بجلاله، ورضا يليق بجلاله.

وفي الحديث من الفوائد على ما تقدم:

أن الله **عَزَّوَجَلَّ** قد يبلونا بالشر والخير، كما قال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾

[الأنبياء: ٣٥].

وأن أكثر الناس يكفر نعمة الله إلا القليل، **قَالَ تَبَّالِي: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾** [سبأ:

١٣].

وفيه: أن الشكر من أسباب دوام النعم، واستمرارها، **قَالَ تَبَّالِي: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ**

لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ [إبراهيم: ٧].

وفيه: أن على أصحاب الأموال في أموالهم حقوقاً، **قَالَ الْهَيْثِيُّ**: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥]، و**قَالَ الْهَيْثِيُّ**: ﴿وَعَاثُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، ومن حقه الزكاة، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤].

وفيه: جواز المسألة لمن انقطعت به السبل أو نزلت به الفاقة، والأصل في المسألة الحرمة، وفي "صحيح مسلم" (١٠٤٤)، عَنْ قَبِيصَةَ بِنِ مُخَارِقِ الْهَلَالِيِّ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: تَحَمَّلْتُ حِمَالَةً، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: «أَقِمِ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةَ رَجُلٍ، تَحْمَلُ حِمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاَحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا».

وفيه: جواز القصص، والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذ قص علينا من قصص بني إسرائيل إنما قصه للعبرة والعظة كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٩٩].

وفيه: أن الأصل في الإسرائيليات التوقف، إلا ما جاءت من طريق النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فإنه أخذها عن طريق الوحي، وهي حق.

وفيه: كثرة نعم الله **عَزَّوَجَلَّ** على عباده، **قَالَ الْهَيْثِيُّ**: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فمنها الشعر الحسن، والوجه الحسن والجلد الحسن واللون الحسن والكلام الحسن والصحة، وغير ذلك من النعم.

وفيه: أن الناس يتفاوتون في محبة الأشياء، فبعضهم يحب الإبل، وبعضهم البقر،

وبعضهم الغنم، وبعضهم الخيل، وبعضهم التجارة، وبعضهم الصناعة، وبعضهم الزراعة، وبعضهم ييسر للعلم.

وفيه: أن الناس قد يقذرون من كان على شاكلتهم، إذا ابتلي بشيء من التغير، ولو كان برائحة الفم أو باضطرابات البطن، أو بغير ذلك، فإن الناس يشمتون من بعضهم البعض إذا تغير الإنسان عن الخلقة السوية.

وفيه: أن الله **عَزَّجَلَّ** بيده الخير، فإذا شاء أن يشفي شفى، وفي الحديث «**لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ**»^(١)، فهذا الأبرص بمسحة شفاه الله.

وفيه كرامات الأولياء، وإن كان هذا ملك، فالملائكة من الأولياء، فإن هذا الملك لكرامته، مسح، فرد الله شعر الأقرع، ومسح فأذهب الله عنه مرضه، وهذا المسح متضمن للدعاء، وقد كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ربما داوى بعضهم بريقه، كما تفل لعلي ابن أبي طالب - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** لما كان أرمداً فشفاه الله، ولما جاءه عبد الله بن عتيك - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وقد انكسرت رجله في مقتل تاجر الحجاز، فردها الله عليه، ولما أعطى أبا دجانة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** تلك العصا وحولت إلى سيف، وكرامات الأولياء بابها واسع، ألف فيها اللالكائي، وألف فيها عبد الرقيب الإبي، وغيرهم. لكن الحذر من مثل كتاب كرامات الأولياء للنبهاني أو لليافعي ففيهما السم الزعاف.

وفيه: أن البركة من الله، فالله **عَزَّجَلَّ** حين بارك في أموال هؤلاء الثلاثة، نتجت في زمن سير، وأصبحوا أغنياء، **قَالَ نِسَائِي: «وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى»** [النجم: ٤٨]، أي: أغنى الإنسان، وأقناه، أي: أعطاه ما يقتنيه من الأموال والبقر والرقيق وغير ذلك.

وفيه في قوله (**فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ**): أن هذه إرادة كونية من حيث أن الله **عَزَّجَلَّ** أوقع بهم ما كان، وإرادة شرعية من حيث أن الله ابتلاهم بأوامر، فمنهم من طبق ومنهم من لم يطبق.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وفيه: أن الأعمال بالخواتيم وأن السعادة كل السعادة في رضى الله **عَزَّوَجَلَّ** عن العبد،
والشقاوة في سخطه وغضبه على العبد أسأل الله السلامة.
وفيه: تبشير المؤمن بما له عند الله **عَزَّوَجَلَّ** من الكرامة.
وفيه: جواز الاختبار للحاجة.
وفيه: فضيلة الكرم والجود فهو من أسباب بركة الأموال، إلى غير ذلك.
قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١١ - (٢٩٦٥) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ وَاللَّفْظُ لِإِسْحَاقَ، قَالَ عَبَّاسٌ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ، حَدَّثَنَا بُكَيْرُ بْنُ مِسْمَارٍ، حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ فَلَمَّا رَأَهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ، فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضْرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ».

(في إِبِلِهِ) أي في مزرعة من المزارع، وسعد بن أبي وقاص هو سعد بن مالك أحد العشرة المبشرين بالجنة.
(أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ) لعله جاءه في وقت لا يأتي فيه أحد، أو لعله رآه يمشي مشية تخوف منها.

(أَنْزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟) يعاتب أباه.
(فَضْرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ) كالمنكر عليه.
(اسْكُتْ) انكار المنكر وتأديب المخطئ.

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ) إثبات صفة المحبة لله **عَزَّوَجَلَّ**، وإثبات عظيم التقوى، وهي فعل المأمور وترك المحذور والصبر على المقدور، فالتقي هو من أولياء الله، **وَاللَّهُ**

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ [سورة يونس: ٦٢-٦٣].

(الْغَنَى): غنى النفس لا غنى العرض، فكم من إنسان غني العرض فقير النفس!، فإن جُمع له بينهما فحسن، كما قال النبي ﷺ: «**لا بأس بالغنى لمن اتقى، والصحة لمن اتقى خير من الغنى، وطيب النفس من النعيم**».

(الْخَفَى): الذي يتخفى بأعماله الصالحات، ويتقرب إلى الله عزَّجَل بالأعمال في السريات، وقد قال رسول الله ﷺ: «**الْبَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْبَاهِرِ بِالْصَّدَقَةِ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بِالْصَّدَقَةِ**»^(١).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢ - (٢٩٦٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ قَالَ: سَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ سَعْدٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، وَابْنُ بَشْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ قَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ نَأْكُلُهُ إِلَّا وَرَقُ الْجُبَلَةِ وَهَذَا السَّمُرُ، حَتَّى إِنْ أَحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الدِّينِ، لَقَدْ خَبْتُ إِذَا وَضَلَ عَمَلِي، وَلَمْ يَقُلْ ابْنُ نُمَيْرٍ: إِذَا^(٢).

١٣ - (٢٩٦٦) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَقَالَ: حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الْعِزَّى مَا يَخْلِطُهُ بِشَيْءٍ.

(وَاللَّهِ إِنِّي لَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وهذه فضيلة لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفضائله كثيرة، تقدم ذكر بعضها في كتاب الفضائل، فهو من أوائل

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٧٣٦٨)، عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٧٢٨).

من أسلم، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وقد أنزل الله **عَزَّوَجَلَّ** فيه قرآنا، وتوفي النبي **ﷺ** وهو عنه راض، وكان مجاب الدعوة، حسن السيرة.

(وَلَقَدْ كُنَّا نَعْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ نَأْكُلُهُ إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ)؛ لقلة الزاد، وقلة الحال، ومع ذلك صبروا فظفروا، وصبروا فوفاهم الله **عَزَّوَجَلَّ** أجورهم في دنياهم بالسعة والنصر والظفر، وفي آخرتهم بما وعدهم به رسول الله **ﷺ**.

(وَهَذَا السَّمَرُ) نوع من الشجر.

(حَتَّى إِنْ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ) أي بعير، ما هناك لحوم ولا دسوم ولا خبز. **(ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تَعَزُّونِي عَلَى الدِّينِ)** تعيره، وتتهمه في دينه واستقامته، حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، كما تقدم في كتاب الصلاة.

(لَقَدْ خِبتُ إِذَا وَضَلَّ عَمَلِي) إن كان كما يقولون، لحقته الخيبة وفساد العمل، لكنه لم يكن كما يقولون، فإذا كانت هذه التهمة قد حصلت لسعد بن أبي وقاص فكيف ترجو من أهل هذا الزمان أن يعرفوا لك قدرا وأن ينزلوك منزلتك؟ بل ستجد منهم الأذى والاحتقار والسخرية والحمد لله إن سلمت من أشد من ذلك.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

١٤ - (٢٩٦٧) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هَلَالٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا عُثْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتَ بِصَرْمٍ، وَوَلَّتْ حَدَاءً، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ يَتَصَابُهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُتَقَلُّونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا: أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَوَاللَّهِ لَتُمْلَأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ، مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَطَيْظٍ مِنَ الزَّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ،

حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَاتَزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا، فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيرًا، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةَ قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا مُلْكًا، فَسَتَخْبِرُونَ وَتَجَرَّبُونَ الْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا.

١٤ - (٢٩٦٧) وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سَلِيطٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَقَدْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ قَالَ: خَطَبَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ شَيْبَانَ.

١٥ - (٢٩٦٧) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ يَقُولُ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا طَعَامُنَا إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا.

(عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ) المازني السلمي، مهاجري بدري.

(فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ) مقتديا بالنبي ﷺ في افتتاح الخطب بالحمد والثناء.

(ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ): كلمة يؤتى بها للفصل بين المقدمة وما يليها.

(فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتُ بِصَرْمٍ): قد أعلمت وأخبرت، وظهر منها دلائل الانصرام.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَمَّا (آذَنْتُ) فِيهِمْ مَزَّةٌ مَمْدُودَةٌ وَفَتْحُ الذَّالِ أَيْ أَعْلَمْتُ، وَ(الصَّرْمُ)

بِالصَّوْمِ أَيْ الْإِنْقِطَاعُ وَالذَّهَابُ.

وَقَوْلُهُ: (حَدَّاءُ) بِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ ثُمَّ ذَالٍ مُعْجَمَةٍ مُشَدَّدَةٍ وَأَلْفٍ مَمْدُودَةٍ أَيْ

مُسْرَعَةٍ الْإِنْقِطَاعِ.

و(الصُّبَابَةُ) بِضَمِّ الصَّادِ الْبَقِيَّةُ الْيَسِيرَةُ مِنَ الشَّرَابِ تَبْقَى فِي أَسْفَلِ الْإِنَاءِ.

وَقَوْلُهُ: (يَتَصَابُهَا) أَيْ يَشْرَبُهَا. اهـ

(وَإِنَّكُمْ مُتَّقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا) وهي الآخرة، فمن كان في الجنة خلود فلا موت، ومن كان في النار خلود فلا موت.

(فَاتَّقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ) من الأعمال الصالحات، بها تكرمون وترفعون.

(أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ) أي من شفيرها وأعلاها.

(فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا) كما تقدم من حديث أبي هريرة.

(لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا)؛ لعظيم قعرها وبعده.

(وَوَاللَّهِ لَتَمْلَأَنَّ) كما قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه العزيز: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ

وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [سورة ق: ٣٠]، "يُلْقَى فِي النَّارِ وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ، فَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ".

(أَفَعَجِبْتُمْ؟) أي مما تسمعون.

(مَا بَيْنَ مَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ) أي: شَقِي الباب.

(مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً) وهذه سعة عظيمة.

(وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٍ مِنَ الرَّحَامِ)؛ لكثرة المؤمنين الذين يدخلون الجنة.

(وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أي أنهم سبعة، لو كانوا ثمانية سيقول:

ثامن ثمانية.

(مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ)؛ لقلة الحال.

(حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا) من أكل الشجر، وأكل الشجر متعب، حتى الذين هم مع

القات - أسأل الله أن يخلص اليمن منه - تشاهد أشداقهم قد قرحت، فالشجر في

الغالب إنما تأكله الدواب، وإنما يأكل الإنسان فواكهها وثمارها، وإن أكل شيئاً من

الشجر خاص للإنسان، كالخس والبقدونس، والجرجير، والبقل، وما في بابه من

الأعشاب خفيفة الشدة.

(فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَّقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ) سعد بن أبي وقاص الذي ذكر أنفا.

(فَاتَزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا)؛ لقلة اللباس.

(فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مَنَا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ) على بلد من البلدان أخلف الله عليهم في دنياهم، وقد بشرُوا في آخرهم بالخير العظيم. (وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيرًا) لأن الإنسان إذا عظم في نفسه وكان قليل العمل؛ دليل على خذلان الله عَزَّوَجَلَّ له، بينما إذا رأى ضعف نفسه وبادر إلى العمل الصالح عظم عند الله، وكان من أسباب ملازمة الخير. (وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوءَةً قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ) يعني يقع البدع والمحدثات، وينسى العلم، كما يعد الناس عن العهد النبوي.

(حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا مُلْكًا) هذا في باب الخلافة.

(فَسَتَجَبُّونَ وَتَجْرُبُونَ الْأَمْرَاءَ بَعْدَنَا) يعني حصل أمراء ربما لا يبالون بعظيم شأن حاجة أمتهم، ولا يبالون بإقامة دينهم، وغير ذلك، وقد قال رسول الله ﷺ: «لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا رَبَّكُمْ». أخرج البخاري

وعند أحمد من حديث كعب بن عجرة: "أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ"، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: "أَمْرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسِيرُوا عَلَيَّ حَوْضِي. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُرْبَانٌ - أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ - يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتِ النَّارِ، أَوْلَى بِهِ. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ: فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُؤَبِّقُهَا".

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦ - (٢٩٦٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا»، قَالَ: «فَيَلْقَى الْعَبْدُ فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍّ، أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأُسَوِّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعٌ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍّ، أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأُسَوِّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعٌ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، أَيُّ رَبٍّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَبِئْسَ بَحِيرٌ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذَا». قَالَ: «ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعَذِّرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُتَأَفِّقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْحَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١).

(هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟) يراها كل إنسان قد

خرج من البنيان.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٨٠٦).

(قَالَ الَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ، لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا أَحَدِهِمَا)

إثبات رؤية المؤمنين لربهم، ويكون في موطين: الموطن الأول: المحشر، والموطن الثاني: الجنة، وقد تكلمنا عن مسألة الرؤية في كتاب الإيمان، وفي غيره من الأبواب.

ومعنى (تُضَارُّونَ): تضامون، لا تزدهمون، لا يلحقكم مضرة، لا يلحقكم شك.

(فَيَلْقَى الْعَبْدَ) أي الله، ويثبت من أدلة اللقي الرؤية في قول عامة العلماء، (فَيَقُولُ):

(أَيُّ فُلٍ): ترخيم فلان.

(أَلَمْ أُكْرِمَكَ) بالمال ونحوه، (وَأُسَوِّدَكَ): أجعلك سيذا، إما في قومك، وإما في بيتك

(وَأَزْوَجَكَ) وهذا من عظيم النعم.

(وَأَسْخَرْتُ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ) تركبها، وتشرب من درها، وتأكل لحمها.

(وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرَبَّعَ) قد يكون هذا حكماً في بعض الناس، أو حكماً في جميعهم كل

بحسبه.

(فَيَقُولُ: أَفْظَنْتَ أَنْكَ مُلَاقِي؟ فَيَقُولُ: لَا) هذا الحديث دليل على أن اللقي يكون

برؤية.

(فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي): أتركك؛ لأن صفة النسيان بمعنى الزهول في حق الله

عَزَّوَجَلَّ منتفيه، وأما قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ نَسْأَلُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [سورة الجاثية:

٣٤] أي: نترككم.

(يَا رَبِّ، أَمَنْتُ بِكَ): أقررت، (وَبِكِتَابِكَ) القرآن، (وَبِرُسُلِكَ) كل بحسبه، منهم من

يؤمن بمحمد، وهم آخر الأمم، ومنهم من يكون قد آمن بغيره، والإيمان بمحمد ﷺ

يلزم منه الإيمان بجميعهم، والإيمان بعيسى كذلك، فمن كذب واحدا منهم فقد كفر

بهم جميعا، وهكذا في جميعهم.

(وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ) أي أتيت بأمور الإيمان.

(وَوَيْثَنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ) يعني يشني على نفسه.

(الآن نَبَعْتُ شَاهِدًا عَلَيْكَ) يشهدون هل كنت صادقًا أم كنت من الكاذبين؟
(وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟)؛ لأنه قد عمل أعمالًا ما رآه أحد.
(فَتَنْطِقُ فِخْذَهُ) وهي أول من يتكلم.

(وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ) كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ
أَفْوَاهِهِمْ وَتُغْمَقُ أَصْدَانُهُمْ وَنُفِثَ عَنْ أَسْفَلِهِمْ وَأَنْجَبَهُمْ إِمَّا يَنْهُمْ غَنًا﴾ [سورة يس: ٦٥].
(وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ) يعني أن المنافق يكذب في الدنيا والآخرة، والكافر كذلك يكذب
في الدنيا والآخرة، لكن هذا الموطن الذي اعترف أنه ما كان يظن أنه يلتقى الله أحد
المواطن التي ليس لديه إلا الاعتراف، وإلا قد قالوا: ﴿مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾
[سورة النحل: ٣٥]، ﴿مَا أَشْرَكْنَا﴾ [سورة الأنعام: ١٤٨]، إلى غير ذلك.

(وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ) فيه اثبات صفة السخط لله عزَّ وجلَّ، وهي من الصفات
الفعلية تليق بجلاله.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧ - (٢٩٦٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ بْنُ أَبِي النَّضْرِ، حَدَّثَنِي أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ
الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ الْمُكْتَبِ، عَنْ
فُضَيْلٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَضَحَكَ فَقَالَ:
«هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ،
يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِزُ
عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ
الْكَاتِبِينَ شُهَدَاءَ، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ،
قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَشُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ
أَنَاضِلُّ».

(أَلَمْ تُحَرِّنِي مِنَ الظُّلُمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى) ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت: ٤٦]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ٤٩].

(فَإِنِّي لَا أَجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي) ظن أنه يستطيع الخلاص بالمرأوغة كما يستطيع في الدنيا.

(فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا) مخبراً.
(وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهِودًا) ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [سورة الصافات: ٧٩-٨١]، وكما قال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، وقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

(فَيَقَالُ لِأَرْكَانِهِ): لجوارحه.

(انْطِقِي) بالشهادة عليه.

(بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا) يدعو عليهن.

(فَعَنُكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلُّ) يدافع، ومع ذلك قالت: ﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢١].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٨ - (١٠٥٥) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقُعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوَّتًا»^(١).

١٩ - (١٠٥٥) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَمْرُو النَّاقِدُ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقُعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ،

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٤٦٠).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»، وَفِي رِوَايَةٍ عَمْرٍو: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ».

١٩ - (١٠٥٥) وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ ذَكَرَ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ: «كَفَافًا».

(قُوتًا) بقدر ما يمسك الرمي من المطعم.

وقد استجاب الله هذه الدعوة، مع كثرة الأموال التي كانت تصل إلى النبي ﷺ، ربما فرقها في المسلمين، فيمسي وما في بيته طعمة لأحد.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠ - (٢٩٧٠) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامٍ بُرٍّ، ثَلَاثَ لَيَالٍ تَبَاعًا حَتَّى قُبِضَ ^(١).

٢٠ - (٢٩٧٠) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامٍ بُرٍّ، ثَلَاثَ لَيَالٍ تَبَاعًا حَتَّى قُبِضَ.

٢١ - (٢٩٧٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْأَخْرَانِ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا مِنْ خُبْزِ بُرٍّ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٤١٦).

٢٢ - (٢٩٧٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدٍ يُحَدِّثُ عَنْ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْرٍ شَعِيرٍ يَوْمَينِ مُتَابَعَيْنِ، حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

٢٣ - (٢٩٧٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَابِسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْرٍ بَرٍّ فَوْقَ ثَلَاثٍ.

٢٤ - (٢٩٧٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْرٍ الْبَرِّ ثَلَاثًا حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ.

٢٥ - (٢٩٧١) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ مِسْعَرٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ يَوْمَيْنِ مِنْ خُبْرٍ بَرٍّ، إِلَّا وَأَحَدُهُمَا تَمَرٌّ.

٢٦ - (٢٩٧٢) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: وَيَحْيَى بْنُ يَمَانَ حَدَّثَنَا عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: إِنْ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَنَمْكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بَنَارَ، إِنْ هُوَ إِلَّا التَّمَرُ وَالْمَاءُ ^(١).

٢٦ - (٢٩٧٢) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، وَابْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ: إِنْ كُنَّا لَنَمْكُثُ، وَلَمْ يَذْكُرْ آلَ مُحَمَّدٍ. وَزَادَ أَبُو كُرَيْبٍ فِي حَدِيثِهِ عَنْ ابْنِ نُمَيْرٍ: إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَا اللَّحِيمُ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٥٦٧).

ربما شبع مرة أو مرتين، لكن ثلاث ليال تباعاً لم تحصل لهم، وذلك؛ للحاجة، والقلّة، وهذا لما ادخره الله لهم في الآخرة، والعجب أن الكثير ممن يدعي أنه من آل محمد من أشد الناس حرصاً على الدنيا هذه الأيام، ويرجوها ويبحث عنها.

ودعوة النبي ﷺ: **(اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوَّةً)**، فإن كان يريد بالآل: أهله الذين كانوا معه من أزواجه ومن إليهم فالأمر ظاهر لما حصل لهم ولحق بهم حتى أرسل النبي ﷺ إلى كثير من زوجاته لإطعام ضيف ما وجد عندهن شيئاً، وإن كان الأمر لجميع آلِه فينبغي لمن رُزق هذا النسب الشريف أن يستقيم على الكتاب والسنة، وأن ينتظر من الله عزَّ وجلَّ الفرج، ولا يأخذ شيئاً إلا بحقه وبحله.

(قَالَ: وَيَحْيَى بْنُ يَمَانَ) أي: وحدثنا يحيى بن يمان.

(إِنْ هُوَ إِلَّا التَّمَرُ وَالْمَاءُ)؛ لقلّة ذات اليد، ونحن بحمد الله الآن والله أننا في سعة حال وفي خير عظيم، ربما أحدنا يأكل ثلاث وجبات في اليوم، بإدامها، بحسن طبختها، ومع ذلك تجد أحدنا يتسخط، ويدعي القلّة، والله المستعان.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٢٧ - (٢٩٧٣) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِي رَفِّي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كِبْدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ، لِي فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكَلَّمْتُهُ فَقَنِي^(١).

(رَفِّي) معروف ما توضع فيه الأشياء في عرض البيت ونحوه.

(ذُو كِبْدٍ): إنسان.

(إِلَّا شَطْرُ): قليل وبقياء من شعير، قال ابن أبي حازم: معناه نصف وسق.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٠٧٩).

(فَكَلَّمْتُهُ فَمَنِي) ولو تركته من الكيل لربما بقي معها أكثر، وهذا من بركة ما أبقاه النبي

ﷺ

قال النووي (١٨ / ١٠٧): قال القاضي وفي هذا الحديث أن البركة أكثر ما تكون في المجهولات والمبهمات وأما الحديث الآخر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فقالوا المراد أن يكيله منه لأجل إخراج النفقة منه بشرط أن يبقى الباقي مجهولا ويكيل ما يخرج لثلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٨ - (٢٩٧٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ.

قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالَتُ، فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَسْقِينَاهُ^(١).

٢٩ - (٢٩٧٤) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ، عَنْ ابْنِ قُسَيْطٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا شَبَعَ مِنْ خُبْزٍ وَرَيْتٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ.

٣٠ - (٢٩٧٥) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَكِّي الْعَطَّارُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ عَائِشَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٩٦٧).

الرَّحْمَنِ الْعَطَّارُ، حَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَجَبِيِّ، عَنْ أُمِّهِ صَفِيَّةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ شَبَعَ النَّاسُ مِنَ الْأَسْوَدَيْنِ التَّمْرِ وَالْمَاءِ ^(١).
٣١ - (٢٩٧٥) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ صَفِيَّةَ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ شَبَعْنَا مِنَ الْأَسْوَدَيْنِ الْمَاءِ وَالتَّمْرِ.

٣١ - (٢٩٧٥) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا الْأَشَجَعِيُّ، (ح) وَحَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ، كِلَاهُمَا عَنْ سُفْيَانَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِهِمَا عَنْ سُفْيَانَ: وَمَا شَبَعْنَا مِنَ الْأَسْوَدَيْنِ.

٣٢ - (٢٩٧٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَا: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ، يَعْنِيانِ الْفَرَارِيَّ، عَنْ بَرِيدٍ، وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّادٍ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، مَا أَشَبَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا ^(٢).

٣٣ - (٢٩٧٦) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ كَيْسَانَ، حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ مِرَارًا يَقُولُ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، مَا شَبَعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا.

(ثَلَاثَةُ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ) الهلال الأول والهلال الثاني وبداية الثالث.

(وَمَا أَوْقَدَ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارًا) أي: لطهي ونحوه، ثم أيضا لضوء، فإذا كان هذا حالهم كيف بالتبريد أيضا؟ ولكن مع ذلك رُزقوا الصبر في الصيف والصبر في

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٣٨٣).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٣٧٤).

الشتاء، على الحر وعلى القر، وصبر على القلة، وصبر على الضيقة، فكم لهم من أجور كثيرة مضاعفة !

(فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟) أي يطعمكم.

(الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ) مع أنهما ليسا بأسودين.

(وَكَاْنَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ) أي من إبل، أو من شاة، أو من بقر.

(فَكَانُوا يُرْسَلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا) إكراما له.

(فَيَسْقِيْنَاهُ): يشرب، ويطعم نساءه معه.

(وَزَيْتٍ) يأتدمنون بالزيت.

(حِينَ شَاعَ النَّاسُ) يعني توسع الناس في الفتوحات ونحوها وقُبِضَ النبي ﷺ قبل أن يتوسع معهم.

(مَا أَشَاعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَهُ) ومع ذلك كن صبوراً، ولهن من الله الأجر والمثوبات.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٤ - (٢٩٧٧) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَخْوَصِ، عَنْ سِمَاكِ قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: أَلَسْتُ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ. وَقُتَيْبَةُ لَمْ يَذْكُرْ بِهِ.

٣٥ - (٢٩٧٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا الْمَلَائِكِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، كِلَاهُمَا عَنْ سِمَاكِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ: وَمَا تَرْضَوْنَ دُونَ أَلْوَانِ التَّمْرِ وَالزُّبْدِ.

٣٦ - (٢٩٧٨) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ

يَخْطُبُ قَالَ: ذَكَرَ عُمَرُ مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنَ الدُّنْيَا فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: يَظُلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقْلًا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ.

(الدَّقْلُ) رديء التمر، فضلا عن جيده، وهو أكرم البشرية وأزكاها وخيرها وأفضلها، فالعبرة ليست بحسن المأكَل والمشارب، العبرة بالعلم والطاعة.

(ذَكَرَ عُمَرُ مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنَ الدُّنْيَا) أي: من السعة بعد موت النبي ﷺ، فصار لهم عبيد وإماء وأراضي.

(يَظُلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي) من الجوع.

(مَا يَجِدُ دَقْلًا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ) يعني تمرًا رديئًا فضلا عن طيبه وحسنا.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٧ - (٢٩٧٩) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ سَرْحٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو هَانِيءٍ: سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: أَلَاكَ أَمْرٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَلَاكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ. قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا. قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَجَاءَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَأَنَا عَنْدهُ فَقَالُوا: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، لَا نَفَقَةَ وَلَا دَابَّةً وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا شِئْتُمْ؟ إِنْ شِئْتُمْ رَجَعْتُمْ إِلَيْنَا فَأَعْطَيْنَاكُمْ مَا يَسَّرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ ذَكَرْنَا أَمْرَكُمْ لِلسُّلْطَانِ، وَإِنْ شِئْتُمْ صَبَرْتُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا»، قَالُوا: فَإِنَّا نَصِيرُ، لَا نَسْأَلُ شَيْئًا.

السند مسلسل بالمصريين.

(أَلَسْنَا مِنْ فَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟) كأنه يقول: ألسنا من فقراء المهاجرين فتأمرون لنا

بعطاء، وتشفعون لنا في شيء.

(أَلَكِ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟) هذه نعمة عظيمة.

(فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ) كان الغنى عندهم: أن يستغني بزوجة وسكن، أما كثير من

الناس الغنى عنده: أن يكون المال كثيرا.

(إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، لَا نَفْقَهُ وَلَا دَابَّةً وَلَا مَتَاعٍ) يشكون القلة.

(وَإِنْ شِئْتُمْ ذَكَرْنَا أَمْرَكُمْ لِلسُّلْطَانِ): شفّعنا لكم.

(وَإِنْ شِئْتُمْ صَبَرْتُمْ) على ما أنتم فيه، ولكم المثوبة.

الدنيا دار ابتلاء واختبار، لا سيما المسلم يحتاج أن يصبر أكثر من غيره؛ لأنه موعود

بالنصر والظفر، وموعود من الله **عَزَّجَلَّ** بالخير العظيم.

وأیضا إذا نظرت إلى من دونك من الناس رأيت أنك في خير، ربما أنت أعزب لكن

ما تحتاج إلى عمل حتى تتعب وتكدح؛ لتقيت نفسك وتعيّل نفسك، وربما كنت

متزوجا دون غيرك في المال، لكنك بخير، غيرك أعزب ما حصل زوجة، وربما تكون

في سكن ربما فيه شيء من الضيق، لكن أحسن من غيرك، غيرك ربما في خيمة أو ربما

لا سكن له.

فالشاهد أن هذه الدنيا دار ابتلاء ودار اختبار، تحتاج منا إلى شيء من الصبر حتى

نلقى الله **عَزَّجَلَّ** وهو راض عنا، وهي أيام يسيرة، وأعوام قليلة، ثم هنيئا للمؤمنين

والموحدين، هنيئا لهم، والويل للكافرين والمنافقين.

(فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ) جاء في التفسير في قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ [سورة

المائدة: ٢٠]: من كان له دابة وبيت وزوجة فهو ملك، الحمد لله الزوجة نعمة لحالها.

«إِنَّ فَقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا» لكن بعد ذلك من كان من الأغنياء باذلاً في أوجه الخير ربما ارتفع فوقهم في المنزلة.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٨ - (٢٩٨٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ: أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِ الْحِجْرِ: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُعَذِّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ»^(١).

٣٩ - (٢٩٨٠) حَدَّثَنِي حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ وَهُوَ يَذْكُرُ الْحِجَرَ مَسَاكِينَ ثُمُودَ، قَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمَرَ قَالَ: مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْحِجْرِ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، حَذَرًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ»، ثُمَّ زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَفَهَا.

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِ الْحِجْرِ) أي قال لأصحابه حين مروا بالحجر، بلاد ثمود وهي مساكن قوم صالح، وكانت في طريق الصحابة حين توجهوا إلى تبوك.
(لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُعَذِّبِينَ) أي إلى مساكنهم، أو تأخذ من بقايا حاجاتهم، ولذلك أمرهم أن يتلفوا ما عجنوه من الطحين بماء تلك البلاد.
(إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ) لما حل بهم.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٣٣).

(أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ) من العذاب والنكال والشدة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْمُرَاقَبَةِ عِنْدَ الْمُرُورِ بِدِيَارِ الظَّالِمِينَ، وَمَوَاضِعِ الْعَذَابِ، وَمِثْلُهُ الْإِسْرَاعُ فِي وَادِي مُحَسِّرٍ لِأَنَّ أَصْحَابَ الْفِيلِ هَلَكُوا هُنَاكَ، فَيُنَبِّغِي لِلْمَارِّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْمُرَاقَبَةُ وَالْخَوْفُ وَالْبُكَاءُ، وَالْإِعْتِبَارُ بِهِمْ وَبِمَصَارِعِهِمْ، وَأَنْ يَسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. اهـ

(ثُمَّ رَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَفَهَا) يعني أسرع المشي حتى جعل تلك البلدة المغضوب عليها من خلفه، وبهذا تعلم أنه لا ينبغي عمارة تلك المساكن والبلاد بزراعة، ولا بنيان، ولا غير ذلك، فإن الأرض لها تأثير على من ينزل بها، كما أن الإنسان قد يتأثر بما حوله من الدواب والأنعام، فأخبر النبي ﷺ عن أهل الإبل بغلظة القلوب وقسوتها، وعن أهل الغنم برقة القلوب والسكينة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٠ - (٢٩٨١) حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى أَبُو صَالِحٍ، حَدَّثَنَا سُعَيْبُ بْنُ إِسْحَاقَ، أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ: أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْحَجْرِ أَرْضِ ثُمُودَ فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا وَعَجَنُوا بِهِ الْعَجِينَ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُهْرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا، وَيَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبُئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرُدُّهَا النَّاقَةُ ^(١).

٤٠ - (٢٩٨١) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَاسْتَقَوْا مِنْ بئَارِهَا وَاعْتَجَنُوا بِهِ.

(ثُمُودَ) ونيهم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٣٧٩).

وَمِنْهَا: لَوْ عَجَنَ مِنْهُ عَجِينًا لَمْ يَأْكُلْهُ بَلْ يَغْلِفُهُ الدَّوَابُّ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَجُوزُ عَلْفُ الدَّابَّةِ طَعَامًا مَعَ مَنَعِ الْإِدْمَى مِنْ أَكْلِهِ.

وَمِنْهَا: مُجَانِبَةُ آبَارِ الظَّالِمِينَ وَالتَّبَرُّكُ بِآبَارِ الصَّالِحِينَ. اهـ

أما قوله: (التَّبَرُّكُ بِآبَارِ الصَّالِحِينَ) فلا يوافق عليها، وإنما يشرب من الآبار والبركة من الله.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ وَالْيَتِيمِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٤١ - (٢٩٨٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْزَمَةِ وَالْمُسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، وَأَحْسِبُهُ قَالَ: «وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ»^(١).

(ثَوْرُ بْنُ زَيْدٍ) الديلي المدني، ثقة، وهو غير ثور بن يزيد القدري.

(السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ): الكاسب لهما، العامل لمؤنتهما، المنفق

عليهما، والأرملة: المرأة لا زوج لها، والمسكين: الفقير، ويدخل فيه اليتيم.

(كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أي في المعارك.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٣٥٣).

(وَكَاَلُ الْقَائِمِ لَا يَفْتَرُ) عن قيام الليل، (وَكَاَلُ الصَّائِمِ لَا يَفْطُرُ) بالنهار، فشأنه في عبادة في ليله ونهاره ما دام منفقا على الأرملة والمسكين واليتيم، وذلك؛ لما يلحقهم من الحاجة، «ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة».

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٤٢ - (٢٩٨٣) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ الدِّبَلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْغَيْثِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ»، وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى.

والمراد بكافله: الْقَائِمُ بِأُمُورِهِ مِنْ نَفَقَةٍ وَكِسْوَةٍ وَتَأْدِيبٍ وَتَرْبِيَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ الْفَضِيلَةُ تَحْصُلُ لِمَنْ كَفَّلَهُ مِنْ مَالِ نَفْسِهِ، أَوْ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ بِوِلَايَةٍ شَرْعِيَّةٍ.

وربما دخل أيضا فيمن كان سببا في كفالة اليتيم، فإن الدال على الخير له كأجر فاعليه.

قوله: (لَهُ) كأن يكون قريبا له، كجدّه، وأمه، وجدته، وأخيه، وأخته، وعمه وخاله، وعمته، وخالته، وغيرهم من أقاربه، والذي (لِغَيْرِهِ): أن يكون أجنبيا.

وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالإحسان إلى اليتيم بقوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [سورة الضحى: ٩].

قال رحمه الله:

بَابُ فَضْلِ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٤٣ - (٥٣٣) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ عِيسَى قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو، وَهُوَ ابْنُ الْحَارِثِ، أَنَّ بُكَيْرًا حَدَّثَهُ: أَنَّ عَاصِمَ بْنَ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ اللَّهِ الْخَوْلَانِيَّ يَذْكُرُ: أَنَّهُ سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ حِينَ بَنَى مَسْجِدَ الرَّسُولِ ﷺ: إِنَّكُمْ قَدْ أَكْثَرْتُمْ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا» قَالَ بُكَيْرٌ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: «يَتَّبِعِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ» وَفِي رِوَايَةِ هَارُونَ: «بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(١).

٤٤ - (٥٣٣) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، كِلَاهُمَا عَنِ الضَّحَّاكِ قَالَ: ابْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ: أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أَرَادَ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ فَكَرِهَ النَّاسُ ذَلِكَ، وَأَحْبَبُوا أَنْ يَدَعُهُ عَلَى هَيْئَتِهِ. فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ».

٤٤ - (٥٣٣) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الصَّبَّاحِ، كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِهِمَا: بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ.

(حِينَ بَنَى مَسْجِدَ الرَّسُولِ ﷺ): حين وسعه، وزاد فيه؛ لأن الناس كثروا.

(إِنَّكُمْ قَدْ أَكْثَرْتُمْ) إما أكثروا من الكلام: لماذا وسع فيه؟ أو أكثروا فيما له من الأجر

المثوبة.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٥٠).

وفي الحديث فضيلة الإخلاص، وفضل بناء المساجد، فهي أحب البقاع إلى الله، وقد تكلمنا على بعض أحكام المساجد في كتاب المساجد مما تقدم، وفي خارج الصحيح: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قِطَاةٍ لَبَيَّضُهَا، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(١)، ومن بنى الله له بيتًا في الجنة يوشك أن يدخله.

لكن هذا الحديث في حق من بنى من المسلمين مسجداً لله عَزَّ وَجَلَّ، أما ما يفعله بعض الكافرين من بناء المساجد لا سيما في الدعايات الانتخابية أو غير ذلك فهؤلاء لا يؤجرون، وهكذا ما يفعله المنافقون من بناء المساجد؛ لنشر النفاق والشركيات، والبدع والخرافات، هؤلاء لا يؤجرون، بل يؤزرون، ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ يَغِيرَ عَلَيْهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٥].

فالنصيحة لعمار المساجد بالبناء ونحوه: أن يسعوا في عمارتها بالسنة، والإيمان والعلم، والحكمة، والقرآن، أما أن يبني مسجداً فيسلمه لحزبي مفرق للأمة داعياً للخروج على الحكام، وأساء منه أن يبني مسجداً فيسلمه للصوفية، لا سيما عباد القبور منهم، وحتى أصحاب الموالد، لا يجوز تسليم المساجد لهم، أو يبني مسجداً يسلمه للرافضة، أو الباطنية، فهؤلاء يؤزرون ولا يؤجرون.

فإن النبي ﷺ قال: (مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ) ومساجد الله هي التي يذكر فيها اسمه، ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [سورة النور: ٣٦]، أما مساجد يذكر فيها الحسين ويدعى من دون الله، أو يذكر فيها الطواغيت ويدعون من دون الله، أو يقع فيها الرقص، ونحو ذلك من البدع والضلالات، فلا كان بها، نسأل الله السلامة والعافية.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٢١٥٧)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال رحمه الله:

بَابُ الصَّدَقَةِ فِي الْمَسَاكِينِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٤٥ - (٢٩٨٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَبَعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ، لِإِلَاسِمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَأْوُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتُ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلْثِهِ، وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلْثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلْثَهُ».

٤٥ - (٢٩٨٤) وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّبِيِّ، أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «وَأَجْعَلُ ثُلْثَهُ فِي الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ».

(بِفَلَاةٍ) المنطقة المتنحية عن المساكن.

(فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ) أي: مال إلى المكان الذي أمر به.

(فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ): مكان حجارة يكون فوق المزارع، فينسب الماء إلى المزرعة

التي هي تحتها.

(شَرْجَةٌ): المكان الذي يجري فيه الماء السائل.

(فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ) لم يتجاوز، وهذا من كرامات الأولياء.

(فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ) فعل الأسباب الشرعية والقدرية. (فَأَتَصَدَّقُ بِثُلْثِهِ، وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلْثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلْثَهُ) وهذه نعم القسمة، فلو أن أصحاب الزراعات وأصحاب التجارات سلكوا هذا المسلك لبارك الله لهم في أموالهم وفي زراعاتهم وفي تجارتهم، ولكن الواقع أن كثيرا من الناس يتلاعب بما قد توجب عليه من الزكوات والصدقات والحقوق، والله المستعان. وفيه أن الإنسان لا ينبغي أن يتصدق بماله كله، لا سيما إذا كان سيؤدي إلى حاجته وحاجة أبنائه.

وفيه أن الإنسان إذا أراد نمو تجارته وأراد نمو مزرعته أن لا ينفق جميع المال ثم إذا أراد أن يشتري بضاعة أخرى أو أراد زراعة لم يجد ما يقوم به، فلا بد من حسن الصنعة، سواء كان في التجارات، أو كان في الزراعات.

وقد أدركنا آباءنا وهم بعد حصاد الزروع يجعلون نوعا من الحبوب في جانب لا يأكلونه ولا يدفنون؛ لأنه إذا دُفن لا يصلح بعد ذلك للزراعة، فإذا جاء الموسم أخرجوا ما كانوا قد جهزوه للزراعة الأخرى، فيزرعون به، وإلا ربما يأتي الموسم ما عندك حَب، فماذا ستصنع؟

وفي هذا الحديث من الفوائد: تنبيه لما يفعله الكثير من الناس إذا لم يعرفوا الشخص قالوا: يا محمد، وهذا قد انتشر في دول الخليج انتشارا كثيرا، وربما تأثر بهم بعض الناس في غير تلك البلدان، وهذا غلط، فإن من لا يُعرف ليس اسمه بمحمد ولكن يقول: يا عبد الله، فالجميع عبید الله، فسینادی بعبد الله على صفته لا على اسمه، ولذلك قال هنا: (يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا اسْمُكَ؟)، فهكذا تقول: يا عبد الله افعل كذا، يا عبد الله ارجع، يا عبد الله كن كذا.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ: مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ،

وَفِي نُسْخَةٍ: بَابُ تَحْرِيمِ الرِّيَاءِ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٤٦ - (٢٩٨٥) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا رَوْحُ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرْكُهُ».

هذا الحديث قدسي، وهو من أشهر الأحاديث في التحذير من الرياء، هذا المرض العضال الذي قد لا يسلم منه أحد إلا من شاء الله عَزَّوَجَلَّ، والناس فيه بين أصحاب الرياء الأكبر الذي يخرج من الإسلام، وبين الرياء الأصغر الذي لا يخرج من الإسلام، ولكنه إن لازم العمل قد يؤدي إلى بطلانه.

وحال الناس مع الرياء:

النوع الأول: أن يتصل الرياء بالعمل من أوله إلى آخره، ولا يدافعه، فهذا يبطل العمل، لا سيما في العبادة المتصلة.

والنوع الثاني: أن يلزم العمل ثم يدافعه ويتخلص منه، فهذا لا شيء عليه.

النوع الثالث: أن يكون في عبادة غير متصلة، فما رآى فيها لا يثاب، بل يأثم، وما لم يرائي فيها يثاب، كمن من تصدق بعشرين على إخلاص وتصدق بعدها بثلاثين بدون إخلاص.

وأما صاحب الرياء الأكبر الذي لا يعمل العمل إلا للدنيا، ﴿فَأُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١٧]، وأما المرائي الرياء الأصغر فقد قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في كتابه (جامع العلوم

والحكم) (٨٢ / ١): وَأَمَّا إِنْ كَانَ أَصْلُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، ثُمَّ طَرَأَتْ عَلَيْهِ نِيَّةُ الرِّيَاءِ، فَإِنْ كَانَ خَاطِرًا وَدَفَعَهُ، فَلَا يَضُرُّهُ بَعْضُ خِلَافٍ، وَإِنْ اسْتَرْسَلَ مَعَهُ، فَهَلْ يُحْبِطُ بِهِ عَمَلُهُ أَمْ لَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ وَيَجَازَى عَلَى أَصْلِ نِيَّتِهِ؟ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ قَدْ حَكَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ، وَرَجَّحَا أَنَّ عَمَلَهُ لَا يَبْطُلُ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ يُجَازَى بِنِيَّتِهِ الْأُولَى وَهُوَ مَرْوِيُّ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَغَيْرِهِ. وَيُسْتَدَلُّ لِهَذَا الْقَوْلِ بِمَا خَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي "مَرَاْسِيلِهِ" عَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ بَنَيْ سَلَمَةً كُلُّهُمْ يُقَاتِلُ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُقَاتِلُ لِلدُّنْيَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُقَاتِلُ نَجْدَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُقَاتِلُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، فَأَيُّهُمْ الشَّهِيدُ؟ قَالَ: كُلُّهُمْ إِذَا كَانَ أَصْلُ أَمْرِهِ أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا». وَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ هَذَا الْاِخْتِلَافَ إِنَّمَا هُوَ فِي عَمَلٍ يَرْتَبِطُ آخِرُهُ بِأَوَّلِهِ، كَالصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ وَالْحَجِّ، فَأَمَّا مَا لَا ارْتِبَاطَ فِيهِ كَالْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ وَإِنْفَاقِ الْمَالِ وَنَشْرِ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَنْقَطِعُ بِنِيَّةِ الرِّيَاءِ الطَّارِئَةِ عَلَيْهِ، وَيَحْتَاجُ إِلَى تَجْدِيدِ نِيَّةٍ. وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الْهَاشِمِيِّ أَنَّهُ قَالَ: رُبَّمَا أُحْدِثَ بِحَدِيثٍ وَلِي نِيَّةٌ، فَإِذَا أَتَيْتُ عَلَى بَعْضِهِ، تَغَيَّرَتْ نِيَّتِي، فَإِذَا الْحَدِيثُ الْوَاحِدُ يَحْتَاجُ إِلَى نِيَّاتٍ. وَلَا يَرِدُ عَلَى هَذَا الْجِهَادُ، كَمَا فِي مُرْسَلِ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ، فَإِنَّ الْجِهَادَ يُلْزَمُ بِحُضُورِ الصَّفِّ، وَلَا يَجُوزُ تَرْكُهُ حِينَئِذٍ، فَيَصِيرُ كَالْحَجِّ. فَأَمَّا إِذَا عَمِلَ الْعَمَلُ لِلَّهِ خَالِصًا، ثُمَّ أَلْقَى اللَّهُ لَهُ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ، فَفَرِحَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَاسْتَبَشَرَ بِذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ. وَفِي هَذَا الْمَعْنَى جَاءَ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ «سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلَّهِ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ، وَخَرَّجَهُ ابْنُ مَاجَهَ، وَعِنْدَهُ: «الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلَّهِ فَيَحِبُّهُ النَّاسُ عَلَيْهِ». وَبِهَذَا الْمَعْنَى فَسَّرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَّةَ، وَابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُمْ. وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الَّذِي خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ، فَيَسْرُهُ، فَإِذَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ، أَعْجَبَهُ، فَقَالَ: لَهُ أَجْرَانِ: أَجْرُ السِّرِّ، وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ». وَلَنْقُصَرَ عَلَى هَذَا الْمَقْدَارِ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى الْإِخْلَاصِ وَالرِّيَاءِ،

فَإِنَّ فِيهِ كِفَايَةً. وَبِالْجُمْلَةِ، فَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ: لَيْسَ عَلَى النَّفْسِ شَيْءٌ أَشَقُّ مِنَ الْإِخْلَاصِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا فِيهِ نَصِيبٌ. وَقَالَ يُونُسُ بْنُ الْحُسَيْنِ الرَّازِيُّ: أَعَزُّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا الْإِخْلَاصُ، وَكَمْ أَجْتَهَدُ فِي إِسْقَاطِ الرِّيَاءِ عَنْ قَلْبِي، وَكَأَنَّهُ يَنْبُتُ فِيهِ عَلَى لَوْنٍ آخَرَ. وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ، ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا جَعَلْتَهُ لَكَ عَلَى نَفْسِي، ثُمَّ لَمْ أَفِ لَكَ بِهِ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا زَعَمْتُ أَنِّي أَرَدْتُ بِهِ وَجْهَكَ، فَخَالَطَ قَلْبِي مِنْهُ مَا قَدْ عَلِمْتَ. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٧ - (٢٩٨٦) حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سُمَيْعٍ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ رَأَى رَأْيَ اللَّهِ بِهِ»^(١).

٤٨ - (٢٩٨٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدُبًا الْعَلَقِيَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَسْمَعُ يَسْمَعِ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يَرَاهُ يَرَاهُ اللَّهُ بِهِ».

٤٨ - (٢٩٨٧) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا الْمَلَائِكِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بِهِذَا الْإِسْنَادِ، وَزَادَ: وَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا غَيْرَهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

٤٨ - (٢٩٨٧) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ سَعِيدٌ: أَظُنُّهُ قَالَ: ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي مُوسَى. قَالَ: سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ كُهَيْلٍ قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدُبًا، وَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرَهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، بِمِثْلِ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ.

٤٨ - (٢٩٨٧) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الصَّدُوقُ الْأَمِينُ الْوَلِيدُ بْنُ حَرْبٍ بِهِذَا الْإِسْنَادِ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٤٩٩).

التسميع: في المسموعات، يسمع بصوته، والمرأة بفعله، فعلى الإنسان أن يتقي الله **عَزَّوَجَلَّ**، ويراقبه، ويخلص له، في سره وجهره، فإن من مساوئ الرياء: حبوط العمل، ومن مساوئ الرياء: غضب الله **عَزَّوَجَلَّ** على العبد، ومن مساوئ الرياء: أن الإنسان ينشغل بالناس، ويعمل لهم، مع أن رضاهم لا ينفعه وذمهم لا يضر، ما لم يأذن الله **عَزَّوَجَلَّ**.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ مَنْ رَايَا بِعَمَلِهِ، وَسَمِعَهُ النَّاسَ لِيُكْرِمُوهُ وَيُعَظِّمُوهُ وَيَعْتَقِدُوا خَيْرَهُ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ النَّاسَ، وَفَضَّحَهُ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ مَنْ سَمِعَ بِعُيُوبِهِ وَأَذَاعَهَا، أَظْهَرَ اللَّهُ عُيُوبَهُ، وَقِيلَ: أَسَمِعَهُ الْمَكْرُوهَ، وَقِيلَ: أَرَاهُ اللَّهُ ثَوَابَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهُ لِيَكُونَ حَسْرَةً عَلَيْهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ النَّاسَ أَسَمِعَهُ اللَّهُ النَّاسَ، وَكَانَ ذَلِكَ حَظَّهُ مِنْهُ. اهـ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ التَّكَلُّمِ بِالْكَلِمَةِ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ

وَفِي نُسْخَةٍ: بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٩ - (٢٩٨٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا بَكْرٌ، يَعْنِي ابْنَ مُضَرَّ، عَنْ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(١).

٥٠ - (٢٩٨٨) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الدَّرَاوَرْدِيُّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٤٧٧).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنَّ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَوْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

(ابن الهاد) عبد الله بن يزيد بن الهاد.

(محمد بن إبراهيم) التيمي.

(عيسى بن طلحة) بن عبيد الله.

في هذا الحديث تعين حفظ اللسان، وتدبر ما ينطق من الكلام، وقد جاء عن بلال بن الحارث خارج الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ» (١).

قال الراوي: كم من كلمة منعنيها حديث بلال.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنَّ مَا فِيهَا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ» مَعْنَاهُ لَا يَتَدَبَّرُهَا وَيُفَكِّرُ فِي قُبْحِهَا، وَلَا يَخَافُ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا، وَهَذَا كَالْكَلِمَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْوَلَاةِ، وَكَالْكَلِمَةِ تُقْذَفُ، أَوْ مَعْنَاهُ كَالْكَلِمَةِ الَّتِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا إِضْرَارٌ مُسْلِمٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ. وَهَذَا كُلُّهُ حَثٌّ عَلَى حِفْظِ اللِّسَانِ كَمَا قَالَ ﷺ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ النُّطْقَ بِكَلِمَةٍ أَوْ كَلَامٍ أَنْ يَتَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ قَبْلَ نُطْقِهِ، فَإِنْ ظَهَرَتْ مَصْلَحَتُهُ تَكَلَّمَ، وَإِلَّا أَمْسَكَ. اهـ

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٥٨٥٢).

قال رحمه الله:

بَابُ عُقُوبَةِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَفْعَلُهُ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَفْعَلُهُ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٥١ - (٢٩٨٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ، قَالَ يَحْيَى وَإِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمُهُ؟ فَقَالَ: أَتَرُونَ أَنِّي لَا أَكَلِّمُهُ إِلَّا أَسْمِعُكُمْ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، مَا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ أَمْرًا لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ، وَلَا أَقُولُ لِأَحَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا: إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ، بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»^(١).

٥١ - (٢٩٨٩) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَدْخُلَ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ فِيمَا يَصْنَعُ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ.

(أَتَرُونَ أَنِّي لَا أَكَلِّمُهُ إِلَّا أَسْمِعُكُمْ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ) فيه نصح الإمام

في السر؛ لأن نصح العلن قد يؤلب عليه من لا يفقه.

(لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ) يعني فتح باب شر، وهو المجاهرة بالإنكار على

الأمراء في الملأ، كما جرى لقتلة عثمان رضي الله عنه.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٢٦٧).

(وَلَا أَقُولُ لِأَحَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا) يعني ينصح ويوجه، لا يمدح مدحا يطريه فيه حتى يجروءه على المخالفة، ولا يقدح قدحا بين الناس يجبر إلى الفتنة، ولكن ينصحه بالسر والرفق، ويدعو له.

(يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) والمرأة أيضا، إنما ذكر الرجل خرج مخرج الغالب إن كانت مستحقة لذلك.

(فَيُلْقَى فِي النَّارِ) والذي يظهر أن هذا من أهل الإسلام، من العصاة.

(فَتَنْدَلِقُ أَفْتَابُ بَطْنِهِ) يعني تخرج أمعاؤه والحوايا، وما إليها من الأقصاب.

(فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى) يدور بها في النار، وكم سيكون عذابه؟

(فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ) كالمتعجبين.

(فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟) فما الذي

أوصلك إلى هذا الحال؟ فإن الأمر معروف والنهي عن المنكر من أسباب دخول الجنة، بل من أعظم أسباب الرفعة في الدنيا والآخرة.

(فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ) حاله كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

فهذا الحديث فيه وعيد عظيم لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم يخالف قوله فعله، وذلك أن الحجة قائمة عليه، فينبغي للمسلم أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ في سره وجهره، وأن يكون عاملا بعلمه الذي علمه.

قال رحمه الله:

بَابُ النَّهْيِ عَنْ هَتِكِ الْإِنْسَانِ سِتْرَ نَفْسِهِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٥٢ - (٢٩٩٠) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدُ: حَدَّثَنِي، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: قَالَ سَالِمٌ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَاةٌ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْإِجْهَارِ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ قَدْ سَتَرَهُ رَبُّهُ فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ، قَدْ عَمِلْتَ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، فَيَبِيتُ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ» قَالَ زُهَيْرٌ: وَإِنَّ مِنَ الْهَجَارِ (١).

(قَالَ عَبْدُ: حَدَّثَنِي، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا) هذا يدل على ثقة مسلم، وحفظ مسلم، وأمانته رحمه الله، مع أن البخاري يقول: حدثني وحدثنا وأخبرنا واحد. (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَاةٌ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ) يعني يعافى بتوبة، أو يعافى بستر، أو يعافى بتجاوز، ما زال على خير، ما لم يجاهر بالمعصية، فيه أنه مع الحياء وأنه مراقب لله في الجملة، وأنه ممن لا يشيع الفاحشة، إلى غير ذلك.

(وَإِنَّ مِنَ الْإِجْهَارِ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا) لا يعلم به إلا الله سبحانه وتعالى. (فَيَبِيتُ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ) نسأل الله السلامة والعافية، فينبغي للإنسان أن يسعى في ستر نفسه وفي ستر غيره، قال النبي ﷺ: «من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٠٦٩).

قال رحمه الله:

بَابُ تَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَكَرَاهَةِ التَّثَاؤُبِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٥٣ - (٢٩٩١) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا حَفْصٌ، وَهُوَ ابْنُ غِيَاثٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: عَطَسَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلَانِ، فَشَمَّتَ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الْآخَرَ، فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلَانٌ فَشَمَّتْهُ، وَعَطَسْتُ أَنَا فَلَمْ تُشَمِّتْنِي؟ قَالَ: «إِنَّ هَذَا حَمَدَ اللَّهِ، وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللَّهَ»^(١).

٥٣ - (٢٩٩١) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ، يَعْنِي الْأَحْمَرَ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

هذا دليل على أنه لا يشمت إلا من حمد الله، وهل يلزم تذكيره؟ لا يلزم تذكيره؛ لأن النبي ﷺ لم يذكر من لم يحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والتشميت واجب على كل من سمعه؛ لقول النبي ﷺ: «**حق المسلم على المسلم ست**» وذكر منها: «**إذا عطس فحمد الله فشمته**»، بخلاف السلام واجب كفائي، إذا قام به البعض سقط على الآخرين.

وصورة الحمد: أن يقول: الحمد لله، جاء في بعض الروايات خارج الصحيح: الحمد لله على كل حال، ثم يقول له صاحبه: يرحمك الله، ثم يرد هو: يهديكم الله ويصلح بالكم.

وكان اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ؛ رجاء أن يقول لهم: يرحمكم الله، فكان يقول لهم: يهديكم الله.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٢٩١).

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٥٤ - (٢٩٩٢) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لِرُحَيْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُوسَى وَهُوَ فِي بَيْتِ بِنْتِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَعَطَسْتُ فَلَمْ يُشَمِّتْنِي، وَعَطَسْتُ فَشَمَّتْهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا، فَلَمَّا جَاءَهَا قَالَتْ: عَطَسَ عِنْدَكَ ابْنِي فَلَمْ تُشَمِّتْهُ، وَعَطَسْتُ فَشَمَّتْهَا؟ فَقَالَ: إِنَّ ابْنَكَ عَطَسَ فَلَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ فَلَمْ أَشَمِّتْهُ، وَعَطَسْتُ فَحَمَدَتِ اللَّهَ فَشَمَّتْهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمَدَ اللَّهَ فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ فَلَا تُشَمِّتُوهُ».

(وَعَطَسْتُ فَشَمَّتْهَا) أي زوجته.

(عَطَسَ عِنْدَكَ ابْنِي فَلَمْ تُشَمِّتْهُ، وَعَطَسْتُ فَشَمَّتْهَا؟) لأن النساء من شدة غيظها على ضررتها لا تستطيع أن تنطق اسمها، قل أن تجد من تسمي ضررتها، لكن تقول: هي فعلت، وكذا، دون تسمية، حتى إذا تكلمت مع زوجها.

(فَقَالَ: إِنَّ ابْنَكَ عَطَسَ فَلَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ فَلَمْ أَشَمِّتْهُ، وَعَطَسْتُ فَحَمَدَتِ اللَّهَ فَشَمَّتْهَا) فيه بيان ودفع أسباب التهمة، والرفق بالنساء.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٥٥ - (٢٩٩٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، عَنْ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، عَنْ أَبِيهِ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنِي إِيَّاسُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ: أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَعَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ»، ثُمَّ عَطَسَ أُخْرَى فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّجُلُ مَرْكُومٌ».

جاء في بعض الروايات: ثلاث، أنه عطس في الثالثة فقال: «مركوم».

أما هو وإن كان مزكوما، لو حمد الله عند كل عطسة لا يضره، بل يؤجر على ذلك، لكن السامع له لا يلزم أن يبقى: يرحمك الله، والله أعلم.

والعطاس نعمة من الله فحين تأتي الزكمة ويحتقن الأنف يضيق، ويشعر بشدة، فإذا عطس ذهب ذلك الاحتقان، وارتاح البدن، بل يذكرون أن بعضهم كتم عطسة فأصيب بالشلل، ثم بعد ذلك عطسوه أو عطس فإذا به يقوم من حاله الذي وصل إليه.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٥٦ - (٢٩٩٤) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «التَّائِبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظَمْ مَا اسْتَطَاعَ» (١).

(التَّائِبُ مِنَ الشَّيْطَانِ) لأن التائب علامة الكسل، والكسل محبوب إلى الشيطان، والعطاس علامة النشاط، والنشاط محبوب إلى الله، ولذلك يحب الله العطاس ويكره التائب.

ثم أيضا التائب يغير صورة الإنسان، وبعضهم يمتد معه التائب، فإذا لم يكظم يروه في صورة مزرية، ولذلك أمر النبي ﷺ بتغطية الفم: (فَإِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظَمْ مَا اسْتَطَاعَ).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٢٨٩)

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٥٧ - (٢٩٩٥) حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمُسَمَعِيُّ مَالِكُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، حَدَّثَنَا سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَحَدِّثُ أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ».

٥٨ - (٢٩٩٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ».

٥٩ - (٢٩٩٥) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ».

٥٩ - (٢٩٩٥) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ وَعَنْ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِمِثْلِ حَدِيثِ بِشْرٍ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ.

وإذا كان التأوُّب يسيرا ويستطيع أن يكظم فيه لكن بدون أن يؤدي إلى تغير في هيئته وشكله فلا حرج.

(فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ) أيضا يضحك حين يقول: ها، كما جاء في بعض الروايات.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: يُقَالُ: شَمَّتَ بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَالْمُهِمَلَةِ، لُعَتَانِ، أَفْصَحُ قَالَ ثَعْلَبٌ: مَعْنَاهُ بِالْمُعْجَمَةِ أَبْعَدَ اللَّهُ عَنْكَ الشَّمَاتَةَ، وَبِالْمُهِمَلَةِ هُوَ مِنَ السَّمْتِ وَهُوَ الْقَصْدُ وَالْهُدَى، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ التَّشْمِيتِ وَأَحْكَامِهِ فِي كِتَابِ السَّلَامِ وَمَوَاضِعَ، وَاجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّهُ مَشْرُوعٌ.

ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي إِجَابِهِ، فَأَوْجَبَهُ أَهْلُ الظَّاهِرِ، وَابْنُ مَرْيَمَ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ عَلَى كُلِّ مَنْ سَمِعَهُ لظَاهِرِ قَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَحَقَّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ.

قَالَ الْقَاضِي: وَالْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ مَالِكٍ أَنَّهُ فَرَضَ كِفَايَةً. قَالَ: وَبِهِ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَرَدِّ السَّلَامِ، وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِهِ وَآخِرِينَ أَنَّهُ سُنَّةٌ وَأَدَبٌ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَيَحْمِلُونَ الْحَدِيثَ عَنِ النَّدْبِ وَالْأَدَبِ كَقَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَقَّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ»^(١).

قَالَ الْقَاضِي: وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي كَيْفِيَّةِ الْحَمْدِ وَالرَّدِّ، وَاخْتَلَفَتْ فِيهِ الْأَثَارُ، فَقِيلَ: يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَقِيلَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقِيلَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: هُوَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ هَذَا كُلِّهِ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ.

وَأَمَّا لَفْظُ (التَّشْمِيتِ) فَقِيلَ: يَقُولُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَقِيلَ، يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَقِيلَ: يَقُولُ: يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ.

قَالَ: وَاخْتَلَفُوا فِي رَدِّ الْعَاطِسِ عَلَى الْمُشَمِّتِ، فَقِيلَ: يَقُولُ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بِالْكُفِّ، وَقِيلَ: يَقُولُ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ. اهـ

الأول أظهر، جاء به النص، يهديكم الله ويصلح بالكم: أي حالكم، والبال: الحال. في (فتاوى ابن باز): أما العطاس إذا عطس وهو في الصلاة فإنه يحمد الله، كما جاء به النص عن النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإذا عطس يحمد الله ولا يضره ذلك بينه وبين نفسه، أما التثاؤب فلا يقول شيئاً وإنما يكظم ما استطاع، ويضع يده على فمه، كما قال النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يرد التعود، إنما هو من فعل الناس، فإن الناس لما عرفوا أن التثاؤب من الشيطان، صاروا يتعودون منه، وإلا فلا نعلم أنه ورد نص عن النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في شرعية

(١) وهذا أيضاً مختلف فيه.

التعوذ عند التأثُّب، وإنما شرع الله عند التأثُّب الكظم ووضع اليد على الفم، ولا يقول هاه، فإن الشيطان يضحك منه إذا قالها، وإنما الذي عليه أن يضع يده على فمه، ولكن لا يتعوذ؛ لأنه ليس عليه دليل، أما في غير الصلاة فالأمر أوسع. اهـ
ونحن لا نقول به لا في الصلاة ولا في غير الصلاة، وأحيانا يدخل على الإنسان أمر مشتبهُه.

قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ فِي أَحَادِيثَ مُتَفَرِّقَةٍ

قال الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ:

٦٠ - (٢٩٩٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ».

في هذا الحديث بيان أن أصل الخلقة له أثر على من خلق منه، فالملائكة خلقت من نور فكان حالهم أحسن الأحوال، (وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ) فكان حالهم على التمرّد، إلا ما رحم ربي، (وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ) أي: من تراب، فكان حالهم على شأن الأرض، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قُبْضَةٍ قَبْضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ: مِنْهُمْ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ: السَّهْلُ وَالْحَزَنُ وَالْحَبِيثُ»، أخرجه أحمد عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الحزن المراد به: الصعب.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ فِي الْفَارِ وَأَنَّهُ مَسْخُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٦١ - (٢٩٩٧) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّزِّيُّ جَمِيعًا عَنِ الثَّقَفِيِّ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابُ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يُدْرَى مَا فَعَلَتْ، وَلَا أَرَاهَا إِلَّا الْفَارَ، أَلَا تَرَوْنَهَا إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الْإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْهُ، وَإِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبَتْهُ».
 قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَحَدَّثْتُ هَذَا الْحَدِيثَ كَعَبًا فَقَالَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ ذَلِكَ مَرَارًا، قُلْتُ: أَأَقْرَأُ التَّوْرَةَ؟ قَالَ إِسْحَاقُ فِي رِوَايَتِهِ: لَا تَدْرِي مَا فَعَلَتْ^(١).
 ٦٢ - (٢٩٩٧) وَحَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «الْفَارَةُ مَسْخُ، وَأَيُّهُ ذَلِكَ أَنَّهُ يُوَضَّعُ بَيْنَ يَدَيْهَا لَبَنُ الْغَنَمِ فَتَشْرَبُهُ، وَيُوَضَّعُ بَيْنَ يَدَيْهَا لَبَنُ الْإِبِلِ فَلَا تَذُوقُهُ».
 فَقَالَ لَهُ كَعْبٌ: أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَفَأَنْزِلَتْ عَلَيَّ التَّوْرَةُ؟

(لَا يُدْرَى مَا فَعَلَتْ) يعني هل هلكت هلاكاً عاماً أم بقي لها نسل؟

الفار كان موجوداً قبل ذلك، لكن على توجيه الحديث ربما نوع من الفئران وإلا فالفئران كانت قبل مسخ بني إسرائيل، والقردة والخنازير كانت قبل مسخ بني إسرائيل، وفي حديث ابن مسعود قال رسول الله ﷺ: «لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَسْخٍ نَسْلاً»، وهو المقدم؛ لأن النبي هنا ﷺ تردد، ثم بعد ذلك قال: «لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِمَسْخٍ نَسْلاً».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٣٥٠).

(أَقْرَأُ التَّوْرَةَ؟) يعني كالمنكر عليه، ومن أين علمته هل أنا أقرأ التوراة؟

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ: لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٦٣ - (٢٩٩٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»^(١).

٦٣ - (٢٩٩٨) وَحَدَّثَنِيهِ أَبُو الطَّاهِرِ، وَحَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى قَالَا: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، (ح) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ قَالَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

وَقَالَ الْقَاضِي: يُرْوَى عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: بِضَمِّ الْغَيْنِ عَلَى الْخَبَرِ، وَمَعْنَاهُ الْمُؤْمِنُ الْمَمْدُوحُ، وَهُوَ الْكَيْسُ الْحَازِمُ الَّذِي لَا يُسْتَغْفَلُ، فَيُخَدَعُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَلَا يَفْطِنُ لَذَلِكَ وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ الْخِدَاعَ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ دُونَ الدُّنْيَا.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: بِكَسْرِ الْغَيْنِ عَلَى النَّهْيِ أَنْ يُؤْتَى مِنْ جِهَةِ الْغَفْلَةِ.

قَالَ: وَسَبَبُ الْحَدِيثِ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَسَرَ أَبَا غُرَةَ الشَّاعِرَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَنَّ عَلَيْهِ، وَعَاهَدَهُ أَنْ لَا يُحَرِّصَ عَلَيْهِ وَلَا يَهْجُوهُ، وَأَطْلَقَهُ فَلَحِقَ بِقَوْمِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى التَّحْرِيطِ وَالْهَجَاءِ، ثُمَّ أَسَرَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَسَأَلَهُ الْأَمَنَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لَا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ»، وَهَذَا السَّبَبُ يُضَعِّفُ الْوَجْهَ الثَّانِي.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦١٣٣).

وَفِيهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ نَالَهُ الضَّرَرُ مِنْ جِهَةٍ أَنْ يَتَجَنَّبَهَا لئَلَّا يَقَعَ فِيهَا ثَانِيَةً. اهـ
ومنه المثل الشعبي (كيف أودعك وهذا أثر فأسك؟) يذكرونه في كتب الأمثال على
أن رجلاً كان يرعى، فعدت الحية على أخيه فقتلته، ثم اتفق معها على أن يعيش معها
على وئام وسلام، ويرعى في جهتها كثيرة المرعى، فبينما هم على ذلك إذ رأى منها
غُرَّةً فأراد أن يثأر لأخيه، فضربها بالفأس، فأصاب رأسها ولم يقتلها، ثم أراد أن يبرم
الصلح معها مرة أخرى، فقالت: كيف أودعك وهذا أثر فأسك؟
فالإنسان يكون على حذر من أن يُستغفل، فإن الاستغفال يضر ويجري، بعض
الناس إذا شعر أنه استغفلك تمادى في استغفاله، ما يقول: هذا الكريم عفا عني، أو
تجاوز عني، وإنما يتمادى في استغفاله.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٤ - (٢٩٩٩) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْدِيُّ، وَشَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، جَمِيعًا عَنْ
سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَاللَّفْظُ لِشَيْبَانَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ
خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ
ضَرَاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

(صهيب) الرومي، أبو يحيى، وليس برومي في الأصل، إنما أسره الروم.
(عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ) أي من حيث ما يصيبه من الخير، في جميع أحواله، وفي سرائه
وضرائه، وفي شدته ورخائه، وفي قلته وكثرته، وفي شبابه وكبره، قال رسول الله ﷺ:
«فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَزِيدُهُ عَمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا».

(إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ) أي من حيث الطاعات والقربات، وعظيم الهبات، وأما إن كان في المعصية فلا فائدة له في ذلك، بل هو شر، لكن ما كان من أمر الإيمان فهو له خير.

(وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ)؛ لأنه يحتسب ويرجو من الله المثوبة.

(إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ): أصابته نعمة، وخير، وسعة وصحة، شكر الله **عَزَّوَجَلَّ** فزاده الله من فضله، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٧].

(فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) والشاكر له أجر عظيم، له أجر مضاعفة العمل، وله أجر زيادة الخير، وله أجر محبة الله **عَزَّوَجَلَّ** له، إلى غير ذلك من الأجور.

(وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ) من مرض، وسقم، وقلة.

(صَبَرَ) على أقدار الله **عَزَّوَجَلَّ**.

(فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر: ١٠].

[١٠]، وفي حديث أبي سعيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال رسول الله **ﷺ**: «وما أعطي أحد عطاء خير وأوسع من الصبر».

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ التَّهْمِي عَنِ الْمَدْحِ إِذَا كَانَ فِيهِ إِفْرَاطٌ وَخِيفَ مِنْهُ فِتْنَةٌ عَلَى الْمَمْدُوحِ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٦٥ - (٣٠٠٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ خَالِدِ الْحَدَّاءِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ **ﷺ** قَالَ: فَقَالَ: «وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ»، مِرَارًا «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ

مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسَبُ فَلَانًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا،
أَحْسَبُهُ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ كَذًا وَكَذَا»^(١).

٦٦ - (٣٠٠٠) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ عَبَّادِ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَادٍ، حَدَّثَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ نَافِعٍ، أَخْبَرَنَا غُنْدَرٌ قَالَ: شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا عَنْ
خَالِدِ الْحَذَاءِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ عِنْدَهُ
رَجُلٌ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنْ رَجُلٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْهُ فِي كَذَا
وَكَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ»، مِرَارًا يَقُولُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسَبُ فَلَانًا إِنْ كَانَ
يَرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَلَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا».

٦٦ - (٣٠٠٠) وَحَدَّثَنِيهِ عَمْرُو بْنُ النَّاقِدِ، حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو
بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَ
حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِهِمَا: فَقَالَ رَجُلٌ: مَا مِنْ رَجُلٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ أَفْضَلُ مِنْهُ.

٦٧ - (٣٠٠١) حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ،
عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يُثْنِي
عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيه فِي الْمَدْحَةِ فَقَالَ: «لَقَدْ أَهْلَكْتُمْ» أَوْ «قَطَعْتُمْ ظَهَرَ الرَّجُلِ»^(٢).

٦٨ - (٣٠٠٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى جَمِيعًا عَنْ ابْنِ
مَهْدِيٍّ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ
مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ قَالَ: قَامَ رَجُلٌ يُثْنِي عَلَى أَمِيرٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ، فَجَعَلَ الْمُقْدَادُ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٦٦٢).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٦٦٣).

يُخْبِي عَلَيْهِ التُّرَابَ، وَقَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَخْبِي فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ.

٦٩ - (٣٠٠٢) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ: أَنَّ رَجُلًا جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ، فَعَمَدَ الْمُقَدَّادُ فَجَنَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَكَانَ رَجُلًا ضَخْمًا فَجَعَلَ يَخْتُو فِي وَجْهِهِ الْحَضَبَاءَ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ».

٦٩ - (٣٠٠٢) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا الْأَشَجَعِيُّ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، وَمَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنِ الْمُقَدَّادِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

(مَرَارًا) وهذا منه ﷺ إنكار على هذا المدح الذي صدر.

(لَا مَحَالَةَ) أي: لا بد وأن يمدحه.

(فَلْيَقُلْ: أَحْسَبُ فَلَانًا وَاللَّهُ حَسِيْبُهُ) أظنه كذا، والله حسيبه فهو العالم به.

(وَلَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا) وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾

[سورة النجم: ٣٢].

(أَحْسَبُهُ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ كَذًا وَكَذًا) يعني يزكي بما يعلم بما لا إطراء فيه؛ لأن

الإطراء الذي يتجاوز فيه قد يضر الممدوح، وقد يكون فيه تملق من المادح، فيقع الذم

على الاثنين: ما يلحق الممدوح من ضرر، وما يتبع المادح من زور وبهت.

وكلمة (ويحك) يؤتى بها على الترحم.

قال الحافظ في "فتح الباري" (١٠/ ٤٧٧): قال بن بطال حاصل النهي أن من أفرط في

مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العجب لظنه أنه بتلك المنزلة فربما ضيع

العمل والازدياد من الخير اتكالا على ما وصف به ولذلك تأول العلماء في الحديث الآخر احتوا في وجوه المداحين التراب أن المراد من يمدح الناس في وجوههم بالباطل وقال عمر المدح هو الذبح قال وأما من مدح بما فيه فلا يدخل في النهي فقد مدح ﷺ في الشعر والخطب والمخاطبة ولم يحث في وجه مادحه ترابا انتهى ملخصا، فأما الحديث المشار إليه فأخرجه مسلم من حديث المقداد وللعلماء فيه خمسة أقوال أحدها هذا وهو حملة على ظاهره واستعمله المقداد راوي الحديث والثاني الخيبة والحرمان كقولهم لمن رجع خائبا رجع وكفه مملوءة ترابا والثالث قولوا له بفيك التراب والعرب تستعمل ذلك لمن تكره قوله والرابع أن ذلك يتعلق بالمدح كأن يأخذ ترابا فيبذره بين يديه يتذكر بذلك مصيره إليه فلا يطغى بالمدح الذي سمعه والخامس المراد بحثو التراب في وجه المادح إعطاؤه ما طلب لأن كل الذي فوق التراب تراب وبهذا جزم البيضاوي وقال شبه الإعطاء بالحثي على سبيل الترشيح والمبالغة في التقليل والاستهانة قال الطيبي ويحتمل أن يراد دفعه عنه وقطع لسانه عن عرضه بما يرضيه من الرضخ والدافع قد يدفع خصمه بحثي التراب على وجهه استهانة به. اهـ

(وَيُطْرِبُهُ) الإطراء: التجاوز في المدح.

(لَقَدْ أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهَرَ الرَّجُلِ) كناية عما يلحقه من الضرر، فربما داخله العجب بنفسه، والرؤية لها، فعند ذلك لا يقبل نصحا، ولا توجيها، وربما ترفع على الناس، فالمدح مطلوب لأهل الإيمان وأهل العلم والإحسان، لكن بدون تجاوز.

(المقداد) وهو ابن الأسود.

(فَجَعَلَ الْمُقْدَادُ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ) امتثالا لأمر النبي صل الله عليه وسلم.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا الْحَدِيثُ قَدْ حَمَلَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ الْمُقْدَادُ الَّذِي هُوَ رَاوِيهِ، وَوَافَقَهُ طَائِفَةٌ، وَكَانُوا يَحْثُونَ التُّرَابَ فِي وَجْهِهِ حَقِيقَةً، وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ خَبَّوْهُمْ،

فَلَا تُعْطَوْهُمْ شَيْئًا لِمَدَحِهِمْ، وَقِيلَ: إِذَا مُدَحْتُمْ فَادْكُرُوا أَنَّكُمْ مِنْ تُرَابٍ فَتَوَاضَعُوا وَلَا تُعْجَبُوا، وَهَذَا ضَعِيفٌ.

وقوله: **(قَطَعْتُمْ ظَهَرَ الرَّجُلِ)** مَعْنَاهُ أَهْلَكْتُمُوهُ، وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ مِنْ قَطْعِ الْعُنُقِ الَّذِي هُوَ الْقَتْلُ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْهَلَاكِ، لَكِنْ هَلَاكَ هَذَا الْمَمْدُوحُ فِي دِينِهِ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ جِهَةِ الدُّنْيَا لِمَا يُشْتَبَهُ عَلَيْهِ مِنْ حَالَةٍ بِالْإِعْجَابِ.

وَقَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ بِالْمَدْحِ فِي الْوَجْهِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَطَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَهَا أَنَّ النَّهْيَ مَحْمُولٌ عَلَى الْمُجَازَفَةِ فِي الْمَدْحِ، وَالزِّيَادَةِ فِي الْأَوْصَافِ، أَوْ عَلَى مَنْ يُخَافُ عَلَيْهِ فِتْنَةٌ مِنْ إِعْجَابٍ وَنَحْوِهِ إِذَا سَمِعَ الْمَدْحَ.

وَأَمَّا مَنْ لَا يُخَافُ عَلَيْهِ ذَلِكَ لِكَمَالِ تَقْوَاهُ، وَرُسُوحِ عَقْلِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، فَلَا نَهْيَ فِي مَدْحِهِ فِي وَجْهِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مُجَازَفَةٌ، بَلْ إِنْ كَانَ يَحْصُلُ بِذَلِكَ مَصْلَحَةٌ كَنَشْطِهِ لِلْخَيْرِ، وَالْإِزْدِيَادِ مِنْهُ، أَوْ الدَّوَامِ عَلَيْهِ، أَوْ الْإِقْتِدَاءِ بِهِ، كَانَ مُسْتَحَبًّا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

بَابُ مَنَاوَلَةِ الْأَكْبَرِ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٧٠ - (٣٠٠٣) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا صَخْرٌ، يَعْنِي ابْنَ جُوَيْرِيَةَ، عَنْ نَافِعٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ حَدَّثَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسَوَاكِ، فَجَذَبَنِي رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، فَتَاوَلْتُ السَّوَاكَ الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٤٦).

في هذا الحديث إنزال الناس منازلهم، وقد يكون الأكبر في العلم والفضل والخير، وقد يكون الأكبر في السن، فينزل كل إنسان منزلته التي آتاه الله **عَزَّجَلَّ** إياها. وفيه فضيلة السواك، وهو من خصال الفطرة، وفيه الإنكار على من خالف ولو في أمر مستحب، أو مكروه، بغير تشديد في الإنكار، ونحو ذلك، وفيه الاستجابة للنصيحة إذا كانت موافقة للحق والصواب.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ التَّنَبُّتِ فِي الْحَدِيثِ وَحُكْمِ كِتَابَةِ الْعِلْمِ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٧١ - (٢٤٩٣) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، حَدَّثَنَا بِهِ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ وَيَقُولُ: اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ، اِسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ. وَعَائِشَةُ تُصَلِّي، فَلَمَّا قَضَتْ صَلَاتَهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: أَلَا تَسْمَعُ إِلَى هَذَا وَمَقَالَتِهِ إِنْفَا؟ إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ **ﷺ** يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَخْصَاهُ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ) يَعْنِي عَائِشَةَ، مُرَادُهُ بِذَلِكَ تَقْوِيَةُ الْحَدِيثِ بِإِقْرَارِهَا ذَلِكَ، وَسُكُوتِهَا عَلَيْهِ، وَلَمْ تُنْكَرْ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ سِوَى الْإِكْثَارِ مِنَ الرَّوَايَةِ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ؛ لِخَوْفِهَا أَنْ يَحْصُلَ بِسَبَبِهِ سَهْوٌ وَنَحْوُهُ. اهـ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٧٢ - (٣٠٠٤) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** قَالَ: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهِ، وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ» قَالَ هَمَّامٌ: أَحْسَبُهُ قَالَ: «مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

(لَا تَكْتُبُوا عَنِّي) يعني غير القرآن.

(وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ) هذا كان في مبدء الأمر، وإلا فقد كتب عبد الله بن عمرو بين يديه، بل أنكروا عليه فقال رسول الله ﷺ: «ما شأنك تركت الكتابة؟» قال: يا رسول الله قالوا: إن النبي ﷺ يتكلم في الغضب والرضى، قال: «اكتب فوالذي بعثني بالحق لا يخرج منه إلا حق»، أخرجه أبو داود (٣٦٤٦) وهكذا قال: «اكتبوا لأبي شاه»، وكتب كتابا لعمر بن حزن، وكتبت كتابا لابن أقيش، وكم له من الكتب ﷺ، فدلّت هذه الأخبار على جواز الكتابة، وعلى أن النهي صار منسوخا.

قَالَ الْقَاضِي: كَانَ بَيْنَ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ فِي كِتَابَةِ الْعِلْمِ، فَكَرِهَهَا كَثِيرُونَ مِنْهُمْ، وَأَجَازَهَا أَكْثَرُهُمْ، ثُمَّ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى جَوَازِهَا، وَزَالَ ذَلِكَ الْخِلَافُ. وَاخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْوَارِدِ فِي النَّهْيِ، فَقِيلَ: هُوَ فِي حَقِّ مَنْ يُوثَّقُ بِحِفْظِهِ، وَيُخَافُ اتِّكَالَهُ عَلَى الْكِتَابَةِ إِذَا كَتَبَ، وَتُحْمَلُ الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ بِالْإِبَاحَةِ عَلَى مَنْ لَا يُوثَّقُ بِحِفْظِهِ كَحَدِيثِ: اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ وَحَدِيثِ صَحِيفَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحَدِيثِ كِتَابِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ الَّذِي فِيهِ الْفَرَائِضُ وَالسُّنَنُ وَالذِّيَّاتُ، وَحَدِيثِ كِتَابِ الصَّدَقَةِ وَنُصْبِ الرِّكَاتِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُنْسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ وَجَّهَهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، وَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

وَقِيلَ: إِنَّ حَدِيثَ النَّهْيِ مَنْسُوخٌ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَكَانَ النَّهْيُ حِينَ خِيفَ اخْتِلَافُهُ بِالْقُرْآنِ فَيَسْتَبْهُ عَلَى الْقَارِئِ فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

(وَحَدَّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ) أي بما ثبت، ليس كل ما سمعت فيه: قال النبي ﷺ تذهب وتحدث به.

(فَلْيَمْسُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) تقدم الكلام عليه في أول الكتاب، وأنه مستحق للنار والصحيح أنه لا يكفر، كفره إمام الحرمين، ولم يقبل العلماء هذا الحكم منه.

قال رحمه الله:

بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٧٣ - (٣٠٠) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبُرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يَعْلَمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَّى ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ. فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَفَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِئَءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَنِي، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا

أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ
بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمُشَارِ فَوَضَعَ الْمُشَارَ فِي مَفْرِقِ
رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شَقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِبَجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى،
فَوَضَعَ الْمُشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شَقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ:
ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا
وَكَذَا، فَاصْعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ.
فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمِ شَيْءٍ. فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ
فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمْ
اللَّهُ. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ
الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاقْدِفُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمِ شَيْءٍ.
فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرَقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ
أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمْ اللَّهُ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمُرُكَ
بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جَذَعٍ، ثُمَّ خُذْ
سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ
ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى
جَذَعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ
رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ
فَمَاتَ. فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. فَأَتَى الْمَلِكُ
فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحَذِّرُ، قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ. فَأَمَرَ
بِالْأَخْذِ فِي أَفْوَاهِ السَّكَاكِ فَخُذْتُ، وَأَصْرَمَ النَّيْرَانُ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ
فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ افْتَحِمْ. فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ
أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمُّهُ، اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ.

(وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ) وهكذا شأن كثير من ملوك الدنيا يتخذون السحرة، يتكهنون لهم، ويظنون أنهم يثبتون لهم ملكهم.

(إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحَرَ) دليل على شدة عناية أهل الباطل بباطلهم، لا سيما صغار السن، يعتنى بهم؛ فإن العلم في الصغر كالنقش في الحجر، فعلى أهل السنة أن يأخذوا من هذا الحديث العناية بصغارهم، فإنهم صغار قوم وغدا سيكون شأنهم أنهم كبار قوم.

(الراهب) من عباد النصارى.

(فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ) ما كان من الله أو من الوحي فإنه محبوب إلى أصحاب الفطر والقلوب المستقيمة.

(فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرْبَةً) تأديبا له.

(إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ)

يعني معارضض، هذا ليس بكذب صريح، وإنما فيه معارضض، (حبسني أهلي) يكون الشأن فيه: شغلت بعض شيء بأهلي، وهكذا (حبسني الساحر) شغلت بعض شيء بأمر الساحر، وأيضا عند الاضطراب لا بأس من مثل هذا الكذب؛ لاتقاء الضرر الذي سينزل به، وأيضا كذب ليس فيه ضرر على أحد.

(إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ) دابة من السبعيات.

(فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا) هذا من كرامات الأولياء.

(أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي)؛ لما رأى من الكرامة التي أكرمها الله بها.

(وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى) وهذا أمر وقدر كوني، أن الابتلاء لا بد أن ينزل بأهل الاستقامة؛ ليمحصوا وليمكنوا بعدها، كما قال تعالى: ﴿الْعَمَّ ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢-١]، وقال تعالى: ﴿أَمَرَحَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَضُرُّ اللَّهَ إِلَّا إِنْ نَضُرَّ اللَّهُ قَرِيبٌ ﴿البقرة: ٢١٤﴾، «يُتَلَّى النَّاسُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِمْ فَمَنْ نَحْنُ دِينُهُ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَمَنْ ضَعُفَ دِينُهُ ضَعُفَ بَلَاؤُهُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيُصِيبَهُ الْبَلَاءُ حَتَّى يَمْشِيَ فِي النَّاسِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ».

(وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ) أي بإذن الله. (إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ) كما قال تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [سورة الشعراء: ٨٠] فضيلة التوحيد.

(دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ) عظيم منزلة الدعاء.

(مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي) مباشرة صرح بالإسلام والإيمان. (فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ) شدة أهل الباطل على أهل الحق، وهذه من سنن الجاهلية التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه (مسائل الجاهلية): إذا عجزوا عن رد الحجة بالحجة عمدوا إلى الضرب والسجن والقتل ونحو ذلك. (فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ)؛ لشدة ما نزل به.

(ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى) الثبات على الدين مطلوب، والدعاء به قد جاء في القرآن والسنة، قال تعالى مخبراً عن دعاء أهل العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [سورة آل عمران: ٨]، ومن دعاء رسول الله ﷺ: «يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك».

(فَأَبَى) الثبات على الدين، كما في الحديث: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ... وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ».

(فَوَضَعَ الْمِشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ) لا إله إلا الله ما أصبر هذا الرجل! وهل كان الإكراه عندهم غير معمول به أم أنه أثر الثبات حتى الممات؟ (اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا) أراد التنكيل به.

(فَصَبَعُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمِ شِئْتِ) فاستجاب الله له دعوته.

(وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ) قد يقول قائل: لماذا لم يفر بعد أن خلصه الله منهم؟ أراد رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ يظهر عظيم شأن الإسلام في قلوب أصحابه، وأن يدعو الناس إلى هذا الخير الذي علمه الله إياه.

(فَأَحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ): سفينة صغيرة.

(كَفَانِيهِمُ اللَّهُ) الذي لا يعجزه شيء.

(إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرَكُ بِهِ) يعني قطع عليه الطريق حتى لا يبقى يرسله كل يوم مع أناس.

(تَجْمَعُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ): مكان واحد، بحيث الجميع يرى الموقف.

(وَتَصْلُبْنِي عَلَى جَذْعٍ) يربطه؛ ليريهم ضعفه.

(ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ) بمعنى: أنك لن تستطيع قتلي إلا بالاستعانة بربي فإذا استعنت بربي استطعت قتلي.

(ثُمَّ ارْمِنِي) وهذا يستدل به أصحاب العمليات الانتحارية، ولا دلالة لهم فيه؛ فإن هذا لم يقتل نفسه، وهذا أيضا فعل ما فعل في دلالة الملك على هذا؛ لدعوة الناس إلى الخير، فإن الدعوة بلسان الحال أبلغ من الدعوة بلسان المقال.

(فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ) هذا دليل على فهم الناس، انظر كيف فهموا من قوله: (بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ) على أن الرب هو الخالق المالك الرازق المدبر، وأنه المستحق للعبادة، وهذا الملك الذي يدعي الربوبية ويتبجح بها صار شأنه أن يعجز عن قتل طفل.

(قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَدْرُكٌ) كأنهم يؤمنون بالله في الجملة، ولذلك أقسموا به.

(فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السَّكَّكِ فَخُذَّتْ، وَأَضْرَمَ النَّيِّرَانَ) وهذا من أشد ما يكون من العذاب، نسأل الله السلامة والعافية.

(فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمُّهُ، اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ) هذا أحد الصغار الذين تكلموا في المهدي.

هذا حديث عظيم، والفاظه مفهومة، وتفسيره يزيده عجمة، فهو من أبلغ ما يكون، كلام النبي الكريم الواضح، وفيه من العبر ما الله به عليم، فيه فضيلة مجالسة الصالحين والسماع منهم، وفي الصبر على البلاء، وفيه الثبات على الحق حتى تلقى الله. وفيه دلائل وكرامات من إهلاك الدابة، وهكذا من شفاء المرضى، والأكمه والأبرص، وهكذا كلام الطفل الصغير الذي مثله لا يتكلم.

وقيل: بأن هذه القصة هي المشار إليها بقول الله عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ ۖ وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ ۖ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۚ قُلْ أَصْحَابُ الْأَحْزَادِ ۖ الْتَارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ۖ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۖ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۚ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۚ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۙ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَهَنَّمُ إِلَّا جَهَنَّمُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝﴾ [سورة الكهف: ٢٣-١٠].

واختلفوا في هؤلاء من هم؟ فقيل: بأنهم كانوا في نجران، والذي قام عليهم هو ذو نواس الحميري، وكان يهوديا، ولذلك السبب غزى بعد ذلك الحبشة بلاد اليمن بحيث استنصروا بقيصر، فلم ينصرهم، وردهم إلى أرض الحبشة، فإنهم كانوا على دينه، والله المستعان وعليه التكلان.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ حَدِيثِ جَابِرِ الطَّوِيلِ وَقِصَّةِ أَبِي الْيَسْرِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤ - (٣٠١٤) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، وَتَقَارَبَا فِي لَفْظِ الْحَدِيثِ، وَالسِّيَاقُ لِهَارُونَ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ مُجَاهِدٍ أَبِي حَزْرَةَ، عَنْ عَبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ

الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسْرِ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ، وَعَلَى أَبِي الْيَسْرِ بُرْدَةٌ وَمَعَاوِرِيٌّ، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَاوِرِيٌّ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَمُّ، إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ سَفْعَةً مِنْ غَضَبٍ؟ قَالَ: أَجَلْ، كَانَ لِي عَلَى فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ الْحَرَامِيِّ مَالٌ، فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ فَسَلَّمْتُ فَقُلْتُ: ثَمَّ هُوَ؟ قَالُوا: لَا، فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنُ لَهُ جَفَرٌ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي، فَقُلْتُ: أَخْرُجْ إِلَيَّ فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ، فَخَرَجَ فَقُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟ قَالَ: أَنَا وَاللَّهِ أُحَدِّثُكَ، ثُمَّ لَا أَكْذِبُكَ، خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ فَأَكْذِبَكَ، وَأَنْ أَعِدَّكَ فَأُخْلِفَكَ، وَكُنْتُ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكُنْتُ وَاللَّهِ مُعْسِرًا، قَالَ قُلْتُ: اللَّهُ؟ قَالَ: اللَّهُ. قُلْتُ: اللَّهُ؟ قَالَ: اللَّهُ.

قَالَ: فَاتَى بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاَهَا بِيَدِهِ فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتَ قِضَاءً فَاقْضِنِي، وَإِلَّا أَنْتَ فِي حِلٍّ، فَأَشْهَدُ بِصُرِّ عَيْنِي هَاتَيْنِ، وَوَضَعَ إِصْبَعِيهِ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَسَمِعْتُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا، وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ، رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ»، قَالَ فَقُلْتُ لَهُ أَنَا: يَا عَمُّ، لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ بُرْدَةَ غُلَامِكَ وَأَعْطَيْتَهُ مَعَاوِرِيَّكَ، وَأَخَذْتَ مَعَاوِرِيَّةَ وَأَعْطَيْتَهُ بُرْدَتَكَ، فَكَانَتْ عَلَيْكَ حُلَّةٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ، يَا ابْنَ أَخِي، بَصُرَ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ، وَسَمِعْتُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا، وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَالْبَسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَكَانَ أَنْ أَعْطَيْتُهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ثُمَّ مَضَيْنَا حَتَّى أَتَيْنَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي مَسْجِدِهِ وَهُوَ يُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ مُشْتَمِلًا بِهِ، فَتَحَطَّيْتُ الْقَوْمَ حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُبْلَةِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، أَتَصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَرِدَاؤُكَ إِلَى جَنْبِكَ؟ قَالَ: فَقَالَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي هَكَذَا، وَفَرَّقَ

بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَقَوَّسَهَا: أَرَدْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ الْأَحْمَقُ مِثْلُكَ فَيَرَانِي كَيْفَ أَصْنَعُ فَيَصْنَعُ
مِثْلَهُ أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِنَا هَذَا، وَفِي يَدِهِ عُرْجُونُ ابْنِ طَابٍ، فَرَأَى فِي قِبْلَةِ
الْمَسْجِدِ نُخَامَةً فَحَكَّهَا بِالْعُرْجُونِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ
عَنْهُ؟» قَالَ: فَخَشَعْنَا، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟» قَالَ: فَخَشَعْنَا، ثُمَّ
قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟» قُلْنَا: لَا أَتَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّ أَحَدَكُمْ
إِذَا قَامَ يُصَلِّي، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ وَجْهِهِ، فَلَا يَبْصُقَنَّ قَبْلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ،
وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى، فَإِنْ عَجَلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ فَلْيُقِلْ بِثَوْبِهِ هَكَذَا»،
ثُمَّ طَوَى ثَوْبَهُ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ.

فَقَالَ: «أُرُونِي عَيْرًا» فَقَامَ فَتَى مِنَ الْحَيِّ يَشْتَدُّ إِلَى أَهْلِهِ، فَجَاءَ بِخُلُقٍ فِي رَاحَتِهِ،
فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِ الْعُرْجُونِ، ثُمَّ لَطَخَ بِهِ عَلَى أَثَرِ النُّخَامَةِ،
فَقَالَ جَابِرٌ: فَمِنْ هُنَاكَ جَعَلْتُمُ الْخُلُقَ فِي مَسَاجِدِكُمْ، سَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي
غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرِو الْجُهَنِيِّ، وَكَانَ النَّاصِحُ يَعْتَبُهُ مِنَّا
الْخُمْسَةُ وَالسَّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاصِحٍ لَهُ، فَأَنَاحَهُ
فَرَكِبَهُ ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضُ التَّلَدَّنِ فَقَالَ لَهُ: شَأْ، لَعَنَكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بِعِيرِهِ؟» قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «انْزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمُلْعُونٍ،
لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا
تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَحِبُّ لَكُمْ».

سَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَتْ عُشْيَشِيَّةً، وَدَنَوْنَا مَاءً مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ. قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَجُلٌ يَتَقَدَّمُنَا فَيَمْدُرُ الْحَوْضَ فَيَشْرَبُ وَيَسْقِينَا؟» قَالَ جَابِرٌ:
فَقُمْتُ فَقُلْتُ: هَذَا رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ مَعَ جَابِرٍ؟»
فَقَامَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ، فَانْطَلَقْنَا إِلَى الْبُئْرِ فَتَزَعْنَا فِي الْحَوْضِ سَجَلًا أَوْ سَجَلَيْنِ، ثُمَّ
مَدَرْنَاهُ، ثُمَّ نَزَعْنَا فِيهِ حَتَّى أَفْهَقْنَاهُ، فَكَانَ أَوَّلَ طَالِعِ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:

«أَتَأَذْنَانِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَشْرَعَ نَاقَتُهُ فَشَرِبَتْ شَنَقَ لَهَا، فَشَجَتْ فَبَالَتْ، ثُمَّ عَدَلَ بِهَا فَأَنَاحَهَا، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَوْضِ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ قُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ مِنْ مُتَوَضَّأِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَذَهَبَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ، وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ ذَهَبْتُ أَنْ أُخَالِفَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا فَلَمْ تَبْلُغْ لِي، وَكَانَتْ لَهَا ذَبَازِبُ فَنَكَسْتُهَا، ثُمَّ خَالَفْتُ بَيْنَ طَرَفَيْهَا، ثُمَّ تَوَاقَصْتُ عَلَيْهَا، ثُمَّ جِئْتُ حَتَّى قُمْتُ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَذَارَنِي حَتَّى أَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ جَاءَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ جَاءَ فَقَامَ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدَيْنَا جَمِيعًا، فَدَفَعَنَا حَتَّى أَقَامَنَا خَلْفَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْمُقُنِي وَأَنَا لَا أَشْعُرُ، ثُمَّ فَطَنْتُ بِهِ، فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ، يَعْنِي شَدَّ وَسَطَكَ، فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا جَابِرُ»، قُلْتُ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِذَا كَانَ وَاسِعًا فَخَالِفْ بَيْنَ طَرَفَيْهِ، وَإِذَا كَانَ ضَيِّقًا فَاشْدُدْهُ عَلَى حَقْوِكَ».

سَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ قُوْتُ كُلِّ رَجُلٍ مِّنَّا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَمْرَةً، فَكَانَ يَمَصُّهَا ثُمَّ يَصْرُهَا فِي نَوْبِهِ، وَكُنَّا نَخْتَبِطُ بِقِسِينَا وَنَأْكُلُ حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَأَقْسِمُ أَخْطِئُهَا رَجُلٌ مِّنَّا يَوْمًا، فَاَنْطَلَقْنَا بِهِ نَنْعِشُهُ، فَشَهِدْنَا أَنَّهُ لَمْ يُعْطَهَا فَأَعْطِيَهَا، فَقَامَ فَأَخَذَهَا.

سَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفِيحًا، فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَاَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بَعْضَ مِمَّا فِيهَا فَأَغْصَانَهَا فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ»، فَاَنْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى فَأَخَذَ بَعْضَ مِمَّا فِيهَا فَأَغْصَانَهَا فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ»، فَاَنْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا، لَأَمْ بَيْنَهُمَا، يَعْنِي جَمَعَهُمَا، فَقَالَ: «الْتِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ» فَالْتَمَتَا.

قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أَحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحَسَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُرْبِي فَيَتَعَدَّ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ: فَيَتَبَعَدُ فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فَإِذَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا، وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدْ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ وَقَفَةً، فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا وَأَشَارَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ بِرَأْسِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا ثُمَّ أَقْبَلَ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيَّ قَالَ: «يَا جَابِرُ، هَلْ رَأَيْتَ مَقَامِي؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَانْطَلِقْ إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، فَأَقْبِلْ بِهِمَا حَتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامِي، فَأَرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِكَ».

قَالَ جَابِرٌ: فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ حَجْرًا فَكَسَرْتُهُ وَحَسَرْتُهُ فَاَنْدَلَقَ لِي، فَاتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَجْرُهُمَا حَتَّى قُمْتُ مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَرْسَلْتُ غُصْنًا عَنْ يَمِينِي وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِي، ثُمَّ لَحِقْتُهُ فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: «إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرَفَّهَ عَنْهُمَا، مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ».

قَالَ: فَاتَيْنَا الْعَسْكَرَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا جَابِرُ، نَادِ بِوُضُوءٍ» فَقُلْتُ: أَلَا وَضُوءٌ، أَلَا وَضُوءٌ، أَلَا وَضُوءٌ، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا وَجَدْتُ فِي الرَّكْبِ مِنْ قَطْرَةٍ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُبْرِدُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَاءَ فِي أَشْجَابٍ لَهُ عَلَى حِمَارَةٍ مِنْ جَرِيدٍ، قَالَ فَقَالَ لِي: «انْطَلِقْ إِلَى فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ الْأَنْصَارِيِّ، فَاَنْظُرْ هَلْ فِي أَشْجَابِهِ مِنْ شَيْءٍ»، قَالَ: فَاَنْطَلَقْتُ إِلَيْهِ فَنَظَرْتُ فِيهَا، فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي عِزْلَاءٍ شَجَبٍ مِنْهَا، لَوْ أَنِّي أَفْرَعُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي عِزْلَاءٍ شَجَبٍ مِنْهَا، لَوْ أَنِّي أَفْرَعُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ، قَالَ: «اذْهَبْ فَاتِنِّي بِهِ»، فَاتَيْنَتْهُ بِهِ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَيَغْمِزُهُ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ أَعْطَانِيهِ فَقَالَ: «يَا جَابِرُ، نَادِ بِجَفْنَةٍ» فَقُلْتُ: يَا جَفْنَةَ الرَّكْبِ، فَاتَيْتُ بِهَا تُحْمَلُ فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ فِي الْجَفْنَةِ هَكَذَا، فَبَسَطَهَا وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ وَضَعَهَا فِي قَعْرِ الْجَفْنَةِ وَقَالَ: «خُذْ يَا جَابِرُ فَصَبَّ عَلَيَّ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ»، فَصَبَّتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ فَارَتْ الْجَفْنَةُ وَدَارَتْ حَتَّى امْتَلَأَتْ، فَقَالَ: «يَا جَابِرُ، نَادِ مَنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِمَاءٍ»، قَالَ: فَأَتَى النَّاسُ فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوْوَا، قَالَ فَقُلْتُ: هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَهُ حَاجَةٌ؟ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلَأَى.

وَشَكَى النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْجُوعَ فَقَالَ: «عَسَى اللَّهُ أَنْ يُطْعِمَكُمْ»، فَأَتَيْنَا سِيفَ الْبَحْرِ، فَزَحَرَ الْبَحْرُ زَحْرَةً، فَأَلْقَى دَابَّةً فَأَوْرَيْنَا عَلَى شِقِّهَا النَّارَ، فَاطْبَحْنَا وَاشْتَوَيْنَا، وَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا.

قَالَ جَابِرٌ: فَدَخَلْتُ أَنَا وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ حَتَّى عَدَّ خَمْسَةً فِي حِجَاجِ عَيْنِهَا، مَا يَرَانَا أَحَدٌ حَتَّى خَرَجْنَا، فَأَخَذْنَا ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَقَوَّسْنَاهُ، ثُمَّ دَعَوْنَا بِأَعْظَمِ رَجُلٍ فِي الرُّكْبِ، وَأَعْظَمِ جَمَلٍ فِي الرُّكْبِ، وَأَعْظَمِ كِفْلٍ فِي الرُّكْبِ، فَدَخَلَ تَحْتَهُ مَا يُطَاطَى رَأْسُهُ.

(خَرَجْتُ أَنَا وَآبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ) كان السلف عندهم حرص على العلم، ولذلك رُفِعُوا، وشهروا، وبقي ذكرهم.

(قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا) فيه المبادرة بطلب العلم والاستفادة من العلماء.

(وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ) أي عبد.

(مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ) يعني يضم شيئاً من الصحف والأوراق.

(وَمَعَا فِرْيٌ) نسبة إلى لباس صُنِعَ في اليمن.

(فَقَالَ لَهُ آبِي: يَا عَمُّ) فيه أن الكبير قد يطلق عليه العم من باب الاحترام والتقدير.

(كَانَ لِي عَلَى فُلَانٍ بَنٍ فُلَانٍ الْحَرَامِيُّ مَالٌ) أي دين.

(فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنُ لَهْ جَفْرٌ) أي قارب الفهم، صغير السن، وهو الَّذِي قَارَبَ الْبُلُوغَ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي قَوِيَ عَلَى الْأَكْلِ، وَقِيلَ: ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ.

(سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي) لأنه لم يكن مميزاً بحيث يفهم أن أباه اختفى.

والأريكة: هي السرير الَّذِي فِي الْحَجَلَةِ، وَلَا يَكُونُ السَّرِيرُ الْمُفْرَدُ.

وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: كُلُّ مَا اتَّكَأْتَ عَلَيْهِ فَهُوَ أَرِيكَةٌ.

(مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟) ما السبب؟

(خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ أَحَدَّثَكَ فَأَكْذِبَكَ)؛ لأن الدين يجعل الإنسان يكذب، كما قال

رسول الله ﷺ: «إِنْ الرَّجُلُ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

(وَكُنْتُ وَاللَّهِ مُعْسِراً) والله عَزَّجَلَّ يقول في حق المعسر: ﴿فَنَظَرْتُ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [سورة

البقرة: ٢٨٠].

(فَأَتَى بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاها بِيَدِهِ) يعني تجاوز عنه.

(مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ) وفي هذا فضيلة إنظار المعسر وفيه

عمل الصحابة بالعلم، وفيه فضيلة الوضع عن صاحب الدين، فأنت مأجور في حال

مسامحته، ومأجور في حال إنظاره، مع أنك تعمل بقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿فَنَظَرْتُ إِلَى

مَيْسَرَةٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٠]، وكان الأجر العظيم: أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله،

يقيه حر شمس ذلك اليوم.

(حُلَّةٌ) الحلة: اللباس من شيء واحد.

(أَطْعَمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ) أي عبيدكم.

(وَكَانَ أَنْ أُعْطِيَتْهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فيه

فضيلة الإحسان إلى العبيد والمماليك، والعمال ومن إليك.

(أَتَصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَرِدَاؤُكَ إِلَيَّ جَنَبِكَ؟) والنبي ﷺ نهى أن يصلى في الثوب

الواحد ليس على عاتقه منه شيء.

(فَقَالَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي هَكَذَا) يعني ضرب كالمنبه له.

(وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَقَوَّسَهَا) هكذا يعني وضعها كالقوس.

(أَرَدْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ الْأَحْمَقُ مِثْلَكَ فَيَرَانِي كَيْفَ أَصْنَعُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ) فيه الإنكار

على من جهل السنة، وفيه أن الصلاة في الثوب الواحد جائز، والأحسن أن يكون في ثوبين، مع أن النبي ﷺ لما سئل: يصلي الرجل في الثوب الواحد؟ قال: (أولكلكم ثوبان)، وقد تقدم في كتاب الصلاة.

(عُرْجُونُ ابْنِ طَابٍ) العرجون: نوع من سعف النخل، وابن طاب: نوع من التمر.

(فَحَكَّهَا بِالْعُرْجُونِ) إزالة لها.

(فَخَشَعْنَا) أي: خفنا.

(فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي) سواء الفريضة أم النافلة.

(فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ وَجْهِهِ) مع أن الله على عرشه في السماء، إلا أننا نؤمن بدلالة

الحديث، وهو أن الله قبل وجه المصلي إذا قام يصلي ما لم يلتفت ولا يلزم من ذلك الحلول ولا الاتحاد، ولا الاختلاط، فإن الله محيط بكل شيء وفوقه.

(وَلْيَنْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى) تقدمت أحكام البصاق في كتاب الصلاة.

(فَإِنْ عَجَلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ) أي نخامة خرجت بسرعة.

(أُرُونِي عَمِيرًا) يعني بخورا أو طيبا.

(فَقَامَ فَتَى مِنَ الْحَيِّ يَشْتَدُّ إِلَى أَهْلِهِ): يسرع.

(فَجَاءَ بِخُلُوقٍ): طيب.

(ثُمَّ لَطَخَ بِهِ عَلَى أَثَرِ النُّخَامَةِ) إزالة للأذى وتغيير للمنكر.

وفي هذا الحديث أيضا صفة الإعراض، وهي من الصفات الفعلية لله عزَّوَجَلَّ على ما

يليق بجلاله، وفي حديث أبي واقد الليثي: «أما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه».

أخرجه البخاري

(فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ) قَالَ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: قَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ هُوَ بِالضَّمِّ، وَهِيَ رَوَايَةٌ أَكْثَرُ الْمُحَدِّثِينَ، وَكَذَا قَيْدُهُ الْبَكْرِيُّ، وَهُوَ جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ جُهَيْنَةَ.
قَالَ: وَرَوَاهُ الْعُذْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِفَتْحِ الْبَاءِ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ سِرَاجٍ.
قَوْلُهُ: (وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرٍو) قَالَ: وَفِي بَعْضِهَا (النَّجْدِيَّ)، وَالْمَعْرُوفُ الْأَوَّلُ.

(وَكَانَ النَّاصِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَ الْخَمْسَةِ وَالسَّتَةِ وَالسَّبْعَةِ) أَيِ الْبَعِيرِ، يَتَعَابُونَهُ مَجْمُوعَةً.
(ثُمَّ بَعَثَهُ فَنَلَدَنَّ عَلَيْهِ) يَعْنِي: لَمْ يَمْشِ مَشْيًا طَيِّبًا، تَلَكَّأَ وَتَوَقَّفَ.
(أَنْزَلَ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ) لَعَلَّهَا أَصَابَتْهُ اللَّعْنَةُ، أَمَا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَعْلَمُ أَنَّهَا أَصَابَتْهُ أَمْ لَمْ تَصِبْهُ، فَلِذَلِكَ يَسْتَمْتَعُ بِمَتَاعِهِ، إِلَّا أَنْ فِيهِ النَّهْيُ عَنْ لَعْنِ الدُّوَابِّ، وَمِنْ بَابِ أَوَّلَى النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الْإِنْسَانِ.

(لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ) وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ يَخَالَفُهَا الْكَثِيرُ نَسَأَلَ اللَّهُ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ، وَهُوَ الدَّعَاءُ عَلَى الْإِنْفُسِ فِي حَالَةِ الْغَضَبِ، أَوْ عَلَى الْأَبْنَاءِ، أَوْ عَلَى الْأَمْوَالِ، وَرَبَّمَا أَدَّى إِلَى تَلْفِ ذَلِكَ الشَّيْءِ وَضُرَرِهِ، فَالْإِنْسَانُ يَدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِأَبْنَائِهِ وَلِمَنْ يَلِيهِ بِالْخَيْرِ.

وَفِيهِ أَنْ أَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ رُبَّمَا كَانَتْ فِي اللَّيْلِ أَوْ النَّهَارِ، سِوَاءِ الْأَوْقَاتِ الْمَعْلُومَةِ أَوْ أَوْقَاتِ يَشَاءُهَا اللَّهُ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ فِيهَا بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ».
(عُشَيْشِيَّةٌ): عَشِيَّةٌ، صُغْرَتُ.

(وَدَنَوْنَا مَاءً مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ) كَانُوا يَجْتَمِعُونَ عَلَى الْمَاءِ؛ لِلشَّرْبِ وَالنُّومِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

(فَيَمْدُرُ الْحَوْضَ): أي: يطبئه ويصلحه؛ حتى إذا وصلوا وجدوا الماء قد صفي لأن الأحواض عند أن يسير الماء بسبب الحركة يخرج متغيرا، لكن إذا رُفِع طينه وحفر فيه تجمع الماء، ونزل الغبار، فصار صافيا، فيشربون ماء طيبا.
(فَنَزَعْنَا فِي الْحَوْضِ سَجَلًا أَوْ سَجَلَيْنِ) السجل: الإناء، إناء مثل القدر أو نحو ذلك، الدلو.

(ثُمَّ نَزَعْنَا فِيهِ حَتَّى أَفْهَقْنَاهُ) أفهقناه بالصاد في بعضها، أي: ملأناه.
(فَأَسْرَعَ نَاقَتَهُ فَشَرِبَتْ) قرب ناقته فشربت، أرسلها إلى الماء لتشرب.
(شَنَقَ لَهَا، فَشَجَّتْ فَبَالَتْ) من أجل أن تعود للشرب مرة أخرى.
(فَتَوَضَّأْتُ مِنْ مُتَوَضِّأِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) يتبركون بآثاره.
(فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ) نافلة.
(ثُمَّ خَالَفْتُ بَيْنَ طَرَفَيْهَا) ربطها.
(ثُمَّ تَوَاقَصْتُ عَلَيْهَا) أي أمسكت عليها بعنقي، وخبنته عليها؛ لأن لا تسقط.
(حَتَّى قُمْتُ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدَارَنِي حَتَّى أَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ)؛
لأنه إذا كان الإمام واحد يكون المأموم على اليمين.
(فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدَيْنَا جَمِيعًا، فَدَفَعَنَا حَتَّى أَقَامَنَا خَلْفَهُ) فيه جواز العمل باليسير في الصلاة، وفيه إذا كانوا ثلاثة كان الإمام متقدما والمأمومون خلفه، هذا مذهب جمهور الصحابة، وخالف عبد الله بن مسعود فكان على مذهب أن يكون الإمام في وسطهم، وقد تقدم في الصلاة والحمد لله.

(يَرْمُقْنِي وَأَنَا لَا أَشْعُرُ): يرقبه.
(وَإِذَا كَانَ ضَيْقًا فَاشْدُدْهُ عَلَى حِقْوِكَ) أي لستر العورة.
(وَكَانَ قُوْتُ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَمْرَةً)؛ لقلة ذات اليد.
(وَكُنَّا نَخْتَبِطُ بِقِسِينَا وَنَأْكُلُ) يعني يخطون الشجر، ويأكلون من الورق.

(حَتَّى قَرَحَتْ أَشَدَّ أَقْنَا) وسالت دما.

(فَأُقْسِمُ أُخْطِئَهَا رَجُلٌ مِنَّا يَوْمًا) أي التمرة.

(فَشَهِدْنَا أَنَّهُ لَمْ يُعْطَهَا فَأَعْطِيَهَا، فَقَامَ فَأَخَذَهَا) يعني تمره واحدة؛ لقلة ذات اليد والحاجة، ولكنهم كانوا قوما صُبر.

(حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفِيحًا): واسع.

(فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ) خدمة الفاضل، والاستنجاء بالماء.

(انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ) وهذا من دلائل نبوته.

(فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ) وَهُوَ الَّذِي يُجْعَلُ فِي أَنْفِهِ خَشْخَشٌ بِكَسْرِ الْخَاءِ، وَهُوَ عُوْدٌ يُجْعَلُ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ إِذَا كَانَ صَعْبًا، وَيُشَدُّ فِيهِ حَبْلٌ لِيَذَلَ وَيُنْقَادَ، وَقَدْ يَتَمَانَعُ لِصُعُوبَتِهِ، فَإِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ وَآلَمَهُ انْقَادَ شَيْئًا.

(فَخَرَجْتُ أَحْضِرُ) أي: أجري وأشد.

(وَحَسَرْتُهُ): حددته، (فَأَنْذَلَقَ لِي): صار حادا.

(إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرَفَّهَ عَنْهُمَا، مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ) قد تقدم من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَرَسَ عَلَى قَبْرِ جَرِيدَةٍ، وَقَالَ: لَعَلَّهُ أَنْ يَخْفَفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسَا، وَهَذَا مِنْ شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِيهِ أَنَّهُمَا مُسْلِمَانِ وَلَيْسَا بِكَافِرَيْنِ.

(مَا وَجَدْتُ فِي الرَّكْبِ مِنْ قَطْرَةٍ)؛ لقلة الماء.

(وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُرِيدُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَاءَ) خدمة الفاضل، وتبريد الماء،

لأن الماء البارد أحسن في الشرب، وأذهب للعطش.

(فِي أَشْجَابٍ لَهُ) الْأَشْجَابُ: جَمْعُ (شَجَبٍ) بِإِسْكَانِ الْجِيمِ، وَهُوَ السَّقَاءُ الَّذِي قَدْ أُخْلِقَ وَبَلِيَ وَصَارَ شَنًّا.

(إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءٍ شَجَبٍ مِنْهَا) يعني قطرة يسيرة ربما إذا حركوها بقوة تبددت في الإناء، العزلاء: فم القربة.

(فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ لَا أَذْرِي مَا هُوَ، وَيَغْمِزُهُ بِيَدَيْهِ) يدعو بالبركة.

(نَادٍ بِجَفْنَةٍ) جفنة الركبة، وكانت كبيرة.

(فَأُتِيتُ بِهَا تُحْمَلُ) يعني كبيرة واسعة.

(... فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلَأَى) كل هذا من دلائل نبوة النبي

ﷺ، وقد ذكر هذه الأحاديث شيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب (الجامع الصحيح من دلائل النبوة).

(فَأَتَيْنَا سَيْفَ الْبَحْرِ): ساحل البحر.

(فَزَخَرَ الْبَحْرُ زُخْرَةً) أي: ماج موجة.

(فَأَلْقَى دَابَّةً) وهي الحوت.

(فَأَوْرَيْنَا عَلَى شِقِّهَا النَّارَ) لأنها كبيرة، ولم يكن لديهم القدرة لتقطيعها كحال الناس الآن.

(فَدَخَلْتُ أَنَا وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ حَتَّى عَدَّ خَمْسَةً فِي حِجَابِ عَيْنِهَا) لعظيم سعتها.

هذا حديث عظيم، وقصص جميلة، أخذها عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت

من جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مجلس واحد، وهكذا الإنسان يحرص على بث العلم

والخير، ويجعل الله عزَّجَلَّ البركات.

قال رحمه الله:

بَابُ فِي حَدِيثِ الْهَجْرَةِ وَيُقَالُ لَهُ حَدِيثُ الرَّحْلِ بِالْحَاءِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٧٥ - (٢٠٠٩) حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يَقُولُ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِلَى أَبِي فِي مَنْزِلِهِ فَاشْتَرَى مِنْهُ رَحْلاً فَقَالَ لِعَازِبٍ: ابْعَثْ مَعِيَ ابْنَكَ يَحْمِلُهُ مَعِيَ إِلَى مَنْزِلِي، فَقَالَ لِي أَبِي: احْمِلْهُ، فَحَمَلْتُهُ، وَخَرَجَ أَبِي مَعَهُ يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدَّثَنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا لَيْلَةَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا كُلَّهَا حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، وَخَلَا الطَّرِيقُ فَلَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ حَتَّى رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ، لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ بَعْدُ، فَتَزَلْنَا عَنْدَهَا فَأَتَيْتُ الصَّخْرَةَ فَسَوَّيْتُ بِيَدِي مَكَانًا يَنَامُ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي ظِلِّهَا، ثُمَّ بَسَطْتُ عَلَيْهِ فُرُوءَةً، ثُمَّ قُلْتُ: نَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ.

فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ مُقْبِلٍ بَغْنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ، يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا^(١)، فَلَقِيْتُهُ فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غَلَامٌ؟ فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قُلْتُ: أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً فَقُلْتُ لَهُ: انْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ الشَّعَرِ وَالتُّرَابِ وَالْقَذَى، قَالَ: فَرَأَيْتُ الْبَرَاءَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى الْأُخْرَى يَنْفُضُ، فَحَلَبَ لِي فِي قَعْبٍ مَعَهُ كُثْبَةٌ مِنْ لَبَنٍ، قَالَ: وَمَعِيَ إِدَاوَةٌ أَرْتَوِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ لِيَشْرَبَ مِنْهَا وَيَتَوَضَّأَ.

(١) يعني: الظل.

قَالَ: فَاتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ، فَوَافَقْتُهُ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اشْرَبْ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، قَالَ: فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّجُلِ؟» قُلْتُ: بَلَى.

قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَ مَا زَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعْنَا سَرَّاقَةً بَنُ مَالِكٍ، قَالَ: وَنَحْنُ فِي جَلَدٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُتَيْنَا، فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ، إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»، فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَارْتَطَمَتْ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا، أَرَى فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ فَادْعُوا لِي، فَاللَّهُ لَكُمْ أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا اللَّهُ فَنَجَى فَرَجَعَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَاهُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا ^(١).

٧٥ - (٢٠٠٩) وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمرَ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، كِلَاهُمَا عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ مِنْ أَبِي رَحْلًا بِثَلَاثَةِ عَشَرَ دِرْهَمًا، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ زُهَيْرٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ مِنْ رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ عُمرَ: فَلَمَّا دَنَا دَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَاحَ فَرَسُهُ فِي الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهِ، وَوَتَبَ عَنْهُ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عَمَلُكَ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، وَلَكَ عَلَيَّ لِأَعْمَيْنَ عَلَى مَنْ وَرَائِي، وَهَذِهِ كِنَانَتِي فَخُذْ سَهْمًا مِنْهَا، فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ عَلَى إِبِلِي وَغُلْمَانِي بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا، فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِي إِبِلِكَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ لَيْلًا، فَتَنَازَعُوا أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَنْزِلْ عَلَى بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَكْرَمُهُمْ بِذَلِكَ»، فَصَعِدَ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ، وَتَفَرَّقَ الْغُلَمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ يُنَادُونَ: يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

(وَخَرَجَ أَبِي مَعَهُ يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ) أي: يطلب ثمنه.
 (لَيْلَةً سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أي في الهجرة.
 (أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا كُلَّهَا) بالليل.
 (حَتَّى رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ) هذا بعد أن خرجوا من غار ثور.
 (فَأَتَيْتُ الصَّخْرَةَ فَسَوَّيْتُ بِيَدِي مَكَانًا يَنَامُ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي ظِلِّهَا) خدمة الفاضل،
 والعناية به، ومحبة الصحابة لرسول الله ﷺ.
 (ثُمَّ بَسَطْتُ عَلَيْهِ فِرَاقَةً) نوع من اللباس.
 (انْفَضَّ الضَّرْعُ مِنَ الشَّعْرِ وَالتُّرَابِ وَالْقَدَى) عناية حتى يأتي اللبن نظيفا.
 (فَحَلَبَ لِي فِي قَعْبٍ مَعَهُ) يعني إناء، (كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ): شربة.
 (وَمَعِيَ إِدَاوَةٌ) الإناء الصغير.
 (أَزْتَوِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ) أي الماء.
 (فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ) لأن اللبن يصلح أن يكون طعاما
 وشرابا ودواء.
 (فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ) محبة لرسول الله ﷺ، رضي حين رأى النبي ﷺ شبع.
 (وَنَحْنُ فِي جَلَدٍ مِنَ الْأَرْضِ): مكان واسع، ليس فيه مخبأ.
 (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَيْنَا) أي لحقنا سراقا.
 (فَارْتَطَمْتُ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا) أي: غاصت في الأرض.
 (إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ قَدْ دَعَوْتُمَا عَلِيًّا؛ لَعَلَّمَهُ بِصَدَقِ النَّبِيِّ ﷺ).
 (فَاللَّهُ لَكُمْ أَنْ أَرَدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ) فكان في أول النهار طالبا، وصار في آخره حارسا،
 وهذا من فضل الله عليه، ومن نعمة الله على نبيه ﷺ وصاحبه.
 (فَرَجَعَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَاهُنَا) كانوا يوفون بالوعود ولو كانوا
 على غير الإسلام.

(لَا حَاجَةَ لِي فِي إِبْلِكَ) زهد عظيم في النبي ﷺ وصاحبه.
(أَنْزِلْ عَلَيَّ بَنِي النَّجَارِ) وهذا بعد أن نزل في بني عمرو بن عوف أربعة عشر ليلة.
(يُنَادُونَ: يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ) فرحا برسول الله صل الله عليه وسلم.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ فَيَقَالُ: كَيْفَ شَرِبُوا اللَّبَنَ مِنَ الْعُلَامِ، وَلَيْسَ هُوَ مَالِكُهُ؟ وَجَوَابُهُ مِنْ أَوْجِهِ:
أَحَدُهَا: أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ يَأْذَنُونَ لِلرُّعَاةِ إِذَا مَرَّ بِهِمْ ضَيْفٌ أَوْ عَابِرٌ سَبِيلٍ أَنْ يَسْقَوْهُ اللَّبَنَ وَنَحْوَهُ.

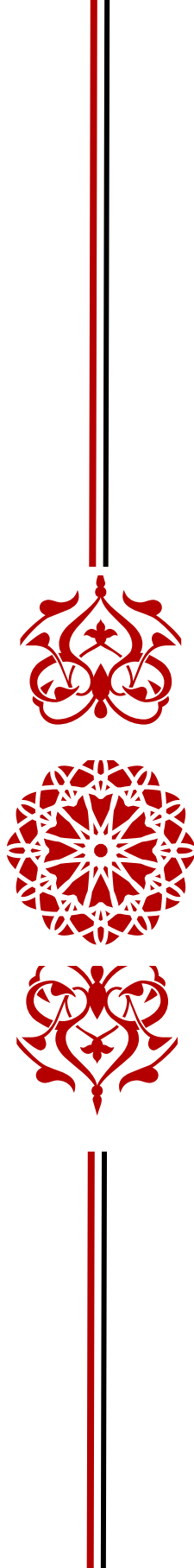
وَالثَّانِي: أَنَّهُ كَانَ لِصَدِيقٍ لَهُمْ يَدُلُّونَ عَلَيْهِ، وَهَذَا جَائِزٌ.
وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ مَالٌ حَرَبِيٌّ لَا أَمَانَ لَهُ، وَمِثْلُ هَذَا جَائِزٌ.
وَالرَّابِعُ: لَعَلَّهُمْ كَانُوا مُضْطَرِّينَ، وَالْجَوَابَانِ الْأَوَّلَانِ أَجُودٌ.
قَوْلُهُ: (بَرَدَ أَسْفَلُهُ) هُوَ بَفَتْحِ الرَّاءِ عَلَى الْمَشْهُورِ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ بِضَمِّهَا.
قَوْلُهُ: (وَنَحْنُ فِي جَلَدٍ مِنَ الْأَرْضِ) هُوَ بَفَتْحِ الْجِيمِ وَاللَّامِ أَيُّ أَرْضٍ صُلْبَةٍ وَرُوي: (جُدْدٌ) بِدَالَتَيْنِ، وَهُوَ الْمُسْتَوِي، وَكَانَتْ الْأَرْضُ مُسْتَوِيَةً صُلْبَةً.
قَوْلُهُ: (فَارْتَطَمْتُ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا) أَيُّ غَاصَتْ قَوَائِمُهَا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ الْجَلْدِ.
قَوْلُهُ: (وَوَفَى لَنَا) بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ.

قَوْلُهُ: (فَسَاخَ فَرَسُهُ فِي الْأَرْضِ) هُوَ بِمَعْنَى ارْتَطَمَتْ.
قَوْلُهُ: (لَأَعْمَيْنَ عَلَى مَنْ وَرَائِي) يَعْنِي لِأَخْفَيْنَ أَمْرُكُمْ عَمَّنْ وَرَائِي مِمَّنْ يَطْلُبُكُمْ، وَالْبَسُّ عَلَيْهِمْ حَتَّى لَا يَعْلَمَ أَحَدٌ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَوَائِدٌ مِنْهَا: هَذِهِ الْمُعْجَزَةُ الظَّاهِرَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفَضِيلَةُ ظَاهِرَةِ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ وَجْهِهِ.

وَفِيهِ خِدْمَةُ التَّابِعِ لِلْمَتَّبِعِ، اسْتِصْحَابُ الرُّكُوعِ وَالْإِبْرَيقِ وَنَحْوِهِمَا فِي السَّفَرِ لِلطَّهَّارَةِ
وَالشَّرَابِ، وَفِيهِ فَضْلُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وَحُسْنُ عَاقِبَتِهِ.
وَفِيهِ فَضَائِلُ الْأَنْصَارِ لِفَرَجِهِمْ بِقُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَظُهُورُ سُرُورِهِمْ بِهِ.
وَفِيهِ فَضِيلَةُ صَلَاةِ الْأَرْحَامِ، سَوَاءً قَرَّبَتِ الْقَرَابَةُ وَالرَّحِمُ أَمْ بَعُدَتْ، وَأَنَّ الرَّجُلَ الْجَلِيلَ
إِذَا قَدِمَ بَلَدًا لَهُ فِيهِ أَقَارِبُ يَنْزِلُ عِنْدَهُمْ يُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ
انتهيت في الخامس عشر من ذي القعدة الحرام لعام خمسة وأربعين وأربعمائة
وألف من كتاب الزهد والرقائق من صحيح الإمام مسلم، والحمد لله رب العالمين.



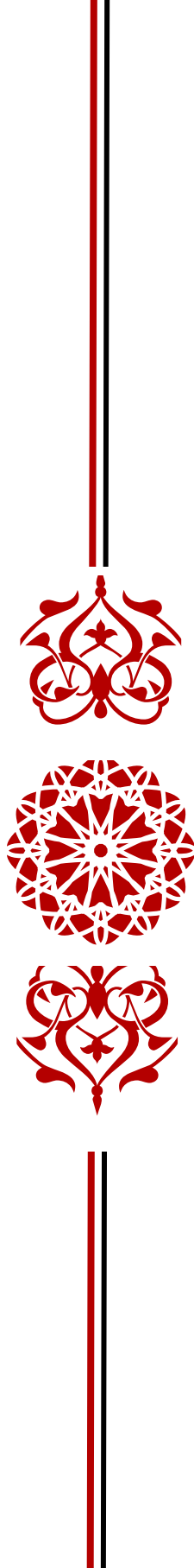


كتاب التفسير

الإمام

شرح

صحيح مسلم بن الحجاج



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ التَّفْسِيرِ

هذا كتاب مهم يذكره من ألف في الجوامع ونحوها؛ للإشارة إلى مهمات في تفسير القرآن العظيم، وربما ذكروا من تفسير القرآن بالسنة الشيء الكثير المفيد، ومن ذلك ومن أطواله وأحسنه ما في صحيح الإمام البخاري، حيث جاء بالغريب، والتفسير ببعض الآثار، والتفسير بالسنة، وكذلك كتاب التفسير في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

والقرآن الكريم هو كلام الله، ووحيه وتنزيله، والعناية بفهمه من أهم المهمات؛ لأنها من أسباب تذكره، وتفكره، وتعقله، وتعلمه، ولذلك جاء عن بعض الصحابة أنه ربما حفظ العشر الآيات لا يجاوزها حتى يعلم ما تعلق بها، وابن مسعود يقول: لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه.

ويقول: لقد أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة.

ويقول: ما من آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم متى أنزلت وأين أنزلت.

فلا بد لطالب العلم أن يعتني بهذا الفن، بل لا بد لجميع المسلمين أن يكون لهم نوع عناية بتفسير القرآن، إما بتفسير غريبه، أو بتفسير أحكامه، أو بتفسير معانيه، أو بجمع ذلك كله.

ولذلك سلك العلماء مسالك كثيرة في تفسير القرآن، منهم من فسر بالغريب ومنهم من فسر بالأحكام، ومنهم من فسر بالمعاني، وكل مفيد.

وكتاب التفسير في صحيح الإمام مسلم يعتبر كتاباً مختصراً، ومع ذلك لا نقول إلا: جزاه الله خيراً، وما لا يدرك كله لا يترك جله، وأحياناً المصنف يشير إشارات تغني عن كثرة العبارات، وكثير من أحاديث التفسير التي تضمنها صحيح البخاري هي مذكورة

في صحيح الإمام مسلم، إلا أنها مفرقة في كتبه وأبوابه؛ لأن الإمام مسلم لا يكرر إلا نادراً، بينما الإمام البخاري يكثر من التكرار.

ثم أيضاً لم يعرج الإمام مسلم إلى معاني المفردات والآثار؛ لأنه أصلاً لم يذكر بعد المقدمة إلا الحديث السرد، بخلاف صحيح البخاري.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١ - (٣٠١٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾، فَبَدَّلُوا فَدَخَلُوا الْبَابَ يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ»^(١).

(فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا) أي حدثه بالصحيفة.

هذا حديث فيه خبر عن حال بني إسرائيل في عدم التزامهم بأمر الله وشرعه، وقد حرفوا هذه اللفظة بزيادة النون، ففي بعضها قالوا: حنطة، وفي بعضها قالوا: حبة في شعرة، وهي بمعناها، وأبوا أن يقولوا: حطة، أي: حط عنا ذنوبنا، واغفر لنا سيئاتنا. وهذا الحديث يستدل به على تحريف اللفظ، والتحريف في اللفظ في الغالب يؤدي إلى تحريف المعنى، وقد يسلك المحرف تحريف المعنى مع بقاء اللفظ، على الماهية التي جاء بها، كما قالوا في الاستواء الاستيلاء.

(وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا) أي ركعاً ليتيسر لهم المشي في حال دخولهم.

(يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ) أي بغير مشي.

وهذا الحديث دليل على تعنت بني إسرائيل وبعدهم عن التزام دين الله وشرعه بخلاف الصحابة إذ قال لهم النبي ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٤٠٣).

المصير، فقالوها حتى ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله **عَزَّجَلَّ** الفرج بعد الشدة، كما تقدم في كتاب الإيمان.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٢ - (٣٠١٦) حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ بُكَيْرٍ النَّاقِدُ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدٌ: حَدَّثَنِي، وَقَالَ الْأَخْرَانِ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، يَعْنُونَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ اللَّهَ **عَزَّجَلَّ** تَابَعَ الْوَحْيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ حَتَّى تُوْفِّي، وَأَكْثَرَ مَا كَانَ الْوَحْيُ يَوْمَ تُوْفِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ^(١).

(تَابَعَ الْوَحْيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ) أي أنزلت الأحكام جملة بعد جملة، وكثر نزولها.

(وَأَكْثَرَ مَا كَانَ الْوَحْيُ يَوْمَ تُوْفِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ) إذ أن الله أتم الدين وأكمّله، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣]، على ما يأتي في الحديث الآتي.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٣ - (٣٠١٧) حَدَّثَنِي أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَهُوَ ابْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ: أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِعُمَرَ: إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ آيَةً، لَوْ أَنْزَلْتَ فِيْنَا لَا تَخْذُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ حَيْثُ أَنْزَلْتَ، وَأَيَّ يَوْمٍ أَنْزَلْتَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٩٨٢).

﴿صَلَّى﴾ حَيْثُ أُنْزِلَتْ، أُنْزِلَتْ بِعَرَفَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ قَالَ سُفْيَانُ: أَشْكُ، كَانَ يَوْمَ جُمُعَةٍ أَمْ لَا، يَعْنِي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [سورة المائدة: ٣] ^(١).

٤ - (٣٠١٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: قَالَتِ الْيَهُودُ لِعُمَرَ: لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ يَهُودٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣] نَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي أُنْزِلَتْ فِيهِ، لَا تَتَّخِذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَقَدْ عَلِمْتُ الْيَوْمَ الَّذِي أُنْزِلَتْ فِيهِ وَالسَّاعَةَ، وَأَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَزَلَتْ، نَزَلَتْ لَيْلَةَ جَمْعٍ، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَرَفَاتٍ.

٥ - (٣٠١٧) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَيْسٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرُؤُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا نَزَلَتْ مَعْشَرَ الْيَهُودِ، لَا تَتَّخِذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، قَالَ: وَأَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣]، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَرَفَاتٍ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ.

(إِنَّكُمْ تَقْرُؤُونَ آيَةً، لَوْ أُنْزِلَتْ فِينَا لَا تَتَّخِذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا) دليل على أن اليهود يعلمون أن القرآن أنزل من عند الله، وأن مثل هذه الآية تعتبر مكرمة من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

(أُنْزِلَتْ بِعَرَفَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ) فكان نزولها في يوم عيد، قال النبي ﷺ: «يَوْمُ عَرَفَةَ وَيَوْمُ النَّحْرِ وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ، عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ» ^(٢)، وكان نزولها في

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي، حديث رقم: (٧٧٣).

مكان عيد، يعود على الناس في كل عام، وكان نزولها في يوم الجمعة، وهو يعود على الناس في كل أسبوع.

وهذا مكرمة من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، إذ أخبر بإكماله الدين وإتمامه له.

(قَالَ سَفِيَانُ: أَشْكُ، كَانَ يَوْمَ جُمُعَةٍ أَمْ لَا) بل كان يوم الجمعة، بتأكيد.

(﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾) في أحكامه وشرائعه وآدابه وجميع شأنه، فلا يحتاج إلى زيادة، وفي هذا رد على أهل البدع والضلال.

(﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾) أضافها الله إلى نفسه، دليل على عظيم شأنها، وعلو منزلتها، وهي نعمة الإسلام أعظم نعمة على الإطلاق بها صلاح الدنيا والآخرة.

(﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾) تدينون به وتنقادون به، لا يجوز لكم أن تتخذوا البدع والمحدثات، وفيه اثبات صفة رضا الله **عَزَّ وَجَلَّ**.

(نَزَلَتْ لَيْلَةَ جَمْعٍ) نزلت بالنهار، إنما أضافها إلى الليلة؛ لأن الليلة تعقب النهار.

وقد ذكر أهل العلم: أن هذه الآية حين أنزلت لم ينزل بعدها شيء من القرآن.

وقال بعضهم: بل نزل بعدها بعض آيات، لكن ليست من آيات الأحكام.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٦ - (٣٠١٨) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ سَرْحٍ، وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التَّجِيبِيُّ قَالَ أَبُو الطَّاهِرِ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ حَرْمَلَةُ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: **(﴿وَأَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي آلَيْكُمْ فَانْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتًى وَثَلَاثَ وَرَبْعَ﴾)** [سورة النساء: ٣] قَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي، هِيَ النِّسِمَةُ تَكُونُ فِي حَجَرٍ وَلَيْهَا، تُشَارِكُهُ فِي مَالِهِ فَيُعْجِبُهُ مَالُهَا وَجَمَالُهَا، فَيُرِيدُ وَلَيْهَا أَنْ يَزَوَّجَهَا بغير أَنْ يُفْسِدَ فِي صَدَاقِهَا، فَيُعْطِيهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيهَا غَيْرُهُ، فَتُحِبُّ أَنْ يَنْكِحُوهَنَّ إِلَّا أَنْ يُفْسِدُوا لَهُنَّ، وَيَبْلُغُوا بِهِنَّ أَعْلَى سُنَّتِهِنَّ مِنَ الصَّدَاقِ، وَأَمَرُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهُنَّ.

قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ فِيهِنَّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ [سورة النساء: ١٢٧] قَالَتْ: وَالَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ ﴿يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ [سورة النساء: ١٢٧] الْآيَةُ الْأُولَى الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَمَى فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [سورة النساء: ٣].

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَقَوْلُ اللَّهِ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ [سورة النساء: ١٢٧] رَغْبَةً أَحَدِكُمْ عَنِ الْيَتِيمَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي حِجْرِهِ، حِينَ تَكُونُ قَلِيلَةَ الْمَالِ وَالْجَمَالِ، فَتَنْكِحُوا مَا رَغِبُوا فِي مَالِهَا وَجَمَالِهَا يَتَامَى النِّسَاءِ إِلَّا بِالْقِسْطِ، مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ^(١).

٦ - (٣٠١٨) وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ الْحُلَوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ جَمِيعًا عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ: أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَمَى﴾ [سورة النساء: ٣] وَسَأَلَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَزَادَ فِي آخِرِهِ: مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ إِذَا كُنَّ قَلِيلَاتِ الْمَالِ وَالْجَمَالِ.

٧ - (٣٠١٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَمَى﴾ [سورة النساء: ٣] قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي الرَّجُلِ تَكُونُ لَهُ الْيَتِيمَةُ، وَهُوَ وَلِيُّهَا وَوَارِثُهَا، وَلَهَا مَالٌ وَلَيْسَ لَهَا أَحَدٌ يُخَاصِمُ دُونَهَا، فَلَا يُنْكِحُهَا لِمَالِهَا فَيُضْرَبُ بِهَا، وَيُسِيءُ صُحْبَتَهَا، فَقَالَ: ﴿وَإِنْ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٤٩٤).

خِفْتُمْ إِلَّا تَقْسُطُوا فِي الْيَمَنِ فَإِنْ كُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴿٣﴾ [سورة النساء: ٣] يَقُولُ: مَا أَحَلَّتْ لَكُمْ، وَدَعِ هَذِهِ الَّتِي تَضُرُّ بِهَا.

٨ - (٣٠١٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُتَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ [سورة النساء: ١٢٧] قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي النِّسِيمَةِ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ، فَشَرَكُهُ فِي مَالِهِ، فَيَرْغَبُ عَنْهَا أَنْ يَزَوَّجَهَا، وَيَكْرَهُ أَنْ يَزَوَّجَهَا غَيْرَهُ فَيَشْرِكُهُ فِي مَالِهِ فَيَعْضُلُهَا، فَلَا يَزَوَّجَهَا وَلَا يَزَوَّجَهَا غَيْرَهُ.

٩ - (٣٠١٨) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [سورة النساء: ١٢٧] الْآيَةَ قَالَتْ: هِيَ النِّسِيمَةُ الَّتِي تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ، لَعَلَّهَا أَنْ تَكُونَ قَدْ شَرَكْتُهُ فِي مَالِهِ حَتَّى فِي الْعَدْقِ، فَيَرْغَبُ يَعْنِي أَنْ يَنْكِحَهَا، وَيَكْرَهُ أَنْ يُنْكِحَهَا رَجُلًا فَيَشْرِكُهُ فِي مَالِهِ فَيَعْضُلُهَا.

وهذه الآية كما ترى فسرتها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبينت المعنى الذي فيها.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾

[سورة النساء: ٣] أَيِ ثُنْتَيْنِ ثُنْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَرْبَعًا وَلَيْسَ فِيهِ جَوَازُ جَمْعٍ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ.

قَوْلُهَا: (يُقْسَطُ فِي صَدَاقِهَا) أَيِ يَعْدِلُ.

قَوْلُهَا: (أَعْلَى سُنَّتَيْنِ) أَيِ أَعْلَى عَادَتَيْنِ فِي مُهُورِهِنَّ وَمُهورِ أَمْثَالِهِنَّ، يُقَالُ: ضَرَّهُ وَأَضَرَّهُ بِهِ، فَالْثَلَاثَتِي بِحَذْفِ الْبَاءِ، وَالرُّبَاعِي بِإِثْبَاتِهَا.

وقَوْلُهَا: (فَيَعْضُلُهَا) أَيِ يَمْنَعُهَا الزَّوَاجَ.

قَوْلُهَا: (شَرَكْتُهُ فِي مَالِهِ حَتَّى فِي الْعَدْقِ) شَرَكْتُهُ بِكَسْرِ الرَّاءِ أَيِ شَارَكْتُهُ. وَالْعَدْقُ بَفَتْحِ الْعَيْنِ، وَهُوَ النَّحْلَةُ.

قَوْلُهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة النساء: ٦] أَنَّهُ يَجُوزُ لِلْوَلِيِّ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ بِالْمَعْرُوفِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا، هُوَ أَيْضًا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَالْجُمْهُورِ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: لَا يَجُوزُ، وَحُكِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَا: وَهَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ [سورة النساء: ١٠] الْآيَةُ وَقِيلَ: بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [سورة البقرة: ١٨٨].

وَاخْتَلَفَ الْجُمْهُورُ فِيمَا إِذَا أَكَلَ هَلْ يَلْزَمُهُ رَدُّ بَدَلِهِ؟ وَهُمَا وَجْهَانِ لِأَصْحَابِنَا، أَصَحُّهُمَا لَا يَلْزَمُهُ، وَقَالَ فَقَهَاءُ الْعِرَاقِ: إِنَّمَا يَجُوزُ لَهُ الْأَكْلُ إِذَا سَافَرَ فِي مَالِ الْيَتِيمِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

يعني تاجر، أما إذا كان مال يتيم إنما هو أمانة عنده لا يصلح أن يأكله. وعضل النساء يعتبر من كبائر الذنوب، إذ أنه منع لهن مما كتب الله لهن وأذن الله فيه، وهو من الظلم والتجاوز، وربما جرّها إلى الفتنة، إلى غير ذلك من الأمور، والله المستعان.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠ - (٣٠١٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة النساء: ٦] قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي وَالِي مَالِ الْيَتِيمِ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ وَيُضْلِحُهُ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ ^(١).

١١ - (٣٠١٩) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة النساء: ٦] قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي وَلِيِّ الْيَتِيمِ أَنْ يُصِيبَ مِنْ مَالِهِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا بِقَدْرِ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ، وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٢١٢).

(وَيُصْلِحُهُ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ) أن يأكل منه إذا كان أكله مع اليتيم، أو إذا كان أكله مقابل عمله، أما إذا كان أكله سيؤدي إلى الإلتلاف وإلى الضرر باليتيم فلا يصلح.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢ - (٣٠٢٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ فِي قَوْلِهِ عَزَّجَلَّ: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [سورة الأحزاب: ١٠] قَالَتْ: كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ^(١).

إذ أن قريشا غزت النبي ﷺ مع الأحزاب المتحزبة، وحصل بالمسلمين ضيقة وشدة، إذ جاؤوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، من كل الجهات ونقضت قريظة العهد والميثاق، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [سورة الأحزاب: ١٠]؛ لشدة الخوف والهَم، وقلة الزاد، على ما تقدم بيانه في كتاب الجهاد والسير.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢ - (٣٠٢١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [سورة النساء: ١٢٨] قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي الْمَرْأَةِ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ، فَتَطُولُ صُحْبَتُهَا فَيُرِيدُ طَلَاقَهَا، فَتَقُولُ: لَا تُطَلِّقْنِي وَأَمْسِكْنِي، وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنِّي، فَتُنْزَلُ هَذِهِ الْآيَةُ ^(٢).

١٣ - (٣٠٢١) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ فِي قَوْلِهِ عَزَّجَلَّ: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [سورة النساء: ١٢٨]

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤١٠٣).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٤٥٠).

١٣٨] قَالَتْ: نَزَلْتُ فِي الْمَرْأَةِ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ، فَلَعَلَّهُ أَنْ لَا يَسْتَكْثِرَ مِنْهَا، وَتَكُونُ لَهَا صُحْبَةً وَوَلَدٌ، فَتَكْرَهُ أَنْ يُفَارِقَهَا فَتَقُولُ لَهُ: أَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ شَأْنِي.

(وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا) أي رغبة عنها، وعدم ميل إليها، (أَوْ إِعْرَاضًا) بحيث لا يريد لها.

لكن معناها: إذا كانت ربما لا تحتاج إليه وقد أمنت الفتنة، أما إذا كان يتركها مع رغبته في عشرته وربما تعرضت للفتنة بعده فهذا لا يصلح له، (فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ) [سورة البقرة: ٢٢٩].

والنشوز أحياناً يكون من جهة المرأة، وهو أكثره، وأحياناً يكون من جهة الزوج وقد شرع الله عَزَّوَجَلَّ الإصلاح بينهما، فإن لم فالطلاق، (وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا) [سورة النساء: ١٣٠].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤ - (٣٠٢٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أُخْتِي، أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَبُّهُمْ.

١٥ - (٣٠٢٢) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بِهِذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

هذا الحديث دليل على فضيلة أصحاب النبي ﷺ، والأمر في قول الله عَزَّوَجَلَّ: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [سورة الحشر: ١٠]، وإن كان ظاهر اللفظ الخبر إلا أن معناه الأمر، وقد قال النبي ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ». وقد تقدم.

وتقدم أن فضل الصحابة في كتاب فضائل الصحابة، وبيننا أنه يتعين على المسلم أولاً: محبتهم، ثانياً: الثناء عليهم، ثالثاً: الاستغفار لهم، رابعاً: الكف عما شجر بينهم، خامساً: الدفاع عنهم، إلى غير ذلك مما يذكره أهل العلم، وهو سادساً: التأسي بهم في فهم الكتاب والسنة، والمبادرة إلى العمل بالكتاب والسنة، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا^ط﴾ [سورة البقرة: ١٣٧].

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٦ - (٣٠٢٣) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: اخْتَلَفَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [سورة النساء: ٩٣] فَرَحَلْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا فَقَالَ: لَقَدْ أَنْزِلْتَ آخِرَ مَا أَنْزَلَ، ثُمَّ مَا نَسَخَهَا شَيْءٌ^(١).

١٧ - (٣٠٢٣) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ، قَالَا جَمِيعًا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهِذَا الْإِسْنَادِ فِي حَدِيثِ ابْنِ جَعْفَرٍ: نَزَلَتْ فِي آخِرِ مَا أَنْزَلَ، وَفِي حَدِيثِ النَّضْرِ: إِنَّهَا لَمِنْ آخِرِ مَا أَنْزَلَ.

١٨ - (٣٠٢٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: أَمَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِزَى أَنْ أَسْأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ، عَنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [سورة النساء: ٩٣] فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: لَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ، وَعَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقُولُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [سورة الفرقان: ٦٨] قَالَ: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الشُّرْكِ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٨٥٥).

١٩ - (٣٠٢٣) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ اللَّيْثِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، يَعْنِي شَيْبَانَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِمَكَّةَ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [سورة الفرقان: ٦٨] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مُهَانًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٩] فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: وَمَا يُعْنِي عَنَّا الْإِسْلَامُ وَقَدْ عَدَلْنَا بِاللَّهِ، وَقَدْ قَتَلْنَا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَتَيْنَا الْفَوَاحِشَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [سورة الفرقان: ٧٠] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ: فَأَمَّا مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ وَعَقَلَهُ ثُمَّ قَتَلَ فَلَا تَوْبَةَ لَهُ.

٢٠ - (٣٠٢٣) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشِيرٍ الْعَبْدِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى، وَهُوَ ابْنُ سَعِيدِ الْقَطَّانِ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي بَرَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَلِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَتَلَوْتُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [سورة الفرقان: ٦٨] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ: هَذِهِ آيَةٌ مَكِّيَّةٌ نَسَخَتْهَا آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا﴾ [سورة النساء: ٩٣] وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ هَاشِمٍ: فَتَلَوْتُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ [سورة الفرقان: ٧٠].

(لَقَدْ أَنْزَلْتُ آخَرَ مَا أَنْزَلَ، ثُمَّ مَا نَسَخَهَا شَيْءٌ) هذا هو مذهب ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهَا عَلَى وَعِيدِهَا، لَكِنْ قَدْ وَجَدَ أَثَرَ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ) ^(١): أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً، فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي، وَخَطَبْتُهَا غَيْرِي، فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَنْكِحَهُ، فَعَزْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: أُمُّكَ حَيَّةٌ؟ قَالَ:

لَا، قَالَ: تُبِّ إِلَى اللَّهِ **عَزَّجَلَّ**، وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ، فَذَهَبْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ **عَزَّجَلَّ** مِنْ بَرِّ الْوَالِدَةِ. ومعنى ذلك أن هذه الآية تعود إلى محكمات كتاب الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨]، والقتل كبيرة من كبائر الذنوب وليست هي بكفر، ولا هي بشرك، إلا من استحل ذلك، والمستحل كافر، سواء قتل أو لم يقتل.

وقد قال الله **عَزَّجَلَّ** الآية في سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ﴾ [سورة الفرقان: ٦٨-٧١]، وهكذا: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر: ٥٣].

وأدلة التوبة تدل على جواز التوبة من القتل وغيره من الذنوب، وفي قصة الرجل الذي قتل مائة نفس ثم سأل أعلم أهل الأرض: هل له من توبة؟ قال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟

لكن معنا الآية: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [سورة النساء: ٩٣] إن جازاه بذلك كان مستحقا له، لكن فضل الله واسع، قد قضى أنه لا يخلد المؤمنين في النار وأنهم يخرجون منها بشفاعة الشافعين، ويخرجون منها بكرم رب العالمين، إلى غير ذلك.

وفيه الرحلة لطلب العلم، والسؤال عما يشكل، ومعرفة أسباب النزول، وأن المنسوخ غير معمول به، من قول ابن عباس: (مَا نَسَخَهَا شَيْءٌ)، فالمنسوخ غير معمول

به، والعمل للناسخ، وكان السلف **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** يهتمون بمعرفة الناسخ والمنسوخ، وينكرون على من أفتى قبل أن يعرف الناسخ والمنسوخ، وعلي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** رأى رجلا يفتي فقال: هل علمت الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا، قال: لقد هلكت، كما هو معلوم في موطنه.

وهناك كتب مختصة في باب الناسخ والمنسوخ، إلا أن الناس قد توسعوا جدا فبعضهم جعل كثيراً من الآيات التي هي مخصصة وغير ذلك يجعلها ناسخة ومنسوخة، حتى قال السوطي في "الإتقان في علوم القرآن" (٣/ ٧٧):

قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي الْمَنْسُوخِ مِنْ عَدَدٍ
وَهَاكَ تَخْرِيرُ آيٍ لَا مَزِيدَ لَهَا
آيُ التَّوَجُّهِ حَيْثُ الْمَرْءُ كَانَ وَأَنْ
وَحُرْمَةُ الْأَكْلِ بَعْدَ النَّوْمِ مِنْ رَفَثٍ
وَحَقُّ تَقْوَاهُ فِيمَا صَحَّ مِنْ أَثَرٍ
وَالْإِعْتِدَادُ بِحَوْلٍ مَعَ وَصِيَّتِهَا
وَالْحِلْفُ وَالْحَبْسُ لِلزَّانِي وَتَرْكُ أَوْلَى
وَمَنْعُ عَقْدِ لِزَانٍ أَوْ لِرِزَانِيَةٍ
وَدَفْعُ مَهْرٍ لِمَنْ جَاءَتْ آيَةُ نَجْوَاهُ
وَزَيْدُ آيَةِ الْإِسْتِثْنَانِ مَنْ مَلَكَتْ
وَأَدْخَلُوا فِيهِ آيَا لَيْسَ تَنْحَصِرُ
عِشْرِينَ حَرَّرَهَا الْحُذَّاقُ وَالْكُبَرُ
يُوصِي لِأَهْلِيهِ عِنْدَ الْمَوْتِ مُحْتَظِرُ
وَفِدْيَةُ لِمُطِيقِ الصَّوْمِ مُشْتَهَرُ
وَفِي الْحَرَامِ قِتَالٌ لِلأُلَى كَفَرُوا
وَأَنْ يُدَانَ حَدِيثُ النَّفْسِ وَالْفِكَرِ
كَفَرُوا شَهَادَتِهِمْ وَالصَّبْرُ وَالنَّفَرُ
وَمَاعِلَى الْمُصْطَفَى فِي الْعَقْدِ مُحْتَظَرُ
كَذَاكَ قِيَامُ اللَّيْلِ مُسْتَطَرُ
وَآيَةُ الْقِسْمَةِ الْفُضْلَى لِمَنْ حَضَرُوا
وقد لا يوافق عليها جميعا.

(فَأَمَّا مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ وَعَقَلَهُ ثُمَّ قَتَلَ فَلَا تَوْبَةَ لَهُ) الصحيح أن عموم الآية الأولى معمول به، والقول بتخصيصها أو القول بعدم العمل بها، لا يوافق عليه، ولذلك جمهور العلماء ذهبوا إلى إثبات حكم التوبة لقاتل النفس المعصومة.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٢١ - (٣٠٢٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ سُهَيْلٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: تَعْلَمُ وَقَالَ هَارُونُ: تَدْرِي آخِرَ سُورَةِ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ جَمِيعًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [سورة النصر: ١]، قَالَ: صَدَقْتُ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: تَعْلَمُ أَيُّ سُورَةٍ. وَلَمْ يَقُلْ: آخِرَ.

٢١ - (٣٠٢٤) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَيْسٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، وَقَالَ: آخِرَ سُورَةٍ، وَقَالَ: عَبْدُ الْمَجِيدِ، وَلَمْ يَقُلْ: ابْنُ سُهَيْلٍ.

نعم هذه من حيث السور التي نزلت آخر ما يكون ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [سورة النصر: ١].

وأما الآية فقد اختلفوا، ف قيل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٣]، وقيل: قول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٨١]، وقد جاء أن آخر آية سورة أنزلت سورة التوبة، ونحو ذلك، يعود إلى هذا المعنى الذي تقدم.

قال الحافظ في "فتح الباري" (٨ / ٧٣٤): (قوله سورة إذا جاء نصر الله وهي سورة النصر بسم الله الرحمن الرحيم) سقطت البسملة لغير أبي ذر وقد أخرج النسائي من حديث بن عباس أنها آخر سورة نزلت من القرآن وقد تقدم في تفسير براءة أنها آخر سورة نزلت والجمع بينهما أن آخرية سورة النصر نزولها كاملة بخلاف براءة كما تقدم توجيهه ويقال إن إذا جاء نصر الله نزلت يوم النحر وهو بمنى في حجة الوداع وقيل عاش بعدها أحدا وثمانين يوما وليس منافيا للذي قبله بناء على بعض الأقوال في وقت الوفاة النبوية وعند بن أبي حاتم من حديث بن عباس عاش بعدها تسع ليال وعن مقاتل

سبعا وعن بعضهم ثلاثا وقيل ثلاث ساعات وهو باطل وأخرج بن أبي داود في كتاب المصاحف بإسناد صحيح عن بن عباس أنه كان يقرأ إذا جاء فتح الله والنصر. اهـ

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

٢٢ - (٣٠٢٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّغِيِّ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَقِيَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلًا فِي غَنِيمَةٍ لَهُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَأَخَذُوهُ فَقَتَلُوهُ، وَأَخَذُوا تِلْكَ الْغَنِيمَةَ، فَنَزَلْتُ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وَقَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ: (السَّلَامُ) ^(١).

(سفيان) بن عيينة.

(عمرو) بن دينار.

(عطاء) بن أبي رباح.

(غَنِيمَةٌ) تصغير غنم، قليل.

(فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ) تحية المسلمين.

(فَأَخَذُوهُ فَقَتَلُوهُ) ظنوا أنه إنما سلم تقية.

السلم والسلام تأتي بمعنى واحد، وتأتي بمعنى الإسلام.

فالإنسان يعامل بالظاهر، وقد تقدم الكلام على حديث سمرة وأسامة، والحمد لله.

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

٢٣ - (٣٠٢٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ: كَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَرَجَعُوا

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٥٩١).

لَمْ يَدْخُلُوا الْبُيُوتَ إِلَّا مِنْ ظُهُورِهَا، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَدَخَلَ مِنْ بَابِهِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَتَرَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [سورة البقرة: ١٨٩] ^(١).

في هذه الآية دليل على أن الناس قد يتعبدون بشيء ليس عليه دليل من الكتاب ولا السنة، وأن العبرة بالتقوى، والعبرة بما جاء به الشرع، لا بما كان عليه أهل الجاهلية. وفيه أن أهل الجاهلية كانوا يتعبدون، لكن ربما بما لم يأت في كتاب أو سنة. وهذه الآية قد يستدل بعمومها، ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [سورة البقرة: ١٨٩] في كثير من المسائل العلمية والعملية، ويكون من الأمثال التي ضربت للناس. قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾

٢٤ - (٣٠٢٧) حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدَفِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بِهِذِهِ الْآيَةِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الحديد: ١٦] إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ.

هذا دليل على أن الإنسان قد يقع منه القصور، وقد يقع منه الضعف، وقد يقع منه الفتور، ولذلك يعاتب ويُصح ويوجه، ويرشد، وقد يظن الإنسان أنه على أحسن حال، وعنده من القصور ما الله به عليم، قال الله عَزَّجَلَّ في شأن أهل أحد: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، ما كان أحد من الصحابة يظن أن فيه من يريد الدنيا، لكن بعضهم كان يؤمل الغنيمة.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٨٠٣).

الشاهد أن الإنسان يحتاج إلى مراعاة حال نفسه في سيره إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.
(﴿* أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾): لطاعة الله، للانقياد
 لشرعه وأمره، وما نزل من الحق، وإذا كان هذا العتاب للصحابة **رَضِوانَ اللهِ عَلَيْهِمُ** فهو لنا
 من باب أولى، فكم عندنا من قصور ! وكم عندنا من تفريط ! وكم عندنا مما نحتاج
 إلى أن نتنبه لأنفسنا في سيرنا إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** !
 قال **رَحْمَةُ اللهِ**:

بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾

٢٥ - (٣٠٢٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو
 بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ مُسْلِمِ
 الْبَطِينِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ
 عُرْيَانَةٌ فَتَقُولُ: مَنْ يُعِيرُنِي تَطَوُّافًا؟ تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا وَتَقُولُ:
 الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ *** فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أَحِلَّهُ
 مَفْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف: ٣١].

(غندر) هو محمد بن جعفر المتقدم.

(كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ) هذه من بدع الجاهلية، جعلوا لهم بدعا
 وقوانين: أن غير القرشي لا يجوز له أن يطوف بالبيت بملابسه، إلا أن يعطى من لباس
 القرشي، سواء كان رجلا أو امرأة، فإذا لم يجد من يعطيه يطوف عريانا.
(فَتَقُولُ: مَنْ يُعِيرُنِي تَطَوُّافًا؟) أي ملابس من ملابس الحمس.
(تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا) يعني لا يغطي كامل الجسم، وإنما ربما مثل ورقة العنبة، تضعه
 على فرجها من أمامها ومن خلفها، وربما كان أقصر مما يسمى الآن بهذه السراويلات
 القصيرة التي تسمى النكس للنساء.

وفي هذا دليل على أن سنن الجاهلية مخالفة للفطرة الإنسانية، وللشرعة الإلهية ولللسنة النبوية، فإن الإسلام جاء بسد الذرائع، ذرائع الشر، وظهور فرج المرأة من أعظم ما يكون من الشر، إذا كانت المرأة قد تفتن بالنظر إلى وجهها أو بالمس ليدها فكيف بالنظر إلى عورتها في حال مشيها وإقبالها وإدبارها؟ والنبي ﷺ لما سمع ذلك المخنث وهو يقول: إذا دخلت الطائف فعليك بابتة غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمانى، وهي لابسة لملابسها، فكيف بامرأة تطوف عريانة؟ نسأل الله السلامة والعافية. فهذا دليل على أن دين الجاهلية كان فيه الخرافة، وفيه الضلالة، وفيه الهوى، وفيه التعبد بما لم يشرع الله، حتى قال الله عز وجل: ﴿أَمَرُ لَهُمْ شُرَكَؤُا شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة الشورى: ٢١].

(﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾) استدل بهذه الآية على وجوب ستر العورة، وركنيته ذلك لا سيما في الصلاة، هذا هو أقل الزينة، وأعلى ذلك أن تلبس دثارا وتلبس شعارا وتترين.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾

٢٦ - (٣٠٢٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، جَمِيعًا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَلُولٍ يَقُولُ لِحَارِيَّةَ لَهْ: اذْهَبِي فَاْبُعِينَا شَيْئًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَعُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ﴾ (لَهُنَّ) ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النور: ٣٣].

٢٧ - (٣٠٢٩) وَحَدَّثَنِي أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ حَارِيَّةَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلُولٍ يُقَالُ لَهَا مُسِيكَةٌ، وَأُخْرَى يُقَالُ

لَهَا أُمِيمَةٌ، فَكَانَ يُكْرِهُهُمَا عَلَى الزَّنا، فَشَكَتَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٣).

(أبو سفيان) طلحة بن نافع.

(عبد الله بن أبي بن سلول) رئيس النفاق، زنديق، كافر كفرا أكبر مخرج من الملة، إلا أنه أظهر الإسلام، فعومل معاملة المسلمين، وإلا في باطنه كافر، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٤٥].

وصلاة النبي ﷺ لا تنفعه؛ لأن الله عز وجل كان قد خير النبي ﷺ قبل ذلك: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٨٠]، ثم صلى عليه النبي ﷺ رجاء ذلك، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [سورة التوبة: ٨٤]، وأما ولده عبد الله بن عبد الله فكان رجلا صالحا.

(﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾) جواريككم وملك يمينكم.

(﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾) على الزنا.

(﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَعُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾) ليس معنى ذلك أنها إذا أرادت الزنا تمكن منه، هذا فهم غير صحيح، فلا يجوز للرجل أن يمكن جاريته من الزنا، شاءت أم أبت، وإنما هذا صفة كاشفة، وقد تقدم حديث زيد أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، سُئِلَ عَنِ الْأَمَةِ إِذَا زَنَتْ وَلَمْ تُحْصَنْ، قَالَ: «إِنْ زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَيَبِّعُوهَا وَلَوْ بِضْفِيرٍ».

(﴿لِّتَبْتَعُوا﴾) تطلبوا.

(﴿عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾): شيئا من المال والعطاء.

(وَمَنْ يُكْرِهُنَّ) على الزنا، (فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهَنَّ) بهذا القيد الذي جاء في الحديث، ليس للمنافقين، فالمنافق لا يُغفر له، لكن إن أكرهت فالمكره معذور، قال

الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [سورة النحل: ١٠٦]، فكيف بالجارية العاجزة عن نفع نفسها ودفع الضر عنها؟
قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٢٨ - (٣٠٣٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ عَزَّجَلَّ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [سورة الإسراء: ٥٧] قَالَ: كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ أَسْلَمُوا وَكَانُوا يُعْبُدُونَ، فَبَقِيَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، وَقَدْ أَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ^(١).

٢٩ - (٣٠٣٠) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [سورة الإسراء: ٥٧] قَالَ: كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ، وَاسْتَمْسَكَ الْإِنْسُ بِعِبَادَتِهِمْ، فَزَلَّتْ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [سورة الإسراء: ٥٧].

٢٩ - (٣٠٣٠) وَحَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ، يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بِهِذَا الْإِسْنَادِ.

٣٠ - (٣٠٣٠) وَحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبُدٍ الزَّمَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٧١٤).

[سورة الإسراء: ٥٧] قَالَ: نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ الْجِنِّيُّونَ، وَالْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَنَزَلَتْ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [سورة الإسراء: ٥٧].

(أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ) يعني أولئك المعبودات الذين يدعوهم عابدهم من دون الله **عَزَّوَجَلَّ (يَبْتَغُونَ)**، يطلبون **(إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ)**: القرب، **(أَيْهِمْ أَقْرَبُ)** هذا في قوم كانوا على إيمان.

(كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ أَسْلَمُوا) وما زال أهل الشرك على الإشراك بهم، **(وَكَانُوا يُعْبُدُونَ)** قبل إسلامهم، **(فَبَقِيَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمْ، وَقَدْ أَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ)** فصار المعبودون يطلبون من الله القرب، وصار العابدون في غيهم وشركهم يعمهون.

قال الحافظ في "فتح الباري" (٨ / ٣٩٧): قوله فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم أي استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن والجن لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة وروى الطبري من وجه آخر عن بن مسعود فزاد فيه والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم وهذا هو المعتمد في تفسير هذه الآية وأما ما أخرجه الطبري من وجه آخر عن بن مسعود قال كان قبائل العرب يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن ويقولون هم بنات الله فنزلت هذه الآية فإن ثبت فهو محمول على أنها نزلت في الفريقين وإلا فالسياق يدل على أنهم قبل الإسلام كانوا راضين بعبادتهم وليست هذه من صفات الملائكة وفي رواية سعيد بن منصور عن بن مسعود في حديث الباب فغيرهم الله بذلك وكذا ما أخرجه من طريق أخرى ضعيفة عن بن عباس أن المراد من كان يعبد الملائكة والمسيح وعزيرا تنبيه استشكل بن التين قوله ناسا من الجن من حيث إن الناس ضد

الجن وأجيب بأنه على قول من قال إنه من ناس إذا تحرك أو ذكر للتقابل حيث قال ناس من الإنس وناسا من الجن ويا ليت شعري على من يعترض. اهـ
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةِ وَالْأَنْفَالِ وَالْحَشْرِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣١ - (٣٠٣١) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ التَّوْبَةِ؟ قَالَ: التَّوْبَةُ؟ قَالَ: بَلْ هِيَ الْفَاضِحَةُ، مَا زَالَتْ تَنْزَلُ: وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ، حَتَّى ظَنُّوا أَنْ لَا يَبْقَى مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا. قَالَ قُلْتُ: سُورَةُ الْأَنْفَالِ؟ قَالَ: تِلْكَ سُورَةُ بَدْرٍ، قَالَ قُلْتُ: فَالْحَشْرُ؟ قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ^(١).

(التَّوْبَةُ) هو الاسم المشهور في القرآن.

(بَلْ هِيَ الْفَاضِحَةُ) فسرها بأنها الفاضحة، فضحت المنافقين بأوصافهم.

(مَا زَالَتْ تَنْزَلُ: وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ) كقوله ﴿وَمِنْهُمْ مَنَ عَاهَدَ اللَّهُ﴾، ﴿وَمِنْهُمْ مَنَ يَكْمُرُكَ فِي أَلْصَدَقَاتِ﴾، ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾، ﴿وَمِنْهُمْ مَنَ يَقُولُ أَتَذُنَ لِي وَلَا تَقْتَتِي﴾.

(حَتَّى ظَنُّوا أَنْ لَا يَبْقَى مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا) يفضحه الله، حتى قال كعب بن مالك:

وقد علمت يا رسول الله أني إن كذبتك يوشك أن يفضحني الله.

فسورة التوبة بين الله فيها شأن غزوة تبوك، وشأن المنافقين وسورة الأنفال بين الله

فيها شأن غزوة بدر.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٨٨٢).

وهذه أسماء لهذه السور، فبعض السور لها أسماء غير ما ذكر وشهر، فمثلا سورة (حم المؤمن): سورة غافر، وهكذا (سورة القتال): سورة محمد، (سورة بني إسرائيل): سورة الإسراء وغير ذلك.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ فِي نُزُولِ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٣٢ - (٣٠٣٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، أَلَا وَإِنَّ الْخَمْرَ نَزَلَ تَحْرِيمُهَا يَوْمَ نَزَلَ وَهِيَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ وَالزَّبِيبِ وَالْعَسَلِ، وَالْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ، وَثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ وَدِدْتُ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَهْدَ إِلَيْنَا فِيهَا: الْجَدُّ وَالْكَالِلَةُ وَأَبْوَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الرَّبِّ (١).

٣٣ - (٣٠٣٢) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّهُ نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ وَهِيَ مِنْ خَمْسَةِ: مِنَ الْعِنَبِ وَالتَّمْرِ وَالْعَسَلِ وَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ، وَالْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ، وَثَلَاثُ أَيُّهَا النَّاسُ وَدِدْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَهْدَ إِلَيْنَا فِيهِنَّ عَهْدًا نَنْتَهِي إِلَيْهِ: الْجَدُّ وَالْكَالِلَةُ وَأَبْوَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الرَّبِّ.

٣٣ - (٣٠٣٢) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيَّةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي حَيَّانَ بِهَذَا

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٦١٩).

الْإِسْنَادِ بِمِثْلِ حَدِيثِهِمَا، غَيْرَ أَنَّ ابْنَ عُثَيْبَةَ فِي حَدِيثِهِ: الْعَنْبِ، كَمَا قَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ،
وَفِي حَدِيثِ عِيسَى: الزَّبِيبِ، كَمَا قَالَ ابْنُ مُسْهَرٍ.

(خَطَبَ عُمَرُ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أي في زمن خلافته.

(فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَتْنَى عَلَيْهِ) كما كان يفعل النبي ﷺ.

(نَزَلَ تَحْرِيمُهَا يَوْمَ نَزَلَ) بمعنى أن تحريمها كان بالقرآن.

(وَهِيَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ وَالزَّبِيبِ وَالْعَسَلِ) وليس معنى

ذلك أنه إذا وُجد الخمر من غير هذه الأصناف ليس بخمر، يوضح ذلك ما بعده:

(وَالْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ)، كما قال النبي ﷺ: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام»،

وقال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام».

(وَثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ وَدَدْتُ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَهْدَ إِيْنَا فِيهَا: الْجَدُّ وَالْكَالَةُ

وَأَبْوَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الرَّبِّ) هذا فهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإلا فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿مَا فَزَّطْنَا

فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ٣٨] على تفسير الكتاب بأنه القرآن، ويقول الله

عَزَّوَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة

المائدة: ٣]، وقد جاءت آثار، مثل أثر أبي ذر وفيه كلام: ما ترك رسول الله ﷺ شيئا إلا

أتانا علما منه، حتى الطير يقلب جناحيه في السماء.

فالشاهد أن النبي ﷺ قد بين ذلك كله، إلا أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يريد، بيانا أكثر

يفهمه الجميع، وإلا فقد بين الله عَزَّوَجَلَّ ما يتعلق بهذه الأمور.

قال في "عمدة القاري" (١٧٢ / ٢١): قوله: (الجد) أي: الأول من الثلاث الجد أي:

مَسْأَلَةُ الْجَدِّ فِي أَنَّهُ يَحْجُبُ الْأَخَ أَوْ يَحْجُبُ بِهِ أَوْ يَقَاسِمُهُ وَفِي قَدَرِ مَا يَرِثُهُ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ

اِخْتَلَفُوا فِيهِ اِخْتِلَافًا كَثِيرًا فَارْوِيَ عَنْ عُيَيْدَةَ أَنَّهُ قَالَ: حَفِظْتُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْجَدِّ

سَبْعِينَ قَضِيَّةً كُلُّهَا يُخَالَفُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَعَنْ عُمَرَ أَنَّهُ جَمَعَ الصَّحَابَةَ لِيَجْتَمِعُوا فِي

الْجَدِّ عَلَى قَوْلٍ، فَسَقَطَتْ حَيَّةٌ مِنَ السَّقْفِ فَتَفَرَّقُوا، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنَّ

يَخْتَلِفُوا فِي الْجَدِّ، وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَفْتَحَ جَرَائِمَ جَهَنَّمَ فَلْيَقْضِ فِي الْجَدِّ، يُرِيدُ أَصُولَهَا، وَالْجَرَائِمَ جَمْعُ جَرْتُومَةٍ وَهِيَ الْأَصْلُ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٌ وَابْنُ الزَّيْبَرِ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةُ وَأَبُو مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: هُوَ يَحْجُبُ الْأُخُوَّةَ. وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَقَالَ زَيْدٌ: هُوَ كَأَحَدِ الْأُخُوَّةِ مَا لَمْ تَنْقُصْهُ الْمُقَاسِمَةُ، فَإِذَا أَنْقَضْتَهُ أُعْطِيَ الثُّلُثُ وَقَسَمُوا لِلْأُخُوَّةِ مَا بَقِيَ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَأَبُو يُوسُفَ وَالشَّافِعِيُّ، وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هُوَ أَخٌ مَعَهُمْ مَا لَمْ تَنْقُصْهُ الْمُقَاسِمَةُ مِنَ الثُّلُثِ. قَوْلُهُ: (وَالْكَلَالَةُ) أَيُّ: وَالثَّانِي مِنَ الثَّلَاثِ مَسْأَلَةُ الْكَلَالَةِ، بِفَتْحِ الْكَافِ وَتَخْفِيفِ اللَّامِ: وَهُوَ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَالْمَدَنِيُّونَ وَالْبَصْرِيُّونَ وَالْكُوفِيُّونَ، وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ وَإِنْ كَانَ لَهُ وَالِدٌ، وَقَالَ شَيْخُنَا أَمِينُ الدِّينِ فِي (شَرْحِهِ لِلْسَّرَاجِيَةِ): الْكَلَالَةُ تَطْلُقُ عَلَى ثَلَاثَةٍ: عَلَى مَنْ لَمْ يَخْلُفْ وَلَدًا وَلَا وَالِدًا، وَعَلَى مَنْ لَيْسَ يُوَلَّدُ وَلَا وَالِدٌ مِنَ الْمُخْلَفِينَ، وَعَلَى الْقَرَابَةِ مِنْ جِهَةِ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ، قَالَ: وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْكِلَالِ وَهُوَ ذَهَابُ الْقُوَّةِ مِنَ الْإِعْيَاءِ فَاسْتَعِيرَتْ لِلْقَرَابَةِ مِنْ غَيْرِ جِهَةِ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ لِأَنَّهَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى قَرَابَتِهِمَا ضَعِيفَةٌ، وَإِذَا جُعِلَ صِفَةً لِلْمُوروثِ أَوْ الْوَارِثِ فَبِمَعْنَى ذِي كَلَالَةٍ، كَمَا يُقَالُ: فَلَانٌ مِنْ قَرَابَتِي أَيُّ: مِنْ ذِي قَرَابَتِي. قَوْلُهُ: (وَأَبْوَابُ مَنْ أَبْوَابِ الرَّبِّ) الثَّلَاثُ مِنَ الثَّلَاثِ، وَأَبْوَابُ الرَّبِّ كَثِيرَةٌ غَيْرُ مُحْصَوْرَةٍ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: لَا رَبًّا إِلَّا فِي النَّسِيبَةِ، وَقَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَبْوَابٌ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ نَصٌّ فِي بَعْضِ أَبْوَابِهِ دُونَ بَعْضٍ وَلِهَذَا تَمَنَّى مَعْرِفَةَ الْبَعْضِ. اهـ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٤ - (٣٠٣٣) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ، عَنْ أَبِي مَجْلَزٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يُقْسِمُ قَسَمًا إِنَّ: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [سورة الحج: ١٩] إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بدرٍ: حَمْزَةُ، وَعَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ ^(١).

٣٤ - (٣٠٣٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ جَمِيعًا عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ، عَنْ أَبِي مَجْلَزٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يُقْسِمُ، لَنَزَلَتْ: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ ﴾ [سورة الحج: ١٩]، بِمِثْلِ حَدِيثِ هُشَيْمٍ.

(حَمْزَةُ، وَعَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ) هذا من جهة المسلمين.

(وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ) هذا من جهة الكافرين.

قال الحافظ في "فتح الباري" (٧/ ٢٩٨): وفي الحديث جواز المبارزة خلافا لمن أنكرها كالحسن البصري وشرط الأوزاعي والثوري وأحمد وإسحاق للجواز إذن الأمير على الجيش وجواز إعانة المبارز رفيقه وفيه فضيلة ظاهرة لحمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. اهـ

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا اسْتَدْرَكَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ فَقَالَ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، عَنْ أَبِي مَجْلَزٍ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْتَوِي لِلْخُصُومَةِ)

قَالَ قَيْسٌ: وَفِيهِمْ نَزَلَتِ الْآيَةُ وَلَمْ يُجَاوِزْ بِهِ قَيْسًا، ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَقَالَ عُثْمَانُ، عَنْ جَرِيرٍ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ.
قَوْلُهُ: (قَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ: فَاضْطَرَبَ الْحَدِيثُ) هَذَا كُلُّهُ كَلَامُهُ، قُلْتُ: فَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا ضَعْفُ الْحَدِيثِ وَاضْطِرَابُهُ؛ لِأَنَّ قَيْسًا سَمِعَهُ مِنْ أَبِي ذَرٍّ كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ هُنَا، فَرَوَاهُ عَنْهُ، وَسَمِعَ مِنْ عَلِيِّ بَعْضُهُ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ قَيْسٌ مَا سَمِعَهُ مِنْ أَبِي ذَرٍّ، وَأَفْتَى بِهِ أَبُو مِجْلَزٍ تَارَةً، وَلَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ مِنْ كَلَامِ نَفْسِهِ وَرَأْيِهِ، وَقَدْ عَمِلَتِ الصَّحَابَةُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وَمَنْ بَعْدَهُمْ بِمِثْلِ هَذَا، فَيُفْتِي الْإِنْسَانُ مِنْهُمْ بِمَعْنَى الْحَدِيثِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الْفَتْوَى دُونَ الرَّوَايَةِ، وَلَا يَرْفَعُهُ، فَإِذَا كَانَ وَقْتُ آخِرٍ وَقَصَدَ الرَّوَايَةَ رَفَعَهُ، وَذَكَرَ لَفْظَهُ، وَلَيْسَ فِي هَذَا اضْطِرَابٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

والحمد لله في ليلة الجمعة الموافق للسادس عشر من شهر ذي القعدة الحرام لعام خمسة وأربعين وأربعمائة وألف قد انتهيت من التعليق المختصر الذي أسميته: **(الإبهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج)**، وكان البدء فيه في يوم الأحد الثامن من شهر شوال لعام واحد وأربعين وأربعمائة وألف، وقد انتهيت منه بحمد الله **عَزَّ وَجَلَّ** وتوفيقه وفضله وعونه في خمسمائة وخمسين مجلساً.
وهذا الكتاب إن توسع فيه كان حقه أكثر من ذلك، وإن اقتصر فيه واختصر كان حقه أدنى من ذلك، ولكن نحمد الله **عَزَّ وَجَلَّ** على أن أعاننا ووفقنا وسددنا وألهمنا رشدنا، وحبب إلينا قراءة هذه الكتب النافعة.

وهذا الكتاب من مهمات كتب العلم، لا سيما وهو ثاني الكتب المصنفة صحة عن رسول الله **ﷺ**، بل كما تقدم في مقدمة هذا الشرح: أن بعضهم فضله وقدمه على صحيح البخاري.

فينبغي للمسلمين العناية بهذين الكتابين العظيمين الجليلين حفظاً، ودراسة وشرحاً، ودفاعاً، ونفاحاً؛ لأن النفاح عنهما نفاح عن سنة النبي **ﷺ**، والمبتدعة

يطعنون في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم أكثر من طعنهما في غيرهما من الكتب، وذلك أن صحيح البخاري وصحيح مسلم قد حوت جملة عظيمة كثيرة من أحاديث العقيدة، والأحكام، والمعاملات، والأخلاق، وغير ذلك.

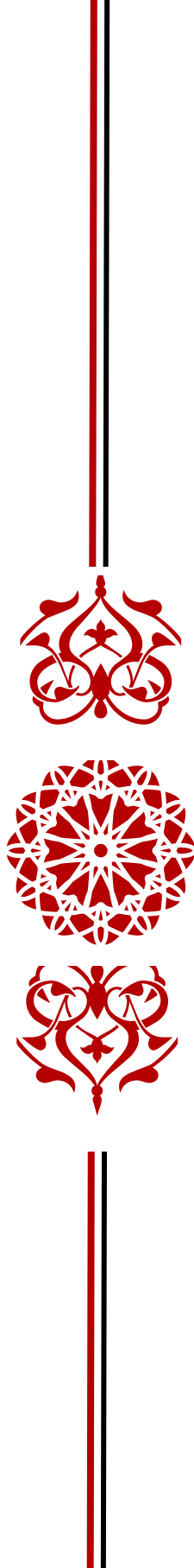
وما من بدعة من البدع القديمة أو البدع الحديثة أو البدع المستقبلية إلا وستجد في هذين الكتابين العظيمين الجليلين ما يبين عوار هذه البدع وضلالها.

والنصيحة لمن يستطيع من طلاب العلم أن يحفظ هذا السُّفر المبارك (صحيح الإمام مسلم) فليشرع في حفظه، فإنه يحوي أكثر من ألفين حديث مما أخرجه البخاري، ويحوي قريبا من ألف حديث زيادة على صحيح البخاري، فالحافظ له يكون قد حفظ المتفق عليه، ويكون قد حفظ عمدة الأحكام، وحفظ كثيرا من أحاديث رياض الصالحين وبلوغ المرام.

إلا أننا ننصح الطالب الذي يحتاج إلى الوعظ والإرشاد وإلى معرفة السنن والآداب بحفظ رياض الصالحين قبل هذا؛ لأن كثيرا من طلاب العلم قد لا يستحضر جمع أحاديث الباب كما جمعها النووي رَحِمَهُ اللهُ، وإلا فإن هذا الكتاب قد حوى خيرا كثيرا بخلاف كثير من كتب العلم المصنفة بعده، زد على ذلك أنهما في الصحة فوق ما سواها إلا ما كان من أحاديث صحيح الإمام البخاري رحمهم الله جميعاً.

وأسأل الله أن يعفو عني فيما كان من تقصير أو زلل، ونسأل الله أن يتقبل مني ما كان من خير وحسن عمل، وأقول: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وقد أجزت كل من سمع هذا الشرح وحضر هذا الدرس سواء حضره في هذه الدار أو سمعه صوتياً بالأسانيد الموجودة في المقدمة، والحمد لله رب العالمين.

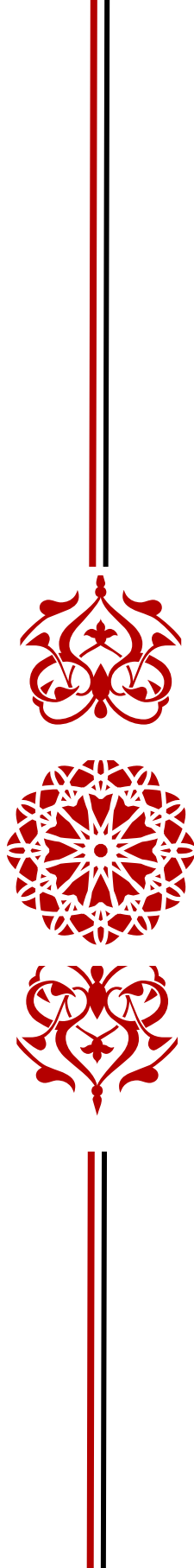


كتاب التفسير

الإمام

شرح

صحيح مسلم بن الحجاج



الفهرس

- كِتَابُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ ٥
- كِتَابُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ ٧
- كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ٢٣
- بَابُ ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ وَخَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٣٠
- بَابُ فِي الْبُعْثِ وَالنُّشُورِ وَصِفَةِ الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٣١
- بَابُ نُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ٣٢
- بَابُ سُؤَالِ الْمُهْودِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الرُّوحِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ ٣٤
- الآيَةُ ٣٤
- بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ ٣٧
- بَابُ قَوْلِهِ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ ٣٨
- بَابُ الدُّخَانِ ٤٠
- بَابُ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ ٤٤
- بَابُ لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَدَى مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ٤٧
- بَابُ طَلَبِ الْكَافِرِ الْفِدَاءَ بِمِلءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا ٤٩
- بَابُ: يُخْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ ٥١
- بَابُ صَبَغِ أَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي النَّارِ وَصَبْغِ أَشَدِّهِمْ بُؤْسًا فِي الْجَنَّةِ ٥٢
- بَابُ جَزَاءِ الْمُؤْمِنِ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَتَعْجِيلِ حَسَنَاتِ الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا ٥٣
- بَابُ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالزَّرْعِ وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَشَجَرِ الْأَرْزِ ٥٥

بَابُ: يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْنَدْتُهُمْ مِثْلُ أَفْنِدَةِ الطَّيْرِ..... ٩٦

بَابُ فِي شِدَّةِ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ وَبُعْدِ قَعْرِهَا وَمَا تَأْخُذُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ٩٩

بَابُ: النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ ١٠٢

بَابُ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ١١٧

بَابُ فِي صِفَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَعَانَنَا اللَّهُ عَلَى أَهْوَالِهَا ١٢٣

بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ ١٢٦

بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ عَلَيْهِ وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ

..... ١٣٤

بَابُ إِثْبَاتِ الْحِسَابِ ١٤٧

بَابُ الْأَمْرِ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الْمَوْتِ ١٤٩

كِتَابُ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ ١٥٣

بَابُ اقْتِرَابِ الْفِتَنِ وَفَتْحِ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ١٥٥

بَابُ الْخَسْفِ بِالْجَيْشِ الَّذِي يَوْمُ الْبَيْتِ ١٥٩

بَابُ نَزُولِ الْفِتَنِ كَمَوْاقِعِ الْقَطْرِ ١٦٢

بَابُ إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا ١٦٧

بَابُ هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ١٦٩

بَابُ إِخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ١٧٣

بَابُ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ ١٧٦

بَابُ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ ١٧٩

بَابُ فِي فَتْحِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَخُرُوجِ الدَّجَالِ وَنَزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ١٨٣

بَابُ: تَقْوُمُ السَّاعَةِ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ ١٨٥

بَابُ إِقْبَالِ الرُّومِ فِي كَثْرَةِ الْقَتْلِ عِنْدَ خُرُوجِ الدَّجَالِ ١٨٧

بَابُ مَا يَكُونُ مِنْ فُتُوحَاتِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ الدَّجَالِ ١٩١

بَابُ فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ ١٩٢

بَابُ: لَا تَقْوُمُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ ١٩٥

بَابُ فِي سُكْنَى الْمَدِينَةِ وَعِمَارَتِهَا قَبْلَ السَّاعَةِ ١٩٦

بَابُ: الْفِتْنَةُ مِنَ الْمَشْرِقِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ ١٩٧

بَابُ: لَا تَقْوُمُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعْبُدَ دَوْسٌ ذَا الْخَلَصَةِ ٢٠١

بَابُ: لَا تَقْوُمُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَتِمَّتَى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ ٢٠٤

بَابُ ذِكْرِ ابْنِ صَيَّادٍ ٢١٩

بَابُ ذِكْرِ الدَّجَالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ ٢٣٣

بَابُ فِي صِفَةِ الدَّجَالِ وَتَحْرِيمِ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ وَقَتْلِهِ الْمُؤْمِنَ وَإِحْيَائِهِ ٢٥٤

بَابُ فِي الدَّجَالِ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ٢٥٧

بَابُ فِي خُرُوجِ الدَّجَالِ وَمُكْنِهِ فِي الْأَرْضِ وَنُزُولِ عِيسَى وَقَتْلِهِ إِيَّاهُ وَذَهَابِ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ وَبَقَاءِ شِرَارِ النَّاسِ وَعِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانَ وَالنَّفْخَ فِي الصُّورِ وَبَعْثِ مَنْ فِي الْقُبُورِ ٢٥٩

باب قصة الجساسة ٢٦٥

بَابُ فِي بَقِيَّةِ مِنْ أَحَادِيثِ الدَّجَالِ ٢٧٢

بَابُ فَضْلِ الْعِبَادَةِ فِي الْهَرَجِ ٢٧٥

بَابُ قُرْبِ السَّاعَةِ ٢٧٦

بَابُ مَا يَنْتَ النَّفَحَتَيْنِ ٢٨٠

كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ ٢٨٣

كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ ٢٨٥

بَابُ: لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ٣٢٢

بَابُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ وَالْيَتِيمِ ٣٢٤

بَابُ فَضْلِ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ ٣٢٦

بَابُ الصَّدَقَةِ فِي الْمَسَاكِينِ ٣٢٨

بَابُ: مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ، ٣٣٠

بَابُ التَّكَلُّمِ بِالْكَلِمَةِ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ ٣٣٣

بَابُ عُقُوبَةِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَفْعَلُهُ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَفْعَلُهُ ٣٣٥

بَابُ النَّهْيِ عَنْ هَتَكِ الْإِنْسَانِ سِتْرَ نَفْسِهِ ٣٣٧

بَابُ تَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَكَرَاهَةِ التَّثَاوُبِ ٣٣٨

بَابُ فِي أَحَادِيثَ مُتَفَرِّقَةٍ ٣٤٣

بَابُ فِي الْفَارِوَأَنَّهُ مَسْخٌ ٣٤٤

بَابُ: لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ ٣٤٥

بَابُ: الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ٣٤٦

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْمُدْحِ إِذَا كَانَ فِيهِ إِفْرَاطٌ وَخِيفَ مِنْهُ فِتْنَةٌ عَلَى الْمَمْدُوحِ ٣٤٧

بَابُ مُنَاوَلَةِ الْأَكْبَرِ ٣٥١

بَابُ التَّنَبُّثِ فِي الْحَدِيثِ وَحُكْمِ كِتَابَةِ الْعِلْمِ ٣٥٢

بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ ٣٥٤

بَابُ حَدِيثِ جَابِرِ الطَّوِيلِ وَقِصَّةِ أَبِي الْيَسْرِ ٣٥٩

بَابُ فِي حَدِيثِ الْهَجْرَةِ وَيُقَالُ لَهُ حَدِيثُ الرَّحْلِ بِالْحَاءِ ٣٧١

كِتَابُ التَّفْسِيرِ ٣٧٧

كِتَابُ التَّفْسِيرِ ٣٧٩

بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ٣٩٥

بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ٣٩٦

بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ ٣٩٧

بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ ٣٩٩

بَابُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةِ وَالْأَنْفَالِ وَالْحَشْرِ ٤٠١

بَابُ فِي نَزُولِ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ ٤٠٢

بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ ٤٠٥

كِتَابُ التَّفْسِيرِ ٤٠٩

الفهرس ٤١١

